المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء

تأليف: القاضي أبي الفتح عبدالصمد بن محمود بن يونس الغزنوي الحنفي

من علماء القرن الخامس الهجري

دراسة وتحقيق

من أول آية (٨٣) سورة طه إلى آخر آية (٣١) سورة الفرقان

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب:

منصور بن محمد بن سالم الجعيد

الرقم الجامعي: ٤٢٩٨٠٤٥٨

إشراف:

أ.د/ عبدالله بن علي الغامدي

الأستاذ بقسم الكتاب والسنة

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

وقولــه تعــالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾

رُوي أن موسى عليه السلام لما ذهب مع السبعين إلى الميقات، تعجل إلى الميقات قبل السبعين، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ أي: ما أسبقك، فقال موسى عليه السلام: يا رب، هم أولاء على أثري[1] وعجلت إليك ربي؛ لترضى، لتزداد رضى عني[2]. والرضا من الله تعالى على العباد إيجاب الدرجة والكرامة لهم[3]، ويقال: كانت المواعدة من الله تعالى لموسى عليه السلام، أن يوافي هو جماعة من وجوه قومه سوى السبعين، فتقدمهم وهم خلفه؛ ليصيروا إلى الموضع المأمور به، ففتن بعض الذين كانوا خلفه بما عمله السامري وصاغه لهم على هيئة العجل.

----

(١) في نسخة (ب) يجيئون على أثري.

(٢) انظر: بحر العلوم / المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) - المحقق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة الناشر: دار الفكر -(٢/ ٤٠٨).

(٣) مذهب أهل السنة والجماعة هو إثبات صفة الرضا لله عز وجل كما يليق به سبحانه، من غير تحريف ولا تمثيل ومن غير تكييف ولا تعطيل، وهذا أمر بين واضح اتفق عليه السلف والأئمة، وجرى عليه أهل السنة والجماعة، وأما أهل البدع، من الأشاعرة والمعتزلة، ونحوهم، فيأولون صفة الرضا بالثواب والكرامة ونحوها.

انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٤٦٦)، (١٦/ ٢٠٩، ٢٩٦)، (١٦/ ٢٠٩، ٢١٠)، (١٦/ ٢٠٩، ٢١٠)، وانظر: مناقشة الشيخ لشبهتهم. مجموع الفتاوى (٦/ ١١٧ - ١١٨).

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾

معناه: قال الله لموسى عليه السلام: قد فتنا قومك من بعدك، أي: عاملناهم معاملة المختبر، بأن شددنا عليهم بالتعبد، أي: ألزمناهم عند إخراج العجل بأن يستدلوا على أنه لا يجوز أن يكون خالق السماوات والأرض عجلاً ولا جسماً، وحقيقة الفتنة التشديد في التعبد[1].

وقوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ معناه: دعاهم إلى عبادة العجل. ويُقال: معنى ﴿فَتَنَّا﴾ أي: خلّينا بين السامري وبين إخراج العجل، فلا يجوز أن يكون معناه: أضللناهم، بدليل أنه تعالى أضاف الإضلال إلى السامري[2].

وقوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ معناه: أنه رجع من الميقات مع السبعين إلى قومه، فلما سمع صوت الفتنة رجع غضبان حزيناً شديد الحزن مع غضبه.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ﴾ معناه: قال: لهم يا قوم، ألم يعدكم ربكم إنزال التوراة؛ لتعملوا بما فيها، فتستحقوا الجنة والكرامة الدائمة، أفطال

---

(١) أورد الرازي في تفسيره المسمى مفاتيح الغيب = التفسير الكبير / المؤلف: أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ ه–(٢٢/ ٨٧) بمثله.

(٢) يُجاب عن هذا الدليل بأن جميع المسببات العادية تضاف إلى أسبابها في الظاهر وإن كان الموجد لها هو الله تعالى فكذا هاهنا، وأيضا قُرِئ " وَأَضَلُّهُمُ " السامري أي وأشدهم ضلالاً السامري. انظر: تفسير ابن عطية (٤/ ٥٧)، وتفسير الرازي(٢٢/ ٨٧).

عليكم العهد وأحدثتم هذا الفعل، أم أردتم أن يجب عليكم غضب من ربكم،[(١)] بأن يُنزل العذاب بكم، فأخلفتم موعدي؛ لأجل ذلك ولم يقيموا على أمركم؟ويقال: كان إخلافهم موعده تركهم المسير على أثره للميقات[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا﴾[(٣)]

معناه: ما أخلفنا موعدك بطاقتنا[(٤)]. كأنهم ظنوا أنهم لم يبتدئوا ذلك الفعل اختياراً ولكن اتبعوا الداعي. فيه أن ذلك مما يكون عذراً لهم[(٥)]، وفسروا ذلك بقولهم: ولكنا حملنا / أوزاراً من زينة القوم أي: أثقالاً من حلي آل فرعون وذلك أن موسى [ل٢٩٦/ب] عليه السلام كان أمرهم أن يستعيروا من حليهم، حين أرادوا أن يسيروا هكذا رُوى عن ابن

---

(١) في نسخة (ب) بأن.

(٢) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٣٥٠)، وذكره الماوردي في تفسيره = النكت والعيون / المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)-المحقق: السيد ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - (٣/ ٤١٨) بغير نسبه.

(٣) سورة طه (٨٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٥٢) عن قتادة والسدي بمعناه.

(٥) يقول الشنقيطي في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / المؤلف: محمد الأمين الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ- (٤/ ٨١-٨٢) "وهو اعتذار منهم بأنهم ما أخلفوا الموعد باختيارهم، ولكنهم مغلوبون على أمرهم من جهة السامري وكيده. وهو اعتذار بارد ساقط كما ترى! ولقد صدق من قال:

إذا كان وجه العذر ليس ببيّن ... فإن اطراح العذر خير من العذر

وأما على قول من قال: إن الذين قالوا لموسى: ﴿مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا﴾ هم الذين لم يعبدوا العجل. لأنهم وعدوه أن يتّبعوه، ولما وقع ما وقع من عبادة أكثرهم للعجل تأخروا عن اتّباع موسى بسبب ذلك، ولم يتجرؤوا على مفارقتهم خوفاً من الفرقة، فالعذر له وجه في الجملة، كما يشير إليه قوله تعالى في القصة في هذه السورة الكريمة ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾.

عباس { ومجاهد والسدي[١] رحمهما الله، وسمي الحلي وزراً: لأن الوزر في اللغة الحمل، ولذلك سمي الأثم وزراً لأن صاحبه يحمل به ثقلاً، ويُقال: حملنا أوزاراً آثاماً من حلي القوم؛ لأنهم كانوا استعاروا من القبط حليا؛ ليتزينوا في عيدٍ كان لهم، ثم لم يردوها لهم عند الخروج؛ لأنهم خافوا أن تعلم القبط بخروجهم وكان ذلك ذنباً[٢] منهم متشامتين فيما بينهم وكأنهم قالوا: أن شؤم ذلك الحلي أدى بنا إلى عبادة العجل ويُقرأ ﴿حُمِّلْنَآ﴾ بضم الحاء وتشديد الميم[٣]، ويُقرأ ﴿بِمَلْكِنَا﴾ بفتح الميم[٤]. والمَلْك: مصدر معناه: لم نملك أنفسنا للبلية التي وقعت بنا، ويُقال: معناه: لم نملك أن نرد عن

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٥٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والسدي بمثله، انظر تفسير الماوردي (٣/ ٤١٨).

(٢) وذكر بعض المفسرين تعليلاً أخراً في أن المراد بالأوزار هنا: (الآثام) وهو "أن البحر ألقى على الساحل الحلي التي كانت لقوم فرعون وذلك بعد إغراقهم، فأخذوها ولم تكن الغنائم أحلت بعد و لأنهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي وهذا التعليل أقوى " انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)-المحقق: محمد المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ-(٤/ ٣٦)، أضواء البيان (٤/ ٨٣).

(٣) قرأ "نافع وابن كثير وابن عامر وحفص وأبو جعفر ورويس بضم الحاء وكسر الميم مشددة عدي بالتضعيف إلى آخر وبني للمفعول والضمير المتصل نائب الفاعل ووافقهم ابن محيصن، والباقون بفتح الحاء والميم مخففة مبنيا للفاعل متعديا لواحد". انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر / المؤلف: أحمد بن محمد الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: ١١١٧هـ)-المحقق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٧هـ -(١/ ٣٨٧)، التيسير في القراءات السبع / المؤلف: عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)-المحقق: اوتو تريزل، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ -(ص١٥٣)، السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص٤٢٣).

(٤) قرأ "نافع وعاصم وأبو جعفر بفتح الميم وقرأ حمزة والكسائي وخلف بضمها وافقهم الحسن والأعمش والباقون بكسرها". انظر إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر (١/ ٣٨٧)، التيسير فى القراءات السبع(١/ ١٥٣)، السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص٤٢٢-٤٢٣).

ذلك السفهاء[1]. ومن قرأ ﴿ لكنا﴾ بضم الميم فمعناه: بسلطاننا وقوتنا وأما ﴿إلمك﴾ بكسر الميم، فيكون مصدراً ويكون عبارة عما تحويه اليد[2].

وقوله تعالى: ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ معناه: فقذفنا الحلي في النار؛ ليذاب[3].

وقوله تعالى: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ أي: لما ألقينا ألقى السامري.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ﴾ معناه: أخرج لهم من النار صورة عجل صاغها من الحلي التي كانت معهم[4].

وقوله تعالى: ﴿لَّهُۥ خُوَارٞ﴾ أي: صوت كصوت العجل[5]، وقد اختلفوا في هذا. قال مجاهد رضي الله عنه[6]: خواره حفيف[7] الريح إذا دخلت جوفه[8]؛ وذلك أنه كان جعل في

---

(١) انظر المراجع السابقة.

(٢) انظر المراجع السابقة.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٧٢)، وتفسير السمرقندي (٢/ ٤٠٨).

(٤) انظر تفسير الماوردي (٣/ ٤١٨).

(٥) قال الراغب في مفرداته (ص٣٠٢): الخوار في الأصل: صياح البقر فقط، ثم توسعوا فيه فأطلقوه على صياح جميع البهائم. وانظر: القاموس المحيط (ص٣٨٨)، وتاج العروس (١١/ ٢٣١).

(٦) أكثر المؤلف -رحمه الله تعالى- من إطلاق كلمة "رضي الله عنه" على غير الصحابة، وهي من جهة الإصطلاح خاصة بجيل الصحابة، فإذا أُستعملت في غير الصحابة ربما يظن السامع أنه صحابي وهو غير ذلك في واقع الأمر، فإذا كان المقصود بذلك الدعاء فلا بأس من استعمالها كما شهدت بذلك النصوص، وإذا كان المقصود بها الإخبار فيُمنع.

(٧) في النسختين (خفيف) ولعل الصواب ما أثبته، والتصويب من معاني القرآن وإعرابه/ المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ- (٣/ ٣٧٢)، وتفسير الحداد=كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل/ المؤلف: أبو بكر بن علي الحداد الزبيدي الحنفي (ت: ٨٠٠هـ)- المحقق: د/ محمد إبراهيم يحيى، الناشر: دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى- (٤/ ٣٤٢).

(٨) ذكره السمرقندي في تفسيره (٢/ ٤٠٩)، والقرطبي في تفسيره (١١/ ٢٣٥) كلاهما عن مجاهد بنحوه.

جوف العجل خروقاً، فإذا دخلت الريح، أوهم أنه يخور[١]. وقال الحسن ﷺوقتادة والسدي ﷺ: كان السامري ألقى عليها أشياء من أثر جبريل ﷺ، كما قال: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ فانقلب العجل حيواناً يخور[٢]، وكان معلوماً في ذلك الزمان أن من أخذ من حافر دابة مَلَكٍ، فألقاه على شيء، صار ذلك الشيء حيواناً. قالوا: وإنما عرف أن راكب تلك الدابة جبريل ﷺ؛ لأنها كانت لا تضع حافرها على موضع إلا اخضرّ، ويُروى أن هارون ﷺ مرّ بالسامري وهو يصنع العجل، فقال: ما تصنع؟ قال: أصنع ما ينفع ولا يضر، فقال لهارون: ادعُ، فقال: اللهم أعطه ما يسأل، كما يحب. فسأل الله تعالى أن يجعل للعجل خواراً[٣]، فكان الخوار يخرج من ذلك الجسد المجسد، كما يخور[٤] الثور، فأوهم السامري أنه وحي ولذلك قيل: جسداً كما سُمي عجلاً وإن لم يكن كذلك، فافتتن به قوم وعبدوه ولم يكن في خواره من شيء مجعول من ذهب أو غيره ما يوجب عبادته ولو رجعوا إلى عقولهم، لعرفوا أنه لا يصلح أن يكون إلهاً. فإن قيل: كيف جاز أن يصير ذلك العجل حيواناً لفعل السامري وكان السامري لا يقدر على ذلك ولئن صار حيواناً بفعل الله تعالى، صار معجزة والمعجزة لا تظهر إلا على

---

(١) انظر تفسير الحداد (٤/ ٣٤٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٥٥) عن قتادة و السدي بمعناه، انظر تفسير الماوردي(٣/ ٤١٩)، ذكره القرطبي في تفسيره (١١/ ٢٣٥) عن الحسن وقتادة والسدي بنحوه. وقد ضعّف أبو حيان في تفسيره (٥/ ١٧٧) كونه لحماً ودماً قال " لأن الآثار وردت بأن موسى برده بالمبارد وألقاه في البحر ولا يبرد اللحم بل كان يقتل ويقطع، وقال ابن الأنباري: ذكر الجسد دلالة على عدم الروح فيه انتهى ".

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٢٩) عن ابن عباس رضى الله عنهما بأقل منه، انظر تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم / المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)-المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - (٥/ ٣١١).

(٤) في نسخة (ب) يجوز وهو خطأ.

[أيدي][(١)] الأنبياء صلوات الله عليهم[(٢)]؟ قيل له: قد بينا أنهم اختلفوا في هذا، فيجوز أن يكون ذلك الخوار كان يسمع من العجل بحيلة احتالها السامري ولئن صار حيواناً كما رواه بعضهم، فإنما صار حيواناً بإلقائه عليه قبضة من تراب حافر فرس جبريل عليه السلام وكان الله تعالى أجرى العادة في ذلك الوقت أن تراب حافر دابة الملك إذا أُلقي على شيء، صار حيواناً[(٣)].

وأما قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ فمعناه: قال لهم السامري: هذا إلهكم وإله موسى، فوافقه قومٌ على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ قيل: معناه: فترك السامري الإسلام الذي بعث الله به موسى عليه السلام[(٤)]. وقيل معناه: قال السامري لمن وافقه على كفره: إن موسى عليه السلام أراد هذا العجل، فترك الطريق الذي كان يصل به إليه[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا﴾ معناه: أفلا يرى السامري وأصحابه أنه يعني العجل، لا يرد عليهم جواباً ولا يملك لهم دفع ضر ولا جر منفعة.

---

(١) في النسختين بدون كلمة (أيدي) ولعلها ساقطه والأليق إضافتها.

(٢) تفسير الرازي (٢٢/ ٨٩).

(٣) لم أقف على من ذكره، ولعله من أخبار بني إسرائيل.

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٣/ ٣٧٢)، وأخرجه ابن كثير في تفسيره (٥/ ٣١١) عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٥) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٧٣). وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى ﴿فَنَسِيَ﴾ على من يعود الضمير، هل يعود على موسى أم على السامري؟قال الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٥٧): " وأولى الأقوال بالصواب عندنا أن يكون ﴿فَنَسِيَ﴾ خبراً من الله – تعالى – عن السامري، وأنه وصف موسى بأنه نسى ربه، وأن ربه الذى ذهب يريده هو العجل الذى أخرجه السامري؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه، ولأنه عقيب ذكر موسى، وهو أن يكون خبراً من السامري عنه بذلك أشبه من غيره ". وهذا هو الظاهر من معنى الآية الكريمة، ولأنه هو المأثور عن السلف.

قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ /عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾ [ل٣٩٧/أ]

وذلك، أن السامري لما دعا القوم إلى عبادة العجل، قال: إن هذا إلهنا وإله موسى وأن موسى عليه السلام مضى في طلبه وهو هاهنا، فقام هارون عليه السلام فيهم خطيباً وقال: يا قوم، إنما فتنتم بعبادة العجل وإن ربكم الرحمن، فاتبعون لما أدعوكم إليه وأطيعوا أمري وقال لهم: إنما يرجع موسى عليه السلام هذه الليلة واستأجلهم في اليوم الثاني واليوم الثالث، كذلك فلما كان اليوم الرابع لم يسمعوا قول هارون عليه السلام و [أصروا][1] على عبادة العجل وقالوا: لن نبرح عليه عاكفين، أي: لن نزال ثابتين عليه حتى يرجع إلينا موسى، فلما رجع موسى، قال لهارون عليهما السلام: يا هارون، ما منعك إذ رأيتهم ضلوا، ألا تتبعني بمن أقام على إيمانه ويقال: ألا تتبعني في شدة الزجر لهم عن الكفر بالله، أفتركت وصيتي[2]؟ فإن قيل: لِمَ جاز ما منعك ألا تتبعني في معنى[3] ما منعك أن تتبعني؟ قيل: يُحتمل أن تكون لا صلة في الكلام والمعنى: ما منعك أن تتبعني[4]؟ ويُحتمل أن يريد ما الذي منعك في دعاية كل[5] إلى ألا تتبعني؟ أي: ما دعاك إلى ألا تتبعني؟ فأقام منعك مقام دعاك[6]، إذ المعلوم من حال الإنسان أن يتصرف في حال

---

(١) في النسختين بالسين (اسروا)، ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٣٥٨)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٢٥٧).

(٣) سقطت (معنى)، من نسخة (ب).

(٤) انظر تفسير الثعلبي (٦/ ٢٥٨).

(٥) في نسخة (ب): (لكل).

(٦) ذكر الرازي هذان الوجهان في تفسيره (٢٢/ ٩٣) ثم قال: " وفي الاتباع قولان: أحدهما/ ما منعك من اتباعي بمن أطاعك واللحوق بي وترك المقام بين أظهرهم وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء.

⇦=

اختياره على دواعيه وكان المراد منع الداعي دون منع الحائل.

وقوله تعالى ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾

معناه: قال هارون لموسى عليهما السلام: يا ابن أُمَّ، لا تأخذ بلحيتي ولا بشعر رأسي، إني خشيت من العنف بهم ومن أن أتبعك بمن أقام على دينه أن [يتفرقوا][1] أحزاباً من بين مؤمنٍ وكافرٍ وشاكٍ وخشيت أن يقتل بعضهم بعضا، فتقول: فرقت بين بني إسرائيل ولم تحفظ قولي ووصيتي ولم تنتظر قدومي وأمري، فلذلك لم أناجزهم القتال ولم اتبعك بمن أقام منهم على دينه. قال عبدالله بن عباس { : كان هارون عليه السلام أخا موسى عليه السلام من أبيه وأمه وإنما قال: يا ابن أُمَّ؛ ليرققه عليه[2].

وفي قوله تعالى ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ قراءتان[3]: من قرأ ﴿يا ابن أم﴾ بفتح أمَّ، جعلها بمنزلة اسم واحد يتصل الثاني بالأول اتصال خمسة عشر[4] مبني على الفتح إلا أن خمسة عشر تضمن معنى الواو وهذا تضمن معنى اللام ولم يجيء هذا البناء إلا في يا ابن أمَّ ويا ابن

= والثاني/ أن تتبعني في وصيتي إذ قلت لك ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف:١٤٢) فلم تركت قتالهم وتأديبهم وهذا قول مقاتل ".

(١) في النسختين (يفروا)، ولعل الصواب ما أثبته، والتصحيح من تفسير الحداد (٤/ ٣٤٣)، ولفظ الآية يدل على ذلك {فرقت بين بني إسرائيل}.

(٢) انظر تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس { (المتوفى: ٦٨هـ) -جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)-الناشر: دار الكتب العلمية (ص٢٦٥).

(٣) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بكسر الميم هنا وفي الأعراف، وقرأ الباقون بفتحها فيهما. انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري(٢/ ٢٧٢)، السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص٤٢٣).

(٤) انظر الكتاب / المؤلف: عمرو بن عثمان، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة (٣/ ٣٠٣)، معاني القرآن للزجاج(٣/ ٣٧٣)، انظر الحجة لابن خالويه (ص١٦٤-١٦٥).

عمَّ؛ لأنه كثير حتى صار يقال للأجنبي، فلما عدل بمعناه عدل بلفظه، قال الشاعر(١):

[رجالٌ](٢) ونسوانٌ يودّونَ أنَّني وإيّاكَ نخزى يا بن عمّي ونفضحُ(٣)

ومن قرأ ﴿يا ابن أمِ﴾ بالكسر، فهو على معنى الإضافة(٤)، ودلت كسرة الميم من أمِّ على الياء التي بعدها، فإن قيل: كيف جاز أن يأخذ موسى عليه السلام بلحية هارون عليهما السلام ورأسه مع أن ذلك يقتضي الاستخفاف به(٥)؟ قيل: ليس في القرآن دلالة على أنه فعل ذلك والذي في القرآن أنه أخذ برأس أخيه، يجره إليه، فيجوز أن هارون عليه السلام كان يخاف وقد جر موسى عليه السلام رأسه إليه أن يأخذ بلحيته، فلذلك قال: لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي.

غير أن الأخبار وردت أن موسى عليه السلام أخذ رأسه بيمينه ولحيته بشماله(٦)، فإن صح ذلك، ففيه قولان: أحدهما: أنه أجرى هارون مجرى نفسه؛ لأنه لم يكن يتهم عليه، كما لا يتهم على نفسه وقد يأخذ الرجل بلحية نفسه إذا غضب(٧). وكان يُقال إن

---

(١) هذا البيت لجميل بن معمر الشاعر الحني، وهو جميل بن عبدالله بن معمر بن الحارث بن ظبيان بن حن بن ربيعة بن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة. انظر الأنساب للسمعاني (٤/ ٢٩٤).

(٢) في نسخة الأصل (احال)، وهو خطأ، ولعل الصواب ما أثبته.

(٣) انظر: منتهى الطلب من أشعار العرب / المؤلف: محمد بن المبارك بن محمد بن محمد بن ميمون(٥٢٩-٥٩٧)، تحقيق وشرح الدكتور محمد نبيل طريفي طبعة دار صادر بيروت- (٢/ ٣٨٠).

(٤) انظر الحجة لابن خالويه (ص١٦٤-١٦٥)، تفسير السمرقندي (٢/ ٤١٠).

(٥) لا يلزم من هذا الفعل الاستخفاف وإنما حمله على ذلك شدة الغضب بدليل أنه ألقى الألواح وفيها التوراة ولم يعتب الله تعالى عليه بهذا الفعل فكذلك أخذه برأس أخيه ولحيته، فإنما حمله على ذلك شدة الغضب. والله أعلم.

(٦) النكت والعيون (٣/ ٤٢٠)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي / المؤلف: أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)-تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ -(١٤/ ١٢٥).

(٧) ذكره الرازي في تفسيره (٨/ ٩٣) بنحوه من غير نسبه.

عمر ﷺ كان إذا غضب، يُفَتِّل شاربه[(١)] والدليل أنه لم يفعل ذلك استخفافاً به قوله عقيب ذلك رب اغفر لي ولأخي.

والقول الثاني: إن العادة في ذلك الوقت لم تكن كهذه العادة، بل كان يجري ذلك في زمانهم مجرى القبض على يده وهذا مما يختلف حكمه بحسب العادة فيه[(٢)]، وإنما قال هارون عليه السلام: لا تفعل هذا مخافة أن يَظُن قومه أنه يفعل ذلك استخفافاً، وقيل: إن هارون عليه السلام -وإن كان نبياً- فموسى عليه السلام أيضا كان نبياً وكانت الرئاسة مع ذلك لموسى عليه السلام وكان حال موسى مع هارون عليهما السلام كحال أحدنا مع من لا يكون نبياً ولو فعل ذلك أحدنا ممن لا يكون / نبياً، لم نقطع على كونه كبيرة منه فكان ذلك من موسى عليه السلام صغيرة[(٣)]. [ل/٣٩٧ب]

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٦٦)، برقم (٥٤): قال حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي ثنا إسحاق بن عيسى الطباع قال: رأيت مالك بن أنس وافر الشارب فسألته عن ذلك فقال: حدثني زيد بن أسلم عن عامر بن عبدالله بن الزبير، أن عمر بن الخطاب كان إذا غضب فتل شاربه ونفخ. اهـ قال الهيثمي في مجمع الزوائد(٥/ ١٦٦): " رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح خلا عبدالله بن أحمد وهو ثقة مأمون إلا أن عامر بن عبدالله بن الزبير لم يدرك عمر "، ولكنَّ هذا الأثر جاء موصولاً بذكر عبدالله بن الزبير ﷺ وذلك عند أبي نعيم في معرفة الصحابة (١/ ٤٥) برقم (١٧١): قال حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا إبراهيم بن سعد، حدثنا معن بن عيسى قال: وحدثنا القباب، حدثنا ابن أبي عاصم، حدثنا أبو جعفر محمد بن فضيل، وكان ثقة، حدثنا معن، عن مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن عامر بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه، قال: "كان عمر إذا غضب فتل شاربه". فذكر أباه هنا، فالوصل هو الأقرب - والله أعلم -ومالك ~ من عادته الإرسال.

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره (٢/ ٢٦٤)، والقرطبي في تفسيره (٧/ ٢٨٩).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ~ في مجموع الفتاوى (٤/ ٣١٩-٣٢٠): " فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر " أبو الحسن الآمدي " أن هذا قول أكثر الأشعرية وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول..... إلى أن قال: وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر ولا يقرون عليها ولا يقولون إنها لا تقع بحال". وقال ~ في منهاج السنة النبوية (١/ ٤٧٢) " هم متفقون ⇐=

قوله ﷻ: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾

معناه: قال موسى عليه السلام للسامري: ما هذا الخطب العظيم الذي دعاك إلى ما صنعت؟ والخطب: هو الجليل من الأمر[(١)].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ معناه: قال السامري: رأيت ما لم يروا ويُقال: علمت ما لم يعلموا. قال الزجاج ~ : يُقال أبصرت الشيء إذا رأيته وبصرت به إذا صرت عالماً به[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ معناه: قال: قبضتُ قبضة كفٍ من أثر فرس جبريل[(٣)] عليه السلام، فطرحته في فم العجل وكذلك أطمعتني نفسي في أن العجل ينقلب به حيواناً ويُقرأ في غير السبع[(٤)]، فقبصتُ بالصاد والقبصة هي: الأخذ

= على أنهم لا يقرون على خطأ في الدين أصلاً ولا على فسوق ولا كذب، ففي الجملة كل ما يقدح في نبوتهم وتبليغهم عن الله فهم متفقون على تنزيههم عنه. وعامة الجمهور الذين يجوزون عليهم الصغائر يقولون: إنهم معصومون من الإقرار عليها، فلا يصدر عنهم ما يضرهم، كما جاء في الأثر: كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٢] ".

(١) انظر المفردات في غريب القرآن / المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)-المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ -(ص٢٨٦)، تاج العروس من جواهر القاموس(٢/ ٣٧٠)، تهذيب اللغة(٧/ ١١١).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٧٤).

(٣) المصدر السابق.

(٤) قرأ أُبي بن كعب وابن مسعود وعبدالله بن الزبير ونصر بن عاصم والحسن وقتادة وابن سيرين بخلاف، وأبي رجاء بخلاف " فقبصت قبصة " بصاد غير معجمة، وقرأ " قُبصة " بضم القاف والصاد غير =

بأطراف الأصابع والقبضة بالضاد معجمة هي القبض بجملة الكف[(١)].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ﴾ معناه: قال له موسى عليه السلام: فاذهب فإن لك في ما جنيت أن تقول لا مساس، لا أَمَس ولا أُمَس[(٢)] ولا أُخالِط ولا أُخالَط[(٣)] وأمر موسى عليه السلام بني إسرائيل أن لا يؤاكلوه ولا يخالطوه ولا يبايعوه، فحرم عليهم مخالطة السامري جزاءً لفعله وكان هو يهيم في البرية مع الوحش [و][(٤)] السباع ويُقال: إنه أُبْتُلي بالوسواس[(٥)] ويلزم المجسمة أن يتصور إلههم في كل صورة، كما لزم هؤلاء الجهال من بني إسرائيل والمساس: فعال من المس، يُقال: ماسسته مماسّة ومساساً، أي: مسسته ومسّني[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ معناه[(٧)]: وإن لك أجلاً يكافئك الله تعالى فيه على ما فعلت وهو يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ معناه: وانظر إلى العجل الذي أقمت على

= معجمة الحسن، بخلاف، والباقون: "قبضت قبضة" بالضاد المعجمة. انظر: المحتسب في وجوه شواذ القراءات لابن جني (٢/ ٥٥)، تفسير القرطبي (١١/ ٢٤٠).

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٧٤)، بحر العلوم(٢/ ٤١٠)، تفسير القرطبي (١١/ ٢٤٠)، المحتسب في وجوه شواذ القراءات لابن جني(٢/ ٥٥).

(٢) تذكرة الأريب في تفسير الغريب المؤلف: أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)- تحقيق: طارق فتحي السيد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ ه- (ص٢٣٢)، تفسير الرازي (٢٢/ ٩٦).

(٣) انظر غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٣٩).

(٤) في النسختين (في)، وهو خطأ، ولعل الصواب ما أثبته والتصحيح من تفسير الحداد (٤/ ٣٤٥).

(٥) بحر العلوم(٢/ ٤١٠)، تفسير القرطبي (١١/ ٢٤١).

(٦) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢٢٧)، الصحاح (٣/ ٩٧٨).

(٧) في نسخة (ب): عبارة (وانظر إلى العجل الذي أقمت على عبادته) زائدة، وهو خطأ من الناسخ، لأن هذه العبارة هي معنى الآية التي بعد هذه الآية.

عبادته لازماً. والأصل في ظلت ظللت إلا أن [إحدى][(١)] اللامين حذفت؛ لثقل التضعيف، ثم بعد حذف إحدى[(٢)] اللامين للعرب فيه مذهبان: فتح الظاء وكسرها، فمن فتحها، تركها على حالها ومن كسرها، نقل حركة اللام إليها، ونظيره مست ومسيت في مسست وهَمت وهِمت في هممت وهل أحَّست بزيدٍ؟ في أحسست[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ معناه: لنحرقنه بالنار وهذه القراءة تدل على أن ذلك العجل صار حيواناً لحماً ودماً، كما رُوي عن الحسن رضي الله عنه[(٤)]؛ لأن الذهب والفضة لا يمكن إحراقهما بالنار وكان الحسن رضي الله عنه يَقرأ: لنحرقنه، بالتخفيف[(٥)] ومعناه: لنذبحنه، ثم لنحرقنه بالنار؛ لأنه لا يجوز إحراق الحيوان قبل الذبح، كما رُوي في الخبر « لا تعذبوا أحداً بعذاب الله تعالى »[(٦)] ويُقْرَأ: لنَحرُقنه بنصب النون وضم الراء[(٧)]، أي: لنبردنه بالمبرد، يقال: حرقت الشيء أحرقه إذا بردته والمحرَق: هو المبرد وهذه القراءة تدل على أن العجل بقي ذهباً ولكن كان له خوار[(٨)].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ معناه: لنذرينه في البحر تذرية، يُقال: نسف فلان الطعام بالمنسف، إذا ذراه؛ ليطير عنه قشوره[(٩)]، قال عبدالله بن

---

(١) في النسختين (أحد)، ولعل الصواب ما أثبته، ويدل عليها السياق بعدها فإن المؤلف قال (ثم بعد حذف إحدى اللامين للعرب فيه مذهبان).

(٢) سقطت (إحدى): من نسخة (ب).

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٩١)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٧٥).

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٣٦٥).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص٣٨٨).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٦١) (كتاب الجهاد والسير / باب: لا يعذب بعذاب الله / ح٣٠١٧) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه.

(٧) وهي قراءة علي وابن عباس "رضى الله عنهما" وعمرو بن فائد: "لنَحرُقنه"، بفتح النون. وضم الراء.

(٨) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٩١)، المحتسب لابن جني (٢/ ٥٨).

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٧٦)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٤١١).

عباس { : فحرقه موسى عليه السلام ثم ذراه[(١)] في البحر[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ معناه: قل لهم: إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو، أي: لا معبود[(٣)] للخلق سواه.

قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ٩٨﴾ معناه: أحاط علمه بكل شيء[(٤)]، ولا يخفى عليه شيء من أعمال العباد.

قوله ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ٩٩ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ١٠١﴾.

معناه: كما قصصنا عليك خبر موسى عليه السلام، كذلك نقص عليك من أخبار الرسل وأممهم وقد أكرمناك بالقرآن العظيم[(٥)]، من أعرض عنه، فإنه يحمل يوم القيامة وزرا إثما ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ أي: مقيمين في عقوبته وساء وزرهم يومئذ حملاً[(٦)]. والوزر في اللغة: هو الثقل وسمي الوزر وزراً لما فيه من الثقل[(٧)]/ ومن ذلك يسمى السلاح أوزاراً، قال الأعشى[(٨)]: [ل٣٩٨/أ]

---

(١) في نسخة (ب): (دراه)، وهو خطأ. المحتسب لابن جني (٢/ ٥٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٦٦) عن ابن عباس رضى الله عنهما من طريق العوفيين بمثله.

(٣) والأولى بالمصنف ~ أن يقول: لا معبود بحق للخلق سواه وهذا الإحتراز؛ لأن هناك معبودات تعبد من دون الله بالباطل، كالأحجار والأشجار والنار والبقر وغير ذلك والعياذ بالله.

(٤) بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٤١١).

(٥) تنوير المقباس (ص٢٦٦)، بحر العلوم (٢/ ٤١١).

(٦) انظر تنوير المقباس (ص٢٦٦)، تفسير السمعاني (٣/ ٣٥٤).

(٧) العين للخليل (٧/ ٣٨٠)، الصحاح (٢/ ٨٤٥).

(٨) هو ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كل مسلك، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعراً منه.

⇐=

وأعددت للحرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا[(١)]

قوله ﷻ ﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ١٠٢ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ١٠٤ ﴾

معناه: يوم ينفخ في الصور النفخة الثانية وفي الصور قولان:

أحدهما: أنه جمع صورة ينفخ الروح في صورة الحيوان، فيجري في جسمه فيقوم حياً بإذن الله تعالى.

والثاني: أنه قرن يُنفخ فيه يومئذ؛ لتقوم الناس من قبورهم، مثل بوق[(٢)] الرحيل وبوق النزول والنفخ: إجراء الريح في البوق أو البدن[(٣)]، والنفخ الذي هو إخراج الريح من الجوف بالدفع من الفم وذلك هو الأصل في النفخ، فشبه هذا به.

= وكان يغني بشعره، فسمي (صناجة العرب) عاش عمراً طويلاً، وأدرك الاسلام ولم يسلم، ولقب بالاعشى لضعف بصره، وعمي في أواخر عمره.

مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة (الرياض) وفيها داره، وبها قبره. انظر: الأعلام لخير الدين الزركلي (٧/ ٣٤١).

(١) ديوان الأعشى المسمى " الصبح المنير في شعر أبي بصير " مع شرح أبي العباس ثعلب، طبع في مطبعة آذلف هلزهوستين بيانه ١٩٢٧م - (ص٧١)، المعاني الكبير في أبيات المعاني / المؤلف: عبدالله بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: المستشرق د سالم الكرنكوي (ت ١٣٧٣ هـ)، عبدالرحمن اليماني، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الطبعة الأولى ١٣٦٨ه- (٢/ ٩٢١).

(٢) البوق: أداة مجوفة يُنفخ فيها ويزمر. انظر: الصحاح (٤/ ١٤٥٢)، المعجم الوسيط / المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة -(١/ ٧٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٤٦٢)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٣١٥). قال ابن كثير بعد أن ذكر القولين المتقدمين في معنى الصور: "والصحيح أن المراد بالصور القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام" والله تعالى يعرف الناس أمور الآخرة بأمثال ما شوهد في الدنيا ومن عادة الناس النفخ في البوق عند الأسفار وفي العساكر، وقال ابن عطية " ومذهب الجمهور أنه القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل وبهذا جاءت الأحاديث" انظر: تفسير ابن عطية (٤/ ٦٣)، وتفسير الرازي (٢٢/ ٩٨)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٢٨١).

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ١٠٢﴾ قيل: معناه: قد ازرقّت أعينهم من شدة العطش؛ لأن العطش إذا اشتد تغير سواد العين إلى الزرقة(١).

وقيل: معناه: عمياً(٢)، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾(٣) كأنها ترى زرقاً وهي في الحقيقة عمي.

وقوله تعالى: ﴿يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ معناه: يتسارُّون فيما بينهم يقول بعض لبعض: إن لبثتم في الدنيا إلا عشرا، وذلك أنهم لشدة ما يرون من هول يوم القيامة، ينسون ما لبثوا في الدنيا، فيقولون هذا القول(٤). وقيل: يقللون ذلك لطول لبثهم في القيامة(٥). وقيل: معناه: أنه يقول بعضهم لبعض: إن لبثتم في القبور إلا عشراً، يريدون(٦) بذلك لبثهم في القبور بعد انقطاع عذاب القبر عنهم، فيقللون لبثهم كأنهم باتوا نياماً، فانتبهوا(٧).

وقوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ﴾ أي: أعلمهم(٨) عندهم إن لبثتم إلا يوماً. يقولون ذلك وهو كذب.

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٧٦)، النكت والعيون(٣/ ٤٢٤)، تهذيب اللغة (٨/ ٤٢٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٣٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو من رواية الكلبي بمثله، معاني القرآن للفراء (٢/ ١٩١)، النكت والعيون (٣/ ٤٣٤).

(٣) آية (٩٧) سورة الإسراء.

(٤) وأخرجه الطبري (١٨/ ٣٧٠) عن ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة بمثله، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٣٤) عن ابن عباس } بمثله.

(٥) ذكره السمعاني في تفسيره (٣/ ٣٥٤) بمثله ولم ينسبه.

(٦) في نسخة (ب): (من هول يوم القيامة).

(٧) ذكره الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٢٥) بمثله ولم ينسبه، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٧٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٣٤) عن سعيد بن جبير ~ بمثله.

قوله ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾

معناه: يسألك الكفار عن حال الجبال يوم القيامة، أين تذهب مع عظمها؟ فقل: ينسفها ربي، أي: يقلعها قلعاً، يقال: نسف البعير النبت إذا اقتلعه من أصله بفيه[1]، ويقال: معنى ينسفها: يجعلها بمنزلة الرمل، ثم يرسل عليها الرياح، فتفرقها، كتذرية الطعام من القشور والتراب، فتصير كالهباء[2].

وقوله تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ أي: يترك الأرض مستوية ملساء لا نبات فيها[3]، وقيل: الصفصف: هو المكان المستوي، كأنه على صف واحد في استوائه[4]، والقاع: الأقرع من النبت[5].

وقوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ أي: وادياً ولا أمتى، أي: رابية[6]، يُقال:

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص٨٠٢)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز / المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)-المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة - (٥/ ٤٦) بصيرة في "نسف".

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٧٦)، انظر النكت والعيون (٣/ ٤٢٥)، بحر العلوم(٢/ ٤١٢)، تفسيرالبيضاوي(٢/ ٥٨)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل / المؤلف: أبو القاسم محمود الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ (٣/ ٨٨).

(٣) ذكره السمعاني في تفسيره (٣/ ٣٥٥) بمثله ولم ينسبه، تفسير البغوي (٥/ ٢٩٤).

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٢٦) عن مجاهد بنحوه.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٣/ ٢٣)، مجمل اللغة لابن فارس (ص٧٤٠).

(٦) ذكره البخاري في صحيحه (كتاب التفسير / باب: قوله ﷻ ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ آية (٨٠) سورة مريم)، وقال ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري / المؤلف: أحمد بن علي العسقلاني، الناشر: دار المعرفة، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف ⇐=

الأمت غلظ موضع ودقة موضع[1]، وهو في الأصل إنما يستعمل في الاضطراب بالارتفاع والانخفاض يُقال مد حبله حتى ما ترك فيها أمتى، أي: انثناء، وملأ سقاءه حتى ما ترك فيه أمتاً، أي: انثناء[2].

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ ﴾ يتبعون صوت الداعي[3]، لا يعْوَجُّون عنه وعن الطريق الذي يدعون إليه، لا يعدلون يميناً ولا شمالاً ولا يملكون التأخر.

وقوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ ﴾ معناه: وذلت الأصوات لهيبة الرحمن، فلا تسمع إلا صوتاً خفياً من وطئ أقدامهم، كصوت أخفاف الإبل في سيرها[4]، والهمس في اللغة: هو الصوت الخفي، يُقال: همس إليَّ بحديثه، أي: أخفاه[5]. وقال الراجز[6]:

= على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبدالعزيز بن باز - (٨/ ٤٣٣) " وصله ابن أبي حاتم عن ابن عباس { ". وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٧٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٣٥) كلاهما عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله.

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٧٧)، حكاه الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٢٦) عن الصولي بمثله.

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز=تفسير ابن عطية / المؤلف: أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)-المحقق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ - (٤/ ٦٤)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن / المؤلف: أحمد بن محمد الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)-تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - (٦/ ٢٦٠). وهذا اختيار الإمام الطبري ~ قال: لأنه المسموع من كلام العرب ثم قال: " فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: لا ترى فيها ميلاً عن الاستواء، ولا ارتفاعاً، ولا انخفاضاً، ولكنها مستوية ملساء ". تفسير الطبري (١٨/ ٣٧٣).

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٩٢).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٩٢)، وانظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٧٧).

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٩٢)، تهذيب اللغة (٦/ ٨٦) مادة "همس"، وذكره صاحب تاج العروس (١٧/ ٤٢-٤٣) بمعناه.

(٦) هذا البيت لابن عباس ﷺ في قصة إحرامه، ذكرها ابن قتيبة الدينوري وغيره هكذا "حدّثني يزيد بن =

وهن يمشين بنا هميسا

قوله ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾

معناه: يومئذ لا تنفع شفاعة أحد إلا شفاعة من أذن له الرحمن في أن يشفع ورضي له قولا في الدنيا وهم المؤمنون، فإن الله تعالى لا يرضى إلا قول المؤمنين[(١)] ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[(٢)]

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ معناه: أن الله تعالى عالم بتفاصيل ما قدموه وما يستحقه، كل واحد منهم لا يحيط أحد بذلك، فإن أحدا منهم لا يعلم علم الإحاطة والله تعالى يعلم / كل شيء علم إحاطة؛ لأنه يعلمه من كل وجه[(٣)]. [ل٣٩٨/ب]

قوله ﷻ: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾

قال عبدالله بن عباس ومجاهد: في معنى وعنت الوجوه: ذلت الوجوه بالسجود

= عمرو قال: حدّثنا الحجاج بن نصير قال: حدّثنا شعبة عن قتادة عن أبي العالية، أنه كان مع ابن عباس وهو محرم، فقال ابن عباس:

وهن يمشين بنا هميسا إن تصدق الطير ننك لميسا

فقالوا: تقول الرفث وأنت محرم يا ابن عباس؛ فقال: إنما الرفث عند النساء ". انظر عيون الأخبار/ المؤلف: أبو محمد عبدالله بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ -(١/ ٤٤٢)، الصحاح (٢/ ٣٠٦) مادة "رفث".

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٤١٣)، تفسير السمعاني (٣/ ٣٥٦).

(٢) آية (٢٣) سورة سبأ.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٧٦)، وتفسير السمعاني (٣/ ٣٥٦).

للحي الذي لا يموت القائم الذي لا ند له[(١)]، والعاني في اللغة: هو الأسير[(٢)]، ومنه قولهم: أخذت الشيء عَنوة، أي: غلبة بِذلِّ المأخوذ منه[(٣)].

وقال الحسن: القيوم: القائم على كل نفس بما كسبت[(٤)] حتى يجزيها به.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ معناه: خاب من ثواب الله ﷻ من حمل شركاً ومعصية[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ بالزيادة في سيئاته ولا هضماً بالنقصان من حسناته[(٦)].

يُقال: هضمني فلان حقي، أي: نقصني، وهذا شيء يهضم الطعام، أي: ينقص ثقله[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: وهكذا أنزلنا القرآن على مجرى

---

(١) تنوير المقباس (ص٣١٩)، وانظر تفسير مجاهد / المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)-المحقق: الدكتور محمد أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ -(ص٤٠٣).

(٢) انظر: مختار الصحاح / المؤلف: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ- (ص٢٢٠)، القاموس المحيط / المؤلف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - (ص١٣١٦).

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٩٣).

(٤) انظر تفسير الماوردي (٣/ ٤٢٨).

(٥) تنوير المقباس (ص٢٦٦)، بحر العلوم (٢/ ٤١٣).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٣٦) عن ابن عباس { بنحوه.

(٧) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٩٣)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٧٧).

اللغة العربية وكررنا فيه من الوعيد؛ لكي يتقوا الله تعالى أو يحدث كتاب الله تعالى لهم ذكراً يعتبرون به[١]. ويُقال: معنى ذكراً: شرفاً بإيمانهم به، كما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾[٢] أي: شرف لك ولقومك[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ﴾ معناه: ارتفعت صفة الله تعالى فوق كل شيء سواه؛ لأنه أقدر من كل قادر وأعلم من كل عالم وكل قادر عالم سواه محتاج إليه وهو تعالى غني عنه ومعنى الملك الحق: أن يحق له الملك؛ فإن كل ملك سواه يملك بعض الأشياء ويبيد ملكه[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾ قال الحسن: كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه القرآن، عجل بقراءته؛ مخافة نسيانه وكان يقرأ مع الملك مخافة أن يذهب عنه شيء، فنهي عن ذلك[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ معناه: زدني حفظاً حتى لا أنساه، ويُقال: أنزلت هذه الآية في رجل لطم وجه امرأته، فجاءت تلتمس القصاص، فجعل النبي ﷺ بينهما القصاص، فأنزل الله تعالى هذه الآية، أي: لا تعجل بإيجاب القصاص من قبل أن ينزل عليك القرآن[٦].

---

(١) تنوير المقباس (ص٢٦٦)، وانظر تفسير الطبري (١٨/ ٣٨١).

(٢) آية (٤٤) سورة الزخرف.

(٣) معاني القرآن للفراء(٢/ ١٩٣)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٦١٠) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله، وذكره الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٢٨) من قول الضحاك بمثله.

(٤) انظر تفسير الرازي (٢٢/ ١٠٤).

(٥) لم أقف عليه من قول الحسن ﷺ، وإنما جاء هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما كما في تنوير المقباس (ص٢٦٧)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٣٦-٢٤٣٧) عن السدي بنحوه.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٢٩١-٢٩٢) عن الحسن وقتادة وابن جريج والسدي بنحوه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٣٧)عن الحسن بمثله، وانظر العجاب في بيان الأسباب (٢/ ٨٦٨). ⇐=

قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾

معناه: ولقد عهدنا إلى آدم ألا يأكل من هذه الشجرة، فنسي، قيل: معناه: فترك المأمور به(1).

وقيل: معناه: نسي ذلك من النسيان الذي هو ضد الحفظ(2)، ثم اختلفوا في

= وهذه القصة ذكر المصنف أنها سبب لنزول هذه الآية، ولعل الأقرب أنها سبب لنزول قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ من سورة النساء، وأما سبب نزول هذه الآية فهو ما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٣٦-٢٤٣٧) عن السدي قَالَ: "كَانَ النَّبِيّ ﷺ، إِذَا نزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتي يشق علي نفسه يتخوف أن يصعد جبريل، ولم يحفظه فينسي مَا علمه، فقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾، وهذا أصح كما ذكر ذلك الإمام السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول / المؤلف: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبدالشافي، الناشر: دار الكتب العلمية -(ص١٣٢).

(١) تنوير المقباس (ص٢٦٧)، وذكره السمرقندي في تفسيره (٢/ ٤١٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٨٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما وعطية بنحوه، وذكره السمرقندي في تفسيره (٢/ ٤١٤) بنحوه ونسبه للقتبي. أما على القول الأول فلا إشكال في قوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ (طه:١٢١)، وأما على الثاني ففيه إشكال معروف. لأن الناسي معذور فكيف يُقال فيه وعصى آدم ربه فغوى؟

والجواب عن ذلك: أن العذر بالنسيان والخطأ والإكراه من خصائص هذه الأمة، ومما يدل على هذا ما =⇦

معنى هذا النسيان. قال بعضهم: إنما نسي الاستدلال بالنهي، فحمل النهي على التنزيه لا على التحريم[1]. وقال بعضهم: إن الله تعالى أشار بالنهي إلى شجرة بعينها، فقال له: لا تأكل من هذه الشجرة وأراد به جنس تلك الشجرة، فنسي آدم الاستدلال بذلك على الجنس، فحمل النهي على العين[2] وهذا كما رُوي عن النبي ﷺ « أنه أخذ الذهب بإحدى يديه والحرير بالأخرى، فقال: هذان محرمان على ذكور أمتي، حل لإناثهم»[3] وأراد به الجنس دون العين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ۝١١٥﴾ أي: حزماً وقيل: عقداً ثابتاً وجاء في الحديث « لو وُزِن حلم بني آدم مذ كان آدم إلى أن تقوم الساعة ضاق جميع حلمهم

= ثبت في صحيح مسلم (١/ ١٦٦) (كتاب الإيمان / باب: قوله ﷻ ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ (البقرة:٢٨٤) / ح١٢٦) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما: أن النبي ﷺ لما قرأ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، قال الله نعم قد فعلت. فلو كان ذلك معفواً عن جميع الأمم لما كان لذكره على سبيل الامتنان وتعظيم المنة عظيم موقع. ويستأنس لذلك بقوله: ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ (البقرة:٢٨٦). انظر: أضواءالبيان (٤/ ٦٤٨).

(١) انظر تفسير ابن عطية(٤/ ٦٧)، انظر تفسير القرطبي (١/ ٣٠٦).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه / المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الناشر: المكتبة العصرية، (٤/ ٥٠) (كتاب اللباس/ باب: في الحرير من النساء / ح٤٠٥٧)، والنسائي في سننه/ المؤلف: أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)- تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية- (٨/ ١٦٠) (كتاب الزينة / باب: تحريم الذهب على الرجال / ح٥١٤٤) كلاهما قالا حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي أفلح الهمداني، عن عبدالله بن زرير يعني الغافقي، أنه سمع علي بن أبي طالب ﷺ، يقول: إن نبي الله ﷺ: أخذ حريراً فجعله في يمينه، وأخذ ذهباً فجعله في شماله ثم قال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي». قال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب / المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف، الطبعة: الخامسة - (٢/ ٢٢٤) " صحيح لغيره ".

وحزمهم عن حلم آدم عليه السلام[1] قال الله عز وجل: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ معناه: أمرنا الملائكة أن يسجدوا نحوَ آدم تحية له[3] وعبادة لله تعالى لا لآدم عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ /إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ أي: استثناء منقطع[4]، كما يُقال: قامت الأشراف للرئيس إلا العامي، الذي لا يلتفت إليه، وإنما جاز هذا الاستثناء وإن كان منقطعاً، لدخوله معهم في الأمر؛ لأن الملائكة إذا أمروا بالسجود اقتضى أن من دونهم داخل معهم، كما أنه إذا أمر الكبراء بالقيام للأمير، اقتضى أن صغار الأقدار دخلوا معهم في هذا الأمر[5]. [ل٣٩٩/أ]

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ﴾ معناه: بينا له عداوة إبليس له ولامرأته وحذرناهما

---

(١) في هامش نسخة الأصل كَتَبَ الناسخ: (هذا عام وقد خَصَّهُ قوله تعالى ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ﴾ الأحقاف: (٣٥)فيكون مخصوصاً بالكتاب أنه أفضل بني آدم ما عدا أولى العزم).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٨٤-٣٨٥)، عن أبي أمامة رضي الله عنه به، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه (٧/ ٤٤٤) من طريق الفرج بن فضالة أبي فضالة به، وهذا الأثر موقوف على أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) تنوير المقباس (ص٢٦٧).

(٤) على قول من قال هو من قبيلة غير الملائكة يُقال لها الجن، والاستثناء متصل في قول من جعل إبليس من الملائكة، وممن جزم بأنه ليس من الملائكة الحسن البصري، ونصره الزمخشري في تفسيره (٣/ ٩١) ولعله الأقرب لأمرين:

أحدهما/ عصمة الملائكة من ارتكاب الكفر الذي ارتكبه إبليس. كما قال تعالى عنهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ (التحريم:٦)، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (الأنبياء:٢٧)، والثاني/ أن الله صرح في سورة الكهف بأنه من الجن، والجن غير الملائكة، فقوله تعالى ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ (الكهف: ٥٠)، هو أقوى شيء في المسألة من نصوص الوحي. انظر: أضواء البيان(٣/ ٢٩٠-٢٩١).

(٥) انظر تفسير البحر المحيط (٧/ ٣٩٠).

من أن يميلا إليه ويقبلا منه، فيكون ذلك سبباً لخروجها من الجنة[(١)] وللشدائد التي تكون في الدنيا من جوع وعطش وفقر وتعب في طلب الغذاء واللباس وهذا معنى قوله: ﴿فَتَشْقَىٰٓ ١١٧﴾ أي: تتعب بالأكل من كد يديك وما تكسبه لنفسك[(٢)]، وأجرى فتشقى على خطاب الواحد والمعنى: فتشقى أنت وزوجك؛ لأن أمرهما في السبب واحد، فاستوى حكمهما لاستوائهما في العلة[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ فيه بيان: أنهما ما أقاما في الجنة على طاعة الله تعالى، فلا جوع ولا عري؛ لكثرة نبات الجنة وأنواع[(٤)] ثمارها ومن قرأ ﴿وَأَنَّكَ﴾ بالنصب[(٥)]كان عطفاً على أن لا تجوع.

ومعنى ﴿لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ١١٩﴾: لا تعطش فيها ولا يصيبك حر الشمس، فتؤذيك[(٦)]؛ لأن الشمس إنما خلقها الله تعالى في سماء الدنيا نوراً لمن أسكنه

---

(١) مجمع البيان للفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨ للهجرة) _ انتشارات ناصر خسرو، إيران، ط١، سنة ١٤٢١ للهجرة -(٧/ ٦٢).

(٢) انظر بحر العلوم(٢/ ٤١٥).

(٣) انظر النكت والعيون (٣/ ٤٣٠).

(٤) في نسخة (ب): (ألوان).

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم ﴿وَأَنَّكَ﴾ مفتوحة الألف، وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر ﴿وَإِنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا﴾ بكسر الألف. انظر كتاب السبعة لابن مجاهد(ص٤٢٤)، الحجة في القراءات السبع / المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبدالله (المتوفى: ٣٧٠هـ)-المحقق: د. عبدالعال سالم مكرم، الناشر: دار الشروق - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ - (ص٢٤٧)، واختار الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٨٦) قراءة النصب.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٣٨) عن عكرمة بمثله، انظر معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي / المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)-المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبدالله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ -(٥/ ٢٩٩).

الأرض وليست في السماء السابعة ولا في الجنة شمس[١]، يتأذى أحد بحرها وإنما في الجنة نور وضياء.

وقوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ معناه: وسوس إلى آدم؛ ليأكل من الشجرة قال:

يا آدم، هل أدلك على شجرة الخلد، أي: على شجرة من أكل منها خلد وبقي في ملك لا يفنى[٢].

قوله عز وجل: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾

معناه: فأكلا من الشجرة وإنما أكلا منها على وجه الخطأ[٣] في التأويل، لا تعمداً

---

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه / المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)-المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ -(٧/ ٤٧٠٨)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد / المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (المتوفى: ٤٦٨هـ)-تحقيق وتعليق: الشيخ عادل عبدالموجود، الشيخ علي معوض، الدكتور أحمد صيرة، الدكتور أحمد الجمل، الدكتور عبدالرحمن عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ -(٣/ ٢٢٤)، تفسير البغوي(٥/ ٢٩٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٨٧) عن قتادة بنحوه.

(٣) بل ذلك مقدر على آدم عليه الصلاة والسلام فإن الله عز وجل قدر عليه أن يقع في هذه المصيبة وقد احتج آدم عليه الصلاة والسلام بالقدر على هذه المصيبة، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري (٦/ ٩٦) (كتاب التفسير / باب: قوله عز وجل ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ (طه:١١٧) / ح٤٧٣٨)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٢) (كتاب القدر / باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام / ح٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " حاج موسى آدم، فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم، قال: قال آدم: يا موسى، أنت الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، أتلومني على أمر كتبه الله علي قبل أن يخلقني - أو قدره علي قبل أن يخلقني - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فحج آدم موسى "

⇐=

للمعصية إذ الأنبياء صلوات الله عليهم لا يتعمدون المعصية، فهم أشد خوفاً من الله تعالى أن يفعلوا ذلك وقد تقدم ذكر التأويل من وجهين[(١)] قال الحسن‏ﷺ: وإنما حلف إبليس لهما بقوله والله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، فإنهما لم يصدقاه ولكن فعلا ذلك لشهوتهما، كما يقول الغاوي لإنسان: ازنِ بهذه المرأة؛ فإنك إن زنيت بها لم تُحد، فلا يصدقه ويزني بها لشهوته[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ معناه: ظهرت لهما عوراتهما وإنما جمعت السوءات ولم تثنَّ؛ لأن كل شيء من شيئين فهو جمع في موضع التثنية، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾؛ لأن الإضافة إلى تثنية[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا﴾ معناه: وجعلا يقطعان عليهما من ورق الجنة ويجعلانه على أنفسهما[(٤)]، يُقال: طفق يفعل كذا، بمعنى: ظل يفعل وجعل يفعل[(٥)]، والخصف [حظ][(٦)] الشيء يقطعه من غيره، يُقال: خَصَفَه يَخْصِفُه خَصْفاً وهو خَاصِف وخَصَّاف[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾ معناه: عصى بأكله من الشجرة، كما يُقال: عصى في كذا، فغوى، أي: خاب فيما طلبه بأكل هذه الشجرة، يُقال: غَوى يَغْوِي

= وهذا الحديث له طرق في الصحيحين، وغيرهما من المسانيد، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٣٨-٢٤٣٧) عن أبي هريرة ﷺ بنحوه.

(١) عند تفسير الآية السابقة (١٢٠) من نفس السورة.

(٢) لم أقف عليه فيما بين يدي من المصادر.

(٣) ذكره الرازي في تفسيره، بمثله/ مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٠٨).

(٤) انظر تفسير مقاتل (٣/ ٤٤).

(٥) غريب القرآن للسجستاني (ص٣١٧)، المفردات في غريب القرآن (ص٥٢١).

(٦) في النسختين (حط)، ولعل الأقرب هو ما أثبته.

(٧) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب (ص٢٨٤)، تهذيب اللغة (٧/ ٦٩) مادة " خصف".

غيّاً وغِوَايةً إذا خاب[1].

قال الشاعر:

فمن يلقَ خيرا يحمد الناس أمره ومن يغوِ لا يعدم على الغي لائما[2]

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ معناه: ثم اجتباه للرسالة وقيل: قرّبه وهداه إلى ذكره[3].

قوله ﷻ: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ١٢٧﴾

معناه: قال الله تعالى لهما: اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو، أراد به آدم عليه السلام وذريته وإبليس وذريته[4].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٧٦)، مقاييس اللغة (٤/ ٣٩٩)، أورد العسكري في معجم الفروق اللغوية / المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)-المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ -(/ ١/ ٣٩٢)

(٢) البيت للمرقش الأصغر: ربيعة بن سليمان بن سعد بن مالك ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وهو ابن أخي المرقش الأكبر، وعم طرفة بن العبد انظر: المفضليات / المؤلف: المفضل بن محمد الضبي (المتوفى: نحو ١٦٨هـ)-تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبدالسلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف – القاهرة، الطبعة: السادسة -(ص٢٤٧).

(٣) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٣٨٨).

(٤) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٣٨٩)، أورده ابن الجوزي في تفسيره = زاد المسير في علم التفسير / المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)-المحقق: عبدالرزاق =

وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا /يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ أراد به الكتاب والرسول[1]. قال [ل٣٩٩/ب] عبدالله بن عباس { : ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل به ألا يَضِل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ فالضنك في اللغة: هو الضيق[3] الصعب، يُقال: منزل ضنك وعيش ضنك لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث؛ لأن أصله المصدر ثم وصف به[4]. قال عنترة[5]:

وإن نزلوا بضنك فانزل[6].

= المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ -(٣/ ١٨٠) من قول مقاتل ~ بمثله.

(١) تنوير المقباس (ص٢٦٧)، انظر تفسير البغوي(٥/ ٣٠٠)، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (/ ٣/ ١٨٠) بمثله ولم ينسبه، وذكره القرطبي في تفسيره (١١/ ٢٥٨) بمثله ولم ينسبه.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٨٩) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٣٨) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه، وذكره الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٣١) بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٩١) عن مجاهد وقتادة رحمهما الله تعالى بنحوه، وانظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٩٤)، وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٧٨)، غريب القرآن لابن قتيبة / المؤلف: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)-المحقق: سعيد اللحام -(ص٢٤١).

(٤) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٣٩٠)، انظر لسان العرب لابن منظور (١٠/ ٤٦٢).

(٥) هو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية العبسيّ: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة. وكان مغرماً بابنة عمه " عبلة " فقل أن تخلو له قصيدة من ذكرها. انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٩١).

(٦) هذا جزء من عجز بيت لعنترة بن عمرو بن شداد العبسي، والبيت بتمامه هو:

إن يلْحَقوا أكرر، وإن يستَلْحِموا أشدد، وإن نزلوا بضنك أَنْزل

=⇦

وقد اختلفوا في معنى الضنك في هذه الآية رُوي عن عبدالله بن عباس أنه قال: معناه: أن يكون عيشه مُنَغّصاً عليه؛ لأنه غير موقن بالخلف والجزاء[١]، قال عبدالله بن مسعود وأبو سعيد الخدري وأبو صالح والسدي: هو عذاب القبر يضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه[٢]، وقال الحسن وقتادة: هو الضريع والزقوم في النار[٣]، وقال عكرمة[٤] والضحاك: هو الحرام في الدنيا الذي يؤدي إلى النار[٥][٦].

= انظر: عيار الشعر / المؤلف: محمد بن أحمد طباطبا (المتوفى: ٣٢٢هـ)، المحقق: عبدالعزيز المانع، الناشر: مكتبة الخانجي - (ص٨٧)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه / المؤلف: أبو علي الحسن بن رشيق (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الناشر: دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ ه - (٢/ ٢٣).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٩٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٤٠) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٩٢-٣٩٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٣٩-٢٤٤٠) كلاهما عن أبي هريرة وابن مسعود وأبي سعيد الخدري رضى الله عنهم بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٩١) عن الحسن وقتادة وابن زيد بمثله، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٤٠) عن ابن زيد بنحوه.

(٤) هو عكرمة أبو عبدالله القرشي مولاهم العلامة، الحافظ، المفسر، يقول: عن نفسه رحمة الله طلبت العلم أربعين سنة، وكنت أفتي بالباب، وابن عباس في الدار، قيل لسعيد بن جبير: تعلم أحداً أعلم منك؟

قال: نعم، عكرمة، ويقول الشعبي: " ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة"، مات رحمة الله بالمدينة، سنة أربع ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ١٢)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٦٣).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٩١-٣٩٢) عن عكرمة والضحاك وقيس بن أبي حازم بنحوه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٤٠) عن عكرمة ومالك بن دينار والضحاك بنحوه.

(٦) رجح الإمام الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٩٤): أن المراد به عذاب القبر لما جاء في مسند أبي يعلى (١١/ ٥٢١) برقم (٦٦٤٤) عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: " أتدرون فيما أنزلت هذه الآية: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه: ١٢٤)، قال: أتدرون ما المعيشة الضنك؟، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليهم تسعة وتسعون =⇦

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ قال عبدالله بن عباس: يبعث الكافر بصيراً فإذا سيق إلى المحشر، عمي[1] وهو قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾، ويُقال: معناه: أعمى عن أن تكون[2] له حجة[3] وقيل: أعمى عما ينفعه[4].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾. معناه: تعرضت لنسيانها، فإن النسيان ليس من فعل الإنسان؛ ليتوعد عليه ولكنه حري في الذكر على نسيان الآيات للتحذير من الوقوع فيه[5]. وقيل معنى فنسيتها: تركت العمل بها والإقرار بها[6]

= تنيناً، أتدرون ما التنين؟، قال: تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رءوس ينفخون في جسمه ويلسعونه، ويخدشونه إلى يوم القيامة "، ثم أجاب الإمام الطبري ~ عمن قال: إن المراد به عذاب الآخرة بقوله: إن الله تبارك وتعالى اتبع ذلك بقوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ ومفهوم ذلك أنه تقدّمه عذاب لهم قبل الآخرة، حتى يكون الذي في الآخرة أشدّ منه، وأما من قال: إن المراد به عذاب الدنيا بحيث تكون معيشة منغصة عليه أو بفعله للحرام في الدنيا، فهذا يلزم منه أنه كلّ من أعرض عن ذكر الله من الكفار، فإن معيشته فيها ضنك، وفي وجودنا كثيراً منهم أوسع معيشة من كثير من المقبلين على ذكر الله تبارك وتعالى، مما يدلّ على أن ذلك ليس كذلك، وإذ خلا القول في ذلك من هذين الوجهين صحّ الوجه الثالث، وهو أن ذلك في البرزخ. اهـ بتصرف يسير.

(١) تفسير الطبري(١٨/ ٣٩٥)، وأورده ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٨١) من طريق أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله.

(٢) في نسخة (ب): (يكون).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٩٤-٣٩٥) عن مجاهد وأبي صالح بنحوه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٤٠) عن مجاهد بنحوه.

(٤) والآية عامة قد تشمل الأقوال الثلاثة وقد قال: الإمام الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٩٥): " والصواب من القول في ذلك ما قال الله تعالى، وهو أنه يحشر أعمى عن الحجة ورؤية الشيء كما أخبر جلّ ثناؤه، فعمّ ولم يخصص" وهذا من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد.

(٥) انظر مجمع البيان للطبرسي (٧/ ٦٥).

(٦) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٣٩٦).

وكذلك اليوم تترك في النار[(١)] وعلى القول الأول يصير بمنزلة من يترك في المنسي بعذاب لا يفنى[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ على نفسه بالمعاصي ولم يؤمن بآيات ربه، كما نجزي هذا المتقدم ذكره.

وقوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ﴾ معناه: هو أشد من عذاب الدنيا وأدوم؛ لأن عذاب الدنيا ينقطع[(٣)].

قوله ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾

من قرأ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ بالياء[(٤)] فالمعنى: ألم يتبين لهم الأمر بإهلاكنا من قبلهم من القرون[(٥)]؟ وكم في موضع نصب بأهلكنا[(٦)]، وكانت قريش تتجر إلى الشام، فترى مساكن قوم لوط وثمود وفيها علامات الإهلاك[(٧)]. ومن قرأ ﴿ ـــد﴾

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٩٦) عن أبي صالح ومجاهد بنحوه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٤١) عن السدي بمثله.

(٢) انظر مجمع البيان للطبرسي (٧/ ٦٥).

(٣) انظر تنوير المقباس (ص٢٦٧).

(٤) لم أقف عليه في شيء من كتب القراءات التي بين يدي. ولكن ذكر أبو حيان في تفسيره (٧/ ٣٩٦) أن قراءة الجمهور (يَهْدِ) بالياء..

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٧٩)، انظر تفسير البحر المحيط (٧/ ٣٩٦).

(٦) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٩٥)، انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٣/ ٣٧٩).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٩٧) عن قتادة بمثله، انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٩٥)، انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٣/ ٣٧٩).

بالنون[1] فالمعنى: أفلم نبين لأهل مكة بياناً، يهتدون به، فيرتدعون عن المعاصي[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ معناه: لولا إخبار الله تعالى قبل كونهم في الدنيا، أنه يمهلهم ويبقيهم إلى وقت قيام الساعة وإلى وقت مماتهم، لكان العذاب لازماً واقعاً في الحال، ويُقال: لكان القتل الذي نالهم يوم بدر[3] لازماً لهم أبداً وتقدير الآية ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى، لكان لزاماً[4].

وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من الشتم والتكذيب فسيعود عليهم وبال ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ معناه: صلِ صلاة الفجر وقبل غروبها صلاة العصر ومن آناء الليل صلاة العشاءين وأطراف النهار[5]. قال قتادة: صلاة الظهر[6] كأنه ذهب إلى أن آخر النصف الأول من النهار طرف وأول النصف الثاني طرف وقال الحسن: وقبل غروبها صلاة الظهر والعصر وأطراف النهار

---

(١) لم أقف عليه في شيء من كتب القراءات التي بين يدي. ولكن ذكر ابن عطية في تفسيره (٤/ ٦٩) أنها قراءة ابن عباس والسلمي (نهد). انظر: تفسير القرطبي(١١/ ٢٦٠)، تفسير البحر المحيط (٧/ ٣٩٦).

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٧٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٠٠) عن ابن زيد بنحوه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٤١) عن السدي بنحوه،.

ويوم بدر هو اللزام وهو البطشة الكبرى، كما أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الجمعة/ بَابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ»/ ح١٠٠٧) وكذا أخرجه في (كتاب التفسير/ بَابُ ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ / ح٤٧٦٧).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٤١) عن قتادة بمثله، أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٩٩) عن قتادة وابن زيد بمثله.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٠١) عن قتادة بنحوه.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٠١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٤١) كلاهما عن قتادة بمثله.

صلاة التطوع[١]. ويُقال: أراد بأطراف النهار الظهر والعصر والصبح[٢]. ويجوز أن يُعاد ذكر صلاة قد تقدم ذكرها تأكيداً لفرضها.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ من قرأ بفتح التاء[٣] معناه: أقم هذه الصلوات؛ لكي تُعطى من الثواب ما ترضى[٤]. ومن قرأ بضم التاء[٥]، فالمعنى لكي تصير مُرضى وتسمى مرضى[٦].

----

(١) انظر النكت والعيون للماوري (٣/ ٤٣٢).

(٢) وهو قول الفراء. انظر معاني القرآن (٢/ ١٩٥)، والمعنى الثاني لهذه الآية هو تنزيه اللهَّ تعالى وتسبيحه في هذه االأوقات، ولعله الأقرب وقد نسبه الرازي في تفسيره إلى أبي مسلم واختاره وهو الأوفق للسياق ولاشك أن السياق من أقوى المرجحات (وذلك لأنه تعالى صبره أولا على ما يقولون من تكذيبه ومن إظهار الشرك والكفر، والذي يليق بذلك أن يأمر بتنزيهه تعالى عن قولهم) انظر مفاتيح الغيب للرازي (٢٢/ ١١٣)، وقال الشوكاني في تفسيره= فتح القدير / المؤلف: محمد بن علي الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ- (٣/ ٤٦٥): (ولو قيل: ليس في الآية إشارة إلى الصلاة، بل المراد التسبيح في هذه الأوقات، أي: قول القائل سبحان الله، لم يكن ذلك بعيدا من الصواب، والتسبيح وإن كان يطلق على الصلاة ولكنه مجاز، والحقيقة أولى إلا لقرينة تصرف ذلك إلى المعنى المجازي).

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ بِفَتْح التَّاء، وروى هبيرة عن حفص عن عاصم بفتح التاء وكذلك عمرو بن الصباح عن حفص عن عاصم. السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص٤٢٥).

(٤) انظر: الحجة في القراءات لابن خالويه (ص٢٤٨)، ومعاني القراءات للأزهري (٢/ ١٦٠).

(٥) وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر والكسائى ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ بِضَم التَّاء، وروى أبو عمارة عن حفص عن عاصم ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ مَضْمُومَة التَّاء، والمعروف عن حفص عن عاصم ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ بِالْفَتْح. السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص٤٢٥).

(٦) والأمر فيهما قريب لأن من أرضي فقد رضي ودليله قوله تعالى راضية مرضية. انظر: الحجة في القراءات لابن خالويه (ص٢٤٨)، ويقول أبومنصور الأزهري في معاني القراءات / المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - (٢/ ١٦٠) " والمعنى واحد ".

قوله ﷻ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾[1]

معناه: ولا تنظرن بعين الرغبة إلى ما متعنا به / رجالاً منهم زينة الحياة الدنيا [ل٤٠٠/أ] لنختبرهم فيما أعطيناهم[2] من الزينة ويُقال: ليكون تشديداً في التعبد لهم من حيث يلزمهم التواضع للمؤمنين والإنفاق عليهم ورزق ربك الذي وعدك في الآخرة خير وأبقى مما رزق هؤلاء[3] وقيل: سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ استسلف من يهودي طعاماً، فأبى أن يُسلِفَه إلا برهن، فحزن رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية تسلية له[4] والإمتاع في اللغة: هو الإلذاذ بما يُدرَك وذلك بما يرى من المناظر الحسنة ويُسمع

---

(١) عند هذه الآيات كَتَبَ الناسخ في هامش نسخة الأصل (قوله ﷻ ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي زينتها، والزَهَرة بفتح الزاي والهاء: نور النبات، والزُهْرة بضم الزاي وسكون الهاء النجم، وبنوا زهْرة بإسكان الهاء: بطن من قريش)

(٢) انظر تفسير الطبري(١٨/ ٤٠٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه الواحدي في أسباب نزول القرآن / المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (المتوفى: ٤٦٨هـ)- المحقق: عصام الحميدان، الناشر: دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ -(ص٣٠٣-٣٠٤) من طريق روح عن موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد عن عبدالله بن قسيط عن أبي رافع به. وفيه موسى بن عبيدة الربذي، ضعيف ليس بشيء، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٠٣) من طريق موسى بن عبيدة بالإسناد السابق مختصراً، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٠٣) من وجه آخر من حديث أبي رافع، وفيه الحسين بن داود، وهو ضعيف، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير / المؤلف: سليمان بن أحمد الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)-المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية- (١/ ٣٣١) برقم (٩٨٩)، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد: (٤/ ١٢٦) وهو كما قال: بسبب موسى بن عبيدة هذا من جهة الإسناد، ومن جهة المتن ضعَّفه ابن عطية بأن الآيه مكّية والحادثة مدنية في آخر عمر الرسول ﷺ. فعليه الإسناد ضعيف، والمتن منكر. انظر: تقريب التهذيب(٢/ ٢٨٦)، وتفسير ابن عطية (٤/ ٧٠).

من الأصوات المطربة، ويُشم من الروائح الطيبة والتمتيع: تكثير الإمتاع[(١)]. وقيل في معنى أزواجاً: أشكالاً منهم[(٢)] من المزاوجة بين الأشياء وهي المشاكلة وذلك لأنهم أشكال في الذهاب عن الصواب[(٣)] والزهرة هي الأنوار التي تروق عند الرؤية ويُقال للمعاني الحسنة: زهرة النفوس[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ التي تعبدكم الله تعالى بها وعلى الصبر عن محارم الله تعالى، لا نسألك رزقاً لخلقنا ولا لنفسك، لم نخلقك لحاجتنا إليك كحاجة السادة إلى عبيدهم، بل نحن نرزقك ونرزق جميع من خلقنا والعاقبة المحمودة لمن يتقي الله تعالى ولا يعصيه وعن رسول الله ﷺ: « أنه كان إذا دخل عليه بعض الضيق في الرزق أمر أهله بالصلاة، ثم قرأ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾[(٥)]

---

(١) انظر تهذيب اللغة للأزهري (٢/ ١٧٣).

(٢) انظر غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٠٤).

(٣) من قوله (والإمتاع) إلى قوله (عن الصواب) منقول بالنص من تفسير الرازي (٢٢/ ١١٥).

(٤) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٣٣)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٤١).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط / المؤلف: سليمان بن أحمد الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله، عبدالمحسن الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة -(١/ ٢٧٢) برقم (٨٨٦)، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة – (٨/ ١٧٦) كلاهما عن سعيد، عن عبدالله بن المبارك، عن معمر، عن محمد بن حمزة بن يوسف، عن أبيه، عن جده، عن عبدالله بن سلام قال: كان النبي ﷺ فذكره بمثله.

يقول العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار / المؤلف: أبو الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، الناشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ -(ص١٦٠٣) "ومحمد بن حمزة بن يوسف بن عبدالله بن سلام إنما ذكروا له روايته عن أبيه عن جده فيبعد سماعه من جد أبيه".

وروايته عن عبدالله بن سلام منقطعة، قال: ابن حجر في تهذيب التهذيب / المؤلف: ابن حجر (المتوفى: ٨٥٢هـ) الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ -(٩/ ١٢٧): " روى عن أبيه، عن جده عبدالله بن سلام، وقيل: عن أبيه، عن جده، عن عبدالله بن سلام ". أهـ

⇦=

إلى آخر الآية(١) ».

قوله تَعَالَى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾

معناه: وقال أهل مكة: لولا يأتينا محمد ﷺ بآية من ربه أرادوا به الآية التي اقترحوها أو لم يأتهم بيان ما في التوراة والإنجيل من البشارة بها وافقها من صفة النبي ﷺ وإنما قال ذلك؛ لأنه لو جاءهم ما كانوا يتحكمون في طلب الآيات ثم لم يؤمنوا، أُخذوا بعذاب الاستئصال(٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم ﴾ معناه: لو أنا أهلكناهم بعذاب الاستئصال من قبل إرسال الرسل، لقالوا: هلّا أرسلت إلينا رسولاً يرشدنا إلى دينك، فنتبع دلالتك من قبل أن نذل في الدنيا بالقتل ونهون ونفتضح في الآخرة بالعذاب(٣) وفي الآية دلالة أن الله تعالى إنما أرسل الرسل لعلمه(٤) بأن في الأمم من يصلح بإرسال الرسل ولو لم يرسل إليهم، لاحتجوا، فقالوا: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ ﴾ معناه: نحن ننتظر بكم ما وعدنا الله تعالى لنا فيكم وأنتم تنتظرون أبداً أن نموت، فتستريحوا منا وذلك أنهم كانوا يقولون: نتربص

= وعلى هذا، فالذي سقط من هذا الإسناد هو أبوه حمزة على ما حكاه ابن حجر ~ . وعليه يكون الإسناد منقطع.

(١) يريد تكملة الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (طه:١٣٢).

(٢) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٤٠٦).

(٣) انظر تفسير الطبري(١٨/ ٤٠٧)، وأورده ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٨٣) بنحوه ولم ينسبه.

(٤) في نسخة (ب): (بعلمه).

بمحمد ﷺ ريب المنون[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ معناه: ستعلمون بعد هذا من أصحاب الطريق المستقيم ومن اهتدى إلى رشده وصلاحه نحن أوأنتم وجعل الدين صراطاً[(٢)] في سعة اللغة من حيث يؤدي إلى الجنة. وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « من قرأ سورة طه، أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار»[(٣)].



---

(١) ذكره السمرقندي في تفسيره (٢/ ٤١٨) عن مقاتل بمثله. وهم يعنون بذلك الموت.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١١/ ٢٦٥) بمثله ولم ينسبه.

(٣) هو جزء من الحديث الطويل في بيان فضائل القرآن سورة سورة، رواه العقيلي في الضعفاء الكبير / المؤلف: أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي (المتوفى: ٣٢٢هـ)، المحقق: عبدالمعطي قلعجي، الناشر: دار المكتبة العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ -(١/ ١٥٦)، والمصنف بإسناده المذكور في آخر التفسير جـ٣ق٢٠٠/ ب، وابن الجوزي في الموضوعات / المؤلف: جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)-ضبط وتقديم وتحقيق: عبدالرحمن عثمان، الناشر: محمد عبدالمحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى-(١/ ٢٤٠-٢٤١)، كلها بأسانيد ساقطة. وقال ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٤٠): " وهذا حديث في فضائل السور مصنوع بلا شك "، وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة / المؤلف: محمد بن علي الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) -المحقق: عبدالرحمن المعلمي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان - (ص٢٩٦): " ولا خلاف بين الحفاظ بأن حديث أبي بن كعب هذا موضوع ".

سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

مكية كلها[١] وهي مائة وإحدى عشرة آية عند البصريين واثنتا عشرة آية عند الكوفيين[٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾

معناه: اقتربت القيامة والاقتراب: قصر مدة الشيء بالإضافة إلى ما مضى من زمانه[٣] ومعنى الحساب هاهنا: إظهار ما للعبد وما عليه ليجازى على ذلك[٤].

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٦/ ٩٦) (كتاب التفسير / باب قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧)﴾ (طه:١١٧)/ ح٤٧٣٩) عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: في " بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: هن من العتاق الأول، وهن من تلادي ". قال: الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري / المؤلف: أحمد بن علي العسقلاني، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ه، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبدالعزيز بن باز-" الجمهور على أنها مكية وشذ من قال خلاف ذلك "، فتح الباري(٨/ ٤٣٥).

(٢) البيان في عدّ آي القرآن / المؤلف: عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)-المحقق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ -(ص١٨٧)، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن / المؤلف: أبو الفرج عبدالرحمن الجوزي (المتوفى ٥٩٧ هـ)-دار النشر: دار البشائر - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى - ١٤٠٨ هـ-(ص٢٩٤).

(٣) أورده الزمخشري في تفسيره (١٣/ ٤٤١) بمعناه ولم ينسبه، وذكره القرطبي في تفسيره (١١/ ٢٦٧) بمثله ولم ينسبه.

(٤) انظر تهذيب اللغة (٤/ ١٩٢).

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ أي: في غفلة عن قرب الحساب والموت معرضون/ عن الفكر في ذلك والتأهب له وهذا من الله تعالى عظة وتنبيه؛ لئلا يغفلوا عن الآخرة[١]. [ل٤٠٠/ب]

وقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ معناه: ما يأتيهم من وحي محدث تنزيله إلا استمعوه وهم يلعبون. قال الحسن وقتادة { : كلما جدد لهم الذكر، استمروا على الجهل[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ منصوب بقوله تعالى: يلعبون[٣] ومعناه: ساهية غافلة من لَهِيت عن الشيء أَلْهَى إذا غفلت عنه[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ معناه: وأضمروا فيما بينهم المناجاة، ثم بين من هم، فقال ﷻ: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وفيه من الإعراب رفع من وجه آخر وهو الرفع على البدل من المضمر في وأسروا[٥]، كما في قوله تعالى ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾[٦] ويجوز أن يكون الذين خفضاً نعتاً للناس على معنى: اقترب للناس الذين هذه

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٤٠٩).

(٢) أورده الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٣٦)، والقرطبي في تفسيره (١١/ ٢٦٨) كلاهما من قول الحسن بمثله.

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٩٨)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٨٣).

(٤) ذكره السجستاني في غريب القرآن المسمى "بنزهة القلوب" / المؤلف: محمد بن عُزير السجستاني، (المتوفى: ٣٣٠هـ)-المحقق: محمد جمران، الناشر: دار قتيبة - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - (ص٤٩٨) بنحوه ولم ينسبه، وانظر المفردات في غريب القرآن للراغب (ص٧٤٩).

(٥) إعراب القرآن / المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبدالمنعم إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ (٣/ ٤٥-٤٦).

(٦) جزء من آية (٧١) سورة المائدة.

حالهم[1]، ثم بين النجوى التي أسروها فيما بينهم بقوله تعالى: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أطلع الله ﷻ النبي ﷺ على قيلهم وسرهم أي: أنهم قالوا: هل محمد ﷺ إلا بشر مثلكم فلماذا تتبعون بشراً مثلكم أفتقبلون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر[2]؟ وكانت هذه علة ضعيفة منهم؛ لأن الرسول ﷺ لا بد أن يكون عبداً لله تعالى، لأن من سوى الله، فكلهم مملوكون لله تعالى، ثم لا بد أن يكون الرسول ﷺ شخصا مشاهداً؛ ليسمعوا كلامه، فيتبعوه، ثم إذا كان شخصاً مشاهداً فلا فرق بين أن يكون على صفة البشر أو على صفة الملك، بل كونه على صفة البشر أولى؛ لأنه بمنزلة المعلم للخير لهم، وكان الأولى أن يكون بحيث يقعد معهم، فيدعوهم إلى الخير والرشد ويقيم الحجة عليهم، فعلم أن الذي قالوه كان ظناً منهم بالجهل[3].

قوله ﷻ: ﴿قُلْ رَبِّي[4] يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾

معناه: قل لهم يا محمد ﷺ: ربي الذي أعبده وأدعو إلى عبادته هو الذي يعلم ما يسره العباد من القول في السماء والأرض وهو السميع لذلك كله العالم بما يجري عليه ومن هذه صفته. فهو الذي يجب أن يعبد دون الأصنام ويُقرأ ﴿ قَالَ رَبِّي﴾[5] على

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٩٨)، وذكره مكي في مشكل إعراب القرآن / المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب (المتوفى: ٤٣٧هـ)-المحقق: د. حاتم الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ ه-(٢/ ٤٧٧) بنحوه ولم ينسبه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٤٤) عن السدي بنحوه، وذكره السمرقندي في تفسيره (٢/ ٤١٩) بمثله ولم ينسبه.

(٣) انظر تفسير الرازي (٢٢/ ١٢٠).

(٤) في الأصل هكذا وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر. انظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد ص(٤٢٨)، معاني القراءات للأزهري (٢/ ١٦٣).

(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي وحفص عن عاصم أي بإثبات الألف، وكذلك هي في مصاحف أهل ⇐

معنى الخبر[1] وقوله: بل قالوا أضغاث أحلام معناه: بل قال الكفار: أن ما أتى به محمد ﷺ تخاليط[2] رؤيا أريها في المنام[3] ومعنى بل: للإضراب عن ما حكي أنهم قالوه أولاً والإخبار عما قالوه ثانياً[4].

وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ معناه: قالوا: اختلقه كذباً من تلقاء نفسه، ثم قالوا: بل هو شاعر، فجعلوا ينقضون أقوالهم بعضها ببعض قول متحير، لا يمكنه الجزم[5] على أمر واحد[6].

وقوله تعالى: ﴿فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ﴾ معناه: أنهم قالوا: إن كان صادقاً، فليأتنا بآية سوى القرآن، كما أرسل الأولون بالآيات، مثل انفلاق البحر وإحياء الموتى[7]، فكانوا يسألون الآيات التي لا يكون معها إمهال إذا وقع بها التكذيب[8]، فلو كانوا يطلبون

= الكوفة. انظر: السبعة في القراءات ص٤٢٨، معاني القراءات للأزهري(٢/ ١٦٣).

(١) عن النبي ﷺ أنه قال للكفار مجيباً عن قيلهم قبلها ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ﴾، وقراءة الباقون ﴿قُلۡ رَبِّيۡ﴾ على الأمر وحجتهم في ذلك أن الله أمره أن يقول للكفار مجيباً لهم عن قولهم ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ﴾. انظر: حجة القراءات / المؤلف: عبدالرحمن بن محمد، ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)- محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة -(ص٤٦٥)، النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٢٣).

(٢) في نسخة (ب): (تخالط).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤١٢) عن قتادة بنحوه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٤٤) عن قتادة والسدي بنحوه.

(٤) مجمع البيان (٧/ ٧٢).

(٥) في نسخة (ب): (الحزم).

(٦) تفسير السمرقندي (٢/ ٤٢٠).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤١٢) عن قتادة بنحوه، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٨٥) بمعناه ولم ينسبه.

(٨) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٨٤).

على وجه الزيادة في البيان وكان في المعلوم أنهم يؤمنون عنده أتاهم الله تعالى به كما قال ﷻ ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾[(١)] ولكنهم سألوا ذلك على وجه التكبر والأنفة من اتبعاه[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ فيه بيان: أن من قبلهم لما لم يؤمنوا عندما سألوا من الآيات، لم يجابوا إلى كل ما اقترحوا، فكذا هؤلاء لا يؤمنون بالآيات التي سألوها، كما لم يؤمن من قبلهم من الكفار[(٣)]. ويقال: معنى هذه الآية: أن مجيء الآيات لو كان سبباً يؤدي إلى إيمان هؤلاء من غير أن يكون لطفاً في تدبير الحكيم، لكان سبباً يؤدي إلى إيمان أولئك لا محالة، فلما بطل ذلك، بطل هذا[(٤)]، فذلك قوله تعالى: ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا / كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [ل٤٠١/أ]

معناه: وما أرسلنا قبلك من الرسل إلا رجلاً مثلك، تُرسَل إليهم الملائكة، كما أرسل إليك، فاسألوا أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم، هل كانت رسل الله تعالى إلا رجالاً من البشر إن كنتم - يا أهل مكة -لا تعلمون أن الله تعالى لم يرسل رسولاً إلا من البشر؟ فإن قيل: لم جاز أن يحالوا في هذا السؤال على أهل الكتاب وهم كفار؟ قيل: لأن الجماعة الكثيرة إذا أخبرت عن مشاهدة، حصل بخبرها دليل يؤدي إلى

---

(١) جزء من آية (٢٣) سورة الأنفال.

(٢) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٤١٢).

(٣) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٩٩).

(٤) التبيان في تفسير القرآن المؤلف / محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠للهجرة) طبعة: دار إحياء التراث العربي، لبنان- (٧/ ٢٢٥).

المعرفة ووقوع العلم بالضرورة[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ معناه: وما جعلنا الأنبياء صلوات الله عليهم ذوي أجساد، لا يأكلون الطعام ولا يشربون الشراب، وما كانوا خالدين لا يموتون[٢]، وإنما وُحِّد الجسد؛ لأن أصله المصدر كالخلق[٣].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ معناه: ثم أنجزنا وعدنا الأنبياء صلوات الله عليهم في إنجائنا إياهم وإهلاك الكفار بهم المكذبين لهم والمسرف في اللغة: هو الذي يجاوز حد الحق بما تباعد عنه[٤]، فالكافرون أحق شيء بهذه الصفة.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ معناه: لقد أنزلنا إليكم القرآن فيه شرفكم[٥] وعزكم إن تمسكتم به، والذكر يوضع موضع الشرف، يُقال: فلان مذكور في البلاد إذا كان رفيعاً. وقال الحسن ﷺ: معنى ﴿ذِكْرُكُمْ﴾: ما تحتاجون إليه من أمر دينكم[٦].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ معناه: أفلا تعقلون جسيم نعم الله تعالى عليكم، فتشكرونه.

---

(١) ذكره الطوسي في تفسيره (٧/ ٢٢٦) من قول الجبائي المعتزلي بمثله.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤١٥)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٤٥) كلاهما عن قتادة بمثله.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٩٩)، تفسير الطبري (١٨/ ٤١٤)، التبيان في تفسير القرآن للطوسي (٧/ ٢٣٣).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢٧٦)، مقاييس اللغة (٣/ ١٥٣)، التبيان في تفسير القرآن (٧/ ٢٣٣).

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ٤١٦)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٤٦) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٤٦) عن الحسن بنحوه.

قوله ﷻ: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾

معناه: وكم أهلكنا من أهل قرية كانوا مشركين، وأنشأنا بعد هلاكهم قوماً آخرين، فسكنوا ديارهم والقصم في اللغة: كسر الصلب قهراً، يُقال: قَصَمَه يَقْصِمه قَصْماً وهو قَاصِم الجبابرة[1] والإنشاء إيجاد الشيء من غير سبب يحدثه[2].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ معناه: فلما أحس أهل القرية الكافرة عذابنا، إذا هم يهربون منها سراعاً هرب المنهزم من عدوه[3].

وقوله تعالى: ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ معناه: لا تهربوا وارجعوا إلى ما نعمتم فيه وإلى منازلكم[4]، يُقال لهم ذلك تقريعاً على ما فرط منهم[5].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ قال قتادة ~ : إنما قيل: تسألون على طريق الهزؤ بهم وهو توبيخ لهم في الحقيقة[6]، ويُقال: معناه: لكي تسألوا عن أعمالكم وتنعمكم

---

(١) انظر مجمل اللغة لابن فارس / المؤلف: أحمد بن فارس (المتوفى: ٣٩٥هـ)-دراسة وتحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ- (ص٧٥٥)، ذكره الطوسي في تفسيره (٧/ ٢٢٨) بمثله ولم ينسبه.

(٢) مجمع البيان (٧/ ٧٥).

(٣) انظر: تفسير السمرقندي (٢/ ٤٢١)، تفسير السمعاني (٣/ ٣٧١).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤١٨)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٤٦). كلاهما عن قتادة بمعناه.

(٥) أورده الطوسي في تفسيره (٧/ ٢٢٩) بمثله ولم ينسبه.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٤١٨)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٤٦) كلاهما عن قتادة بنحوه، و ذكره السمرقندي في تفسيره (٢/ ٤٢١) عن قتادة بنحوه.

بغير الحق[(١)]، ويُقال: لكي تسألوا، فتجيبوا عما تشاهدون إذا رأيتم ما نزل بمساكنكم وما أترفتم فيه. قالوا على سبيل الندم والاعتراف بالذنب حين عاينوا العذاب: يا ويلنا إنا كنا ظالمين والويل الوقوع في الهلكة[(٢)] ونصبه على معنى: أُلزِمنا ويلنا والإحساس في اللغة هو: الإدراك بحاسة من الحواس الخمس البصر والسمع والأنف والفم والبشرة[(٣)]، ويُقال: أَحْسَه إِحْساساً وأَحسَ به. فأما الركض: فهو تحريك الرجلين، يُقال: ركضت الفرس إذا أعديته بتحريك رجليك[(٤)].

قال قتادة ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَا تَرۡكُضُواْ﴾ أنه على وجه الاستهزاء[(٥)]. قال القتبي ~ : هو كما قال عبيد[(٦)]:

هــــلا سَـــأَلت جمـــوع كِنْـــدَة ... يَـــوْم ولـــوا أَيْـــن أَيّنَـــا[(٧)]

وأما قوله تعالى: ﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ فمعناه: ما زالت الكلمة التي هي

----

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٣٩) وعزاه لابن بحر بمعناه.

(٢) لسان العرب (١١/ ٧٣٨).

(٣) الفروق اللغوية للعسكري (ص٩٠)، لسان العرب(٦/ ٤٩-٥٠).

(٤) انظر: جمهرة اللغة / المؤلف: أبو بكر محمد بن دريد (المتوفى: ٣٢١هـ)-المحقق: رمزي بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م - (٣/ ١٢٥٦)، والصحاح (٣/ ١٠٧٩-١٠٨٠).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤١٨)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٤٦) كلاهما عن قتادة بمثله.

(٦) هو عبيد بن الأبرص بن عوف الأسدي، من مضر، أبو زياد: شاعر، من دهاة الجاهلية وحكمائها. عاصر امرؤ القيس، وله معه مناظرات ومناقضات. وعُمِّر طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر وقد وفد عليه في يوم بؤسه. انظر الأعلام للزركلي (٤/ ١٨٨).

(٧) الحماسة البصرية / المؤلف: علي بن أبي الفرج بن الحسن، (المتوفى: ٦٥٩هـ)-المحقق: مختار الدين أحمد، الناشر: عالم الكتب - بيروت -(١/ ٨٣)، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي / المؤلف: أحمد شوقي الشهير بشوقي (المتوفى: ١٤٢٦هـ)، الناشر: دار المعارف -(ص٢٣٥).

قولهم: يا ويلنا إنا كنا ظالمين، أي: لم يزالوا يرددونها إلى أن ماتوا وخمدوا، فصاروا كالزرع الحصيد[١] والحصد: هو القطع على وجه الاستئصال، كما يحصد الزرع بالمنجل والحصيد: هو الزرع المحصود[٢] والخمود: هو الهمود كخمود[٣] النار إذا أطفئت، ثم يُستعمل ذلك في الميت لسقوط حركته[٤].

قوله ﷻ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

في الآية الأولى بيان أن الله تعالى خلق السماء والأرض للتكليف/ والمجازاة، [ل٤٠١/ب] محذراً بذلك من التقدم على الباطل وتكذيب الرسل ولو لم يخلقهما لأمر حق، لكان لاعباً؛ لأن فاعل اللعب لاعب.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ معناه: لو أردنا أن نتخذ شريكاً أو ولداً[٥] أو امرأة[٦]، لم يكن ليتخذ ما نسبتموه أنتم إليه من الذي لا يسمع ولا يعقل ولا من هذه النساء والولدان، بل كان يتخذ من جنس أشرف من هذه الأجناس. كما قال ﷻ في آية أخرى ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ ويُقال في معنى هذه

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤١٩). عن قتادة بنحوه.

(٢) الصحاح (٢/ ٤٦٥)، مقاييس اللغة (٢/ ٧١).

(٣) في نسخة (ب): (كحمود)، وهو خطأ.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤١٩) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٤٧) عن عكرمة بمثله، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٨٧) عن ابن عباس رضى الله عنهما والسدي بمثله.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٢٠)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٤٧-٢٤٤٨) كلاهما عن الحسن وقتادة بمثله،، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٨٧) عن ابن عباس رضى الله عنهما ثم قال: " وبه قال الحسن وقتادة ".

الآية: لو أردنا أن نتخذ ولداً ذا لهو يُلْهَى به لاتخذناه من عندنا لا عندكم[1]؛ لأن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده وبحضرته ولو كان جائزاً في صفة الله، لم يتخذه بحيث يظهر لكم أو لغيركم من العباد، لما في ذلك من خلاف صفة الحكيم الذي يقدر أن يستر النقص، فيظهره وإنما استحال عليه اتخاذ اللهو؛ لأن الغني بنفسه عن كل شيء سواه، يمتنع عليه طلب اللهو[2] واللهو في اللغة: هو صرف الهم عن النفس بالفعل الذي لا فائدة فيه، يُقال: لَهِيت عن الشيء أَلْهَى إذا انصرفت عنه[3].

وفي قوله تعالى: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ وجهان: أحدهما: أن هذه إن التي للشرط، أي: إن كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله، والآخر: إن التي بمعنى ما، أي: ما كنا فاعلين[4].

وقوله تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ﴾ أراد بالحق القرآن وبالباطل الكفر[5].

وقوله تعالى: ﴿فَيَدۡمَغُهُۥ﴾ معناه: فيهلك الحق الباطل، كما يدمغ الرجلُ الرجلَ، بأن يشجه شجة تبلغ أم الدماغ ولا يحيى صاحبها بعدها[6].

----

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٨٦).

(٢) انظر مجمع البيان للطبرسي (٧/ ٧٧).

(٣) انظر تهذيب اللغة (٦/ ٢٢٦)، وانظر مجمل اللغة لابن فارس (ص٧٩٥)، وانظر مقاييس اللغة (٥/ ٢١٣).

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٤٠) من قول ابن جريج بمثله، وذكره القرطبي في تفسيره (١١/ ٢٧٦) من قول قتادة ومقاتل وابن جريج والحسن بمثله.

(٥) تفسير القرآن العزيز / المؤلف: أبو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)-المحقق: أبو عبدالله حسين بن عكاشة - محمد الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ -(٣/ ١٤٣)، وانظر تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٨٧). ولعل الأقرب في معنى الآية أنها عامة فكلمة الحق تشمل القرآن والرسالة والشرع وكل ما هو حق، وكذلك كلمة الباطل تشمل الكفر والشيطان والشرك وكل ما هو باطل، تفسير المحرر الوجيز(٤/ ٧٧).

(٦) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٤٢٢)، تفسير الثعلبي(٦/ ٢٧٢).

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أي: هالك مضمحل يُقال: زهق زهوقاً إذا هلك[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ﴾ معناه: ولكم العذاب مما تصفون الله تعالى به من الصاحبة والولد[٢].

قوله تعالى ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

فيه بيان أن هذه الأشياء التي أضافوها إلى الله تعالى لو كانت كما وصفوها، لكان تعالى لا يستعبدهم، فلما كان من في السماء والأرض ملكاً له، دل ذلك على انتفاء الولد والشريك[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ فيه بيان أن الملائكة عباد الله تعالى على أتم وجوه العبودية وذلك يحيل معنى الولادة؛ لأنها لا تكون إلا مع المجانسة[٤] وليس في قوله تعالى ومن عنده إثبات المكان لنفسه وإنما قال ذلك؛ لأن الملائكة رسل الله تعالى إلى أنبيائه وحفظته على خلقه وينفذون في أوامره ونواهيه، كما يُقال عند الملك: كذا وكذا من الجند وإن كانوا متفرقين في حوائجهم[٥] ومعنى ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: لا ينقطعون عن العبادة من الإعياء[٦]، من قولهم بعير حسير إذا أعيا أو

---

(١) تهذيب اللغة (٥/ ٢٥٥)، الصحاح (٤/ ١٤٩٢) مادة " زهق ".

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٢٢) عن ابن جريج بنحوه، وانظر النكت والعيون(٤/ ٧٧)، تفسير الثعلبي (٦/ ٢٧٢).

(٣) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٤٢٢).

(٤) انظر تفسير الطبري(١٨/ ٤٢٢).

(٥) مجمع البيان (٧/ ٧٧).

(٦) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين(٣/ ١٤٣)، وأورده الثعلبي في تفسيره (٦/ ٢٧٢) من قول قتادة ⇦=

قام ومنه قول علقمة[١]:

بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب[٢]

وأما قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ فمعناه: يصلون لله تعالى الليل والنهار لا يضعفون عن عبادته ولا يملون[٣]، وقيل: إن التسبيح منهم يجري مجرى النفس منّا، كما لا يشغلنا[٤] عن النفس شيء، فكذلك تسبيحهم دائم[٥].

وقوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ استفهام بمعنى الإنكار ومعناه: أعبد أهل مكة أصناماً آلهة يحيون الموتى فيه تقريع لهم بأنهم كاذبون أنها آلهة؛ لأن الإله يحيي الموتى وهي لا تحيي[٦] فكيف تستحق العبادة[٧]؟ ومن قرأ ﴿يُنشِرُونَ﴾ بنصب

= ومقاتل والسدي بمثله، وذكره الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٤١) من قول قتادة بمثله.

(١) علقمة "الفحل" بن عبدة بن ناشرة بن قيس، من بني تميم: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. كان معاصراً لامرئ القيس، وله معه مساجلات. وأسر " الحارث ابن أبي شمر الغساني " أخا له اسمه " شأس " فشفع به علقمة ومدح الحارث بأبيات، فأطلقه. انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٢٤٧).

(٢) البيت لعلقمة، من قصيدة له يمدح بها الحارث بن أبي الحارث بن أبي شمر الغساني، المفضليات (ص٣٩٤)، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي / المؤلف: أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني (المتوفى: ٣٩٠هـ)-المحقق: عبدالكريم الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٦ هـ -(ص٣٧٥)، وانظر النكت والعيون للماوردي(٣/ ٤٤١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٢٤) عن قتادة بنحوه، وانظر بحر العلوم للسمرقندي(٢/ ٤٢٣).

(٤) في نسخة (ب): زيادة كلمة (بمعنى)، وهو خطأ.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٢٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سأل كعب الأحبار عن معنى هذه الآية فأجاب بنحوه.

(٦) قوله (وهي لا تحيى)، ساقطة من نسخة (ب).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٢٤-٤٢٥) عن مجاهد وابن زيد بنحوه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٤٩) عن مجاهد والسدي بنحوه.

انظر: تفسير البغوي (٥/ ٣١٤)، تفسير ابن الجوزي (٣/ ١٨٧).

الياء وضم الشين[1]، فالمعنى: أم اتخذوا آلهة يَحيَوْن أبداً ولا يموتون، يُقال: أنشر الله تعالى الموتى، فنشروا، أي: احياهم، فحيّوا وهو من النشر بعد الطي؛ لأن المحيَي كأنه كان مطوياً بالقبض عن الإدراك، فأنشر بالحياة[2].

قوله ﷻ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِىۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾

معناه: لو كان في السماء والأرض آلهة غير الله، لما قامت السماوات والأرض؛ لأنه لو أراد أحدهما إيجاد جسم في مكان وأراد آخر إيجاد جسم أخر في ذلك المكان، لم يخل إما أن يوجد مرادهما أو لا يوجد مرادهما / أو يوجد مراد أحدهما دون الآخر [ل٤٠٢/أ] والأول باطل؛ لأن في ذلك وجود جسمين في مكان واحد والثاني باطل؛ لأن في ذلك كونهما عاجزين والعاجز لا يستحق الألوهية وإن وجد مراد أحدهما دون الآخر، فالذي لا يوجد مراده، يكون عاجزاً، لا يصلح أن يكون إلهاً[3]، وهذا معنى قوله تعالى ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[4]

وقوله تعالى ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[5] وأما قوله تعالى ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ فمعناه: تنزيهاً لله

---

(١) لم أقف عليه في شيء من كتب القراءات التي بين يدي. ولكن ذكر القرطبي في تفسيره (١١/ ٢٧٨) أنها قراءة الحسن: أي يحيون ولا يموتون، وقراءة الجمهور: "يُنشِرون" بضم الياء وكسر الشين من أنشر الله الميت فنشر أي: أحياه فحيي. انظر: تفسير البحر المحيط(٧/ ٤١٨)، تفسير الدر المصون في علوم الكتاب المكنون / المؤلف: أبو العباس، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)-المحقق: د/ أحمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق -(٨/ ١٤١).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٨٨)، تفسير القرطبي (١١/ ٢٧٨)، تفسير ابن كثير (٥/ ٣٣٧).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٧٨)، تفسير الرازي (٢٢/ ١٢٧).

(٤) جزء من آية (٤٢) سورة الإسراء.

(٥) جزء من آية (٩١) سورة المؤمنون.

تعالى، عما يقولون عليه من الولد و الشريك(١).

وقوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ معناه: لا يُسأل عن أفعاله؛ لأن كل فعله صواب ولا يُقال للحكيم: لم فعلت الصواب وهم يُسألون؛ لأنهم يجوز عليهم الخطأ(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ إنكار عليهم(٣).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ أي: حجتكم بأن رسولاً من رسل الله تعالى أنبأ أمته بأن لهم إلهاً غير الله تعالى(٤).

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ معناه: هذا القرآن فيه ذكر من معي لما يلزمهم من الحلال والحرام والخطأ والصواب وذكر من قبلي من الأمم فيمن نجا بالإيمان أو أهلك بالشرك(٥). ويُقال: معناه: هذا القرآن الذي هو ذكر من معي والتوراة والإنجيل هما ذكر من قبلي. هل في جميع ذلك غير توحيد الله عز وجل(٦)؟

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ معناه: معرضون عن النظر في دلائل توحيد الله تعالى، مقتصرون على جهلهم وتقليدهم(٧).

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٨/ ٤٢٥)، تفسير البغوي(٥/ ٣١٤)، تفسير القرطبي(١١/ ٢٧٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٢٦) عن قتادة وابن جريج والضحاك بمعناه، وانظر بحر العلوم للسمرقندي(٢/ ٤٢٣)، النكت والعيون(٣/ ٤٤٢)، تفسير تفسير القرآن / المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني (المتوفى: ٤٨٩هـ)-المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ -(٣/ ٣٧٤).

(٣) تفسير البغوي(٥/ ٣١٤)، زاد المسير(٣/ ١٨٨).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٣/ ٣٨٩)، زاد المسير(٣/ ١٨٨).

(٥) أورده الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٤٣) من قول قتادة بمثله، وانظر تفسير البغوي(٥/ ٣١٤).

(٦) أورده السمعاني في تفسيره (٣/ ٣٧٥)، والبغوي في تفسيره (٥/ ٣١٤) من قول ابن عباس رضى الله عنهما بمثله.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان / المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)-المحقق: =

قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾

معناه: وما أرسلنا من قبلك يا محمد ﷺ من رسول، إلا يُوحَى إليه أن يقول لقومه: أنه لا إله إلا هو، فاعبدوه، أي: وحدوه وهذا تأكيد لما تقدم(١).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ﴾ أراد به قولهم: إن المسيح ابن مريم ابن الله والملائكة بنات الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ معناه: بل هم عبيد أكرمهم الله تعالى بالطاعة(٢).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ معناه: لا يخرجون بقولهم عن حد ما أمرهم الله تعالى، بل هم بأمره يعملون. بيّن جل ذكره شدة خضوعهم لله تعالى وخوفهم منه وحرصهم على طاعته وأنهم لا يتقدمون ولا يتأخرون إلا بأمره(٣).

وقوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ معناه: يعلم ما قدموا وما أخروا

= عبدالله شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ -(٣/ ٧٥)، انظر بحر العلوم(٢/ ٤٢٤)، وأورده ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٨٨) وعزاه إلى مقاتل بمثله، تفسير القرطبي(١١/ ٢٨٠).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٢٧) عن قتادة بنحوه، وانظر تفسير السمعاني(٣/ ٣٧٥).

(٢) أخرج الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٢٨) عن قتادة أن اليهود وطوائف من الناس قالوا: إن الله تبارك وتعالى صاهر الجن، فكانت منهم الملائكة فرد الله عليهم بها بعدها، وانظر تفسير السمعاني(٣/ ٣٧٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٢٨) عن قتادة بنحوه، وانظر تفسير السمعاني(٣/ ٣٧٦).

من أعمالهم[(١)]، ويُقال: ما بين أيديهم من الدنيا وما خلفهم من الآخرة[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ عمله ورضي عنه[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ قيل: معنى مشفقون: خائفون وقيل: يخافون أن يسبقوا الله، إلا بإذنه[(٤)] وفي هذا كله بيان أن من هذه صفته، لا يكون إلها مع الله تعالى ولا ولد له.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ معناه: ومن يقل منهم: إني إله على ما زعم الكفار أنهم آلهة، فذلك، نجزيه جهنم، هذا مجازاتي لمن كفر[(٥)].

قوله ﷻ ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾

معناه: أولم يعلم الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا مستويتين، لا أثر فيهما ولا فتق لخروج الزرع ونزول الغيث، فشقت السماء بالمطر والأرض بالنبات

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٢٩) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله، النكت والعيون(٣/ ٤٤٣).

(٢) ولعل الصحيح في العبارة أن يُقال " ما بين أيديهم من الآخرة وما خلفهم من الدنيا "؛ لأن السياق في الحديث عن الملائكة، وذلك كما في تفسير النكت والعيون(٣/ ٤٤٣)، تفسير السمعاني(٣/ ٣٧٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٢٩) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله، تفسير السمعاني(٣/ ٣٧٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٤٢٩)، تفسير السمرقندي (٢/ ٤٢٤).

(٥) انظر: بحر العلوم للسمرقندي(٢/ ٤٢٤)، تفسير القرطبي(١١/ ٢٨٢).

وأخرج الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٣٠) عن ابن جريج وقتادة أن المراد بهذه الآية إبليس؛ لأنه لا أحد من الملائكة قال: إني إله من دون الله سواه.

وأحيينا بالمطر والنبات كل ما على الأرض من حيوان، أو لا يصدقون بالإله الذي فعل ذلك؛ ليعلموا أنه الإله دون غيره وهذا قول عطية[1] وعكرمة } [2].

وذهب الحسن وقتادة رضي الله / عنهما، في معنى قوله: رتقاً، أنهما كانتا [ل٤٠٢/ب] ملتزقتين، ففصل الله بينهما بهذا الهواء[3]. ويُقال: معناه: كانت السماوات أطباقها ملتزقة وكذلك الأرض، ففتق الله تعالى السماء وجعلها سبعاً وجعل الأرض سبعاً[4]، وإنما قال: رتقا ولم يقل رتقين؛ لأن الرتق مصدر والمعنى: كانتا ذواتي رتق، فجعلناهما ذواتي فتق[5].

----

(١) هو عطية بن سعد العوفي الجدلي كوفي أبو الحسن، قال عبدالله بن أحمد بن حنبل سمعت أبي وذكر عطية العوفي فقال: " هو ضعيف الحديث بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير"، وكان شيعياً. انظر: الجرح والتعديل / المؤلف: أبو محمد عبدالرحمن بن محمد ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ -(٦/ ٣٨٣)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٣٢) عن عكرمة وعطية وابن زيد بمثله، انظر النكت والعيون(٣/ ٤٤٤)، وأورده السمعاني في تفسيره (٣/ ٣٧٧) من قول مجاهد به. ولعل هذا القول هو الأقرب لدلالة السياق عليه، فقد قال: بعدها ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ولاشك أن السياق من أقوى المرجحات، وقد رجح هذا القول كذلك إمام المفسرين ابن جرير الطبري، انظر تفسير الطبري(١٨/ ٤٣٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٣١) عن ابن عباس و الحسن وقتادة بنحوه، وأورده الماوردي في تفسيره، (٣/ ٤٤٤) وجعله من قول ابن عباس رضى الله عنهما بمثله، وانظر تفسير السمعاني(٣/ ٣٧٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٣١-٤٣٢) عن مجاهد و السدي بنحوه، وأورده الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٤٤) من قول مجاهد بمثله، وانظر تفسير السمعاني(٣/ ٣٧٧).

(٥) والرتق سد، والفتق شق، وهما ضدان، قال عبدالرحمن بن حسان:

يهون عليهم إذا يغضبو ... ن سخط العداة وإرغامها
ورتق الفتوق وفتق الرتو ... ق ونقض الأمور وإبرامها

انظر: النكت والعيون(٣/ ٤٤٤)، تفسير السمعاني(٣/ ٣٧٧)، فتح القدير للشوكاني(٣/ ٤٧٨).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ أي: جعلنا فيها جبالاً أوتاداً للأرض، فهي[١] راسية كما ترسو السفينة إذا وقفت متمكنة في وقوفها[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ معناه: كي لا تميد بهم الأرض والميد: الاضطراب بالذهاب في الجهات، قال عبدالله بن عباس { : أن الأرض بسطت على وجه الماء، فكانت تميد بأهلها، كما تميد السفينة، فأرساها الله تعالى بالجبال الثقال[٣].

وعن قتادة ﷺ تميد بهم أي تمور بهم[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾ معناه: جعلنا في الأرض طرقاً واسعة؛ ليهتدوا لمواطنهم والفج: الطريق الواسع بين الجبلين[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ قيل: محفوظاً من السقوط[٦] ومن أن يطمع أحد أن يتعرض لها بنقص أو نقض، وقيل: محفوظاً بالنجوم من الشياطين[٧]، وهم عن آيات السماء ودلائلها من شمسها وقمرها ونجومها معرضون، فلا يتفكرون فيها[٨].

---

(١) في نسخة (ب): (وهي).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٣٤) عن قتادة بنحوه، وانظر النكت والعيون (٣/ ٤٤٤)، تفسير السمعاني(٣/ ٣٧٨).

(٣) أورده الرازي في تفسيره (٢٢/ ١٣٩) من قول ابن عباس بنحوه.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره، (١٨/ ٤٣٥) عن قتادة بمثله.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج(٣/ ٣٩٠)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٣٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما بأقل منه، وانظر النكت والعيون (٣/ ٤٤٥)، تفسير السمعاني(٣/ ٣٧٨).

(٦) النكت والعيون(٣/ ٤٤٥)، تفسير السمعاني(٣/ ٣٧٨)، مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٣٩).

(٧) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٠١)، وأورده الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٤٥) من قول الفراء به، تفسير السمعاني(٣/ ٣٧٨)، مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٣٩).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٣٦) عن ابن جريج وعن مجاهد بمثله، بحر العلوم للسمرقندي(٢/ ٤٢٥).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ معناه: خلقهما بعد رفع السماء عن وجه الأرض وسخر الشمس والقمر. كل من الشمس، والقمر، والنجوم في مواضعها التي ركبت فيها يجرون وأضاف الفعل إليها تشبيهاً بالفاعلين[1]، كما في قوله تعالى ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ قال الضحاك ﷺ الفلك: هو المجرى الذي تجري فيه الشمس والقمر[2].

ويقال: هو موج مكفوف، يجريان فيه[3] وقال القتبي ~ : الفلك: القطب الذي تدور به النجوم وهو كوكب خفي بقرب الفرقدين[4] وبنات نعش[5] عليه تدور السماء[6] وقال الحسن ﷺ الفلك الطاحونة كهيئة فلكة[7] [المغزل][8][9] والفلك في

----

(١) انظر مجمع البيان (٧/ ٨٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٣٧) عن الضحاك بنحوه، وأورده الثعلبي في تفسيره (٦/ ٢٧٤) من قول الضحاك بأقل منه.

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٠١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٥١) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله، تفسير الثعلبي (٦/ ٢٧٥).

(٤) الفرقدان: واحدة فرقد: بفتح الفاء وإسكان الراء وفتح القاف، والفرقدان: نجمان لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجدي، وربما قالت لهما العرب: الفرقد. و"الفرقدان" يضرب بهما المثل في طول الصحبة والتساوي والتشاكل، ومن ذلك ما أنشد سيبويه ~ :

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان

انظر: صبح الأعشى (٢/ ١٨١)، ولسان العرب (٣/ ٣٣٤ و١٤/ ٤٠٨)، وتاج العروس (٨/ ٤٩١).

(٥) سبق تخريجه (ص٧٨).

(٦) أورده السمرقندي في تفسيره (٢/ ٤٢٥) من قول القتبي بمثله.

(٧) في نسخة الأصل (فلك)، ولعل الأقرب ما أثبته.

(٨) في النسختين [المعزل] ولعل الصواب ما أثبته، والتصويب من تفسير الحداد (٤/ ٣٦٩)، وكذلك تفسير الطبري (١٨/ ٤٣٨).

(٩) ذكره البخاري تعليقاً في صحيحة (كتاب التفسير/ باب قوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾/ ⇐=

كلام العرب كل شيء دائر وجمعه أفلاك.

قولــه ﷻ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ رُوي: أن هـاتين الآيتـين نزلتا جواباً لقول الكفار: ننتظر لمحمد ﷺ ريب المنون، فنستريح[1] ووجه اتصال هاتين الآيتين بما قبلهما، بيان أنه تعالى وإن جعل الدنيا كما وصفها من قبل لم يجعلها كذلك؛ لتبقى وتدوم ويبقى فيها من خُلقت له ولكن خلقها للبلوى والامتحان ولكي يتوصل بها إلى الآخرة، التي هي دار الخلود[2].

والمعنى: وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد في الدنيا، أفإن مت فيها، فهم الخالدون، كل نفس ذائقة الموت ذكر الموت بلفظ الذوق؛ لأن العرب يذكرون الذوق في كل ما يشق على المرء ويألم به وإن لم يذق في الحقيقة[3].

= ح٤٧٣٩) ووصله ابن حجر في تغليق التعليق على صحيح البخاري / المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)-المحقق: سعيد عبدالرحمن القزقي، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان - الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ- (٤/ ٢٥٧) فقال: " قال ابن عيينة في تفسيره عن عمرو عن الحسن في قوله ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ قال: مثل فلكة المغزل تدور". وكذلك أورده الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٣٨) عن الحسن بمثله، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٥٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان(٣/ ٧٨)، تفسير الثعلبي(٦/ ٢٧٥). وانظر: تفسير السمعاني(٣/ ٣٧٩)، وتفسير القرطبي (١١/ ٢٨٧).

وقيل: إن سبب الآية أن كفار مكة طعنوا على النبي ﷺ، بأنه بشر وأنه يأكل الطعام ويموت، فكيف يصح إرساله؛ فنزلت الآية رادة عليهم. وهذه الأقوال لا تعتمد على رواية صحيحة. انظر: المحرر الوجيز(٤/ ٨١)، مفاتيح الغيب(٢٢/ ١٤٢-١٤٣)، البحر المحيط لأبي حيان(٦/ ٢٨٨).

(٢) تفسير مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٤٢).

(٣) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٤٦)، المفردات في غريب القرآن للراغب (ص٣٣٢).

وقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ معناه: نبلوكم بالشدة والرخاء والمرض والعافية والفقر والغنى، كلاهما ابتلاء من الله تعالى وتشديد في التعبد؛ ليظهر شكرهم فيما يحبون وصبرهم فيما يكرهون(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء إلى مكان لا يحكم فيه ولا يأمر(٢) ولا ينهى، إلا أنا كما يقول القائل: رجع أمرنا إلى الأمير، أي: هو الذي يحكم بيننا.

قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ رُوي: أن النبي ﷺ مرّ بأبي سفيان بن حرب وأبي جهل بن هشام، فقال أبو جهل لأبي سفيان: هذا نبي بني عبد مناف(٣) كالمستهزئ به، فنزلت هذه الآية(٤).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٤٠) عن ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة وابن زيد بنحوه، وأورده الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٤٦-٤٤٧) من قول ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك وابن زيد بنحوه، وانظر تفسير السمعاني(٣/ ٣٧٩).

(٢) في نسخة (ب): بزيادة (فيه).

(٣) بنو عبد مناف - بطن من قريش من العدنانية، وهم بنو عبد مناف بن قصي، وأمه حبي بنت خليل وكانت أمه حبي المذكورة قد أخدمته مناة، وهو صنم عظيم لهم، فخشى أبوه قصى بن كلاب أن يلتبس بعبد مناة بن كنانة، فحوله لعبد مناف، وكان يسمى قمر البطحاء، وكان له الشوكة في قريش، وكان له من الولد هاشم وعبد شمس وعبد المطلب واخته.

انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب / المؤلف: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (المتوفى: ٨٢١هـ)، المحقق: إبراهيم الإبياري، الناشر: دار الكتاب اللبنانين، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠ ه- (ص٣٤٢).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٥٢-٢٤٥٣) عن السدي بأطول منه، وأورده البغوي في تفسيره (٥/ ٣١٨) من قول السدي بمثله، وهي رواية ضعيفة، لأنها مرسلة، فلا يعتمد كونها سبباً لنزول هذه الآية. وقال الآلوسي في تفسيره (٩/ ٤٦): وأنا أرى أن القلب لايثلج لكون هذا سبباً للنزول. اهـ.

ومعناها: إذا رآك الذين كفروا، ما يتخذونك إلا هزءاً، يستهزؤون بك[(١)] والإيجاد: جعل الشيء على صفة من الصفات والكفار جعلوه على صفة الهزء سخفاً منهم وجهلاً بمنزلته[(٢)] وفي هذا تسلية لكل محق يتأذى من جاهل مبطل.

وقوله تعالى: ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ معناه: يقول بعضهم لبعض هذا الذي يعيب آلهتكم[(٣)] ويلومكم على عبادتها؛ لأنها لا تعقل شيئاً ولا تنفع ولا تضر ولا تميز بين من يعبدها وبين من لا يعبدها. [تقول][(٤)] العرب: فلان يذكر الناس، أي: يغتابهم ويعيبهم وفلان يذكر الله، أي: يصفه بالعظمة ويثني عليه، فيحذفون من الذكر ما يعقل معناه[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ أي: يعيبون عليه ذكره / [ل٤٠٣/أ] لآلهتهم وهم يجحدون الألوهية ممن هو المنعم عليهم الخالق المحيي المميت وهذا من نهاية جهلهم[(٦)].

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٤٤٠).

(٢) لم أقف على من ذكره.

(٣) تنوير المقباس (ص٢٧١)، زاد المسير (٣/ ١٩٠).

(٤) في نسخة الأصل(يقول)، والتصويب من نسخة(ب).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٩٢)، تفسير الطبري(١٨/ ٤٤٠)، وانظر تفسير السمعاني(٣/ ٣٨٠).

(٦) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٤٤٠).

قوله ﷻ: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

ومعناه: خلق الإنسان مشتهياً للعجلة(١)، فيما يهواه ولذلك يستعجل أهل مكة الوعد الذي يوعدون به والعرب تقول: فلان خلق من كذا إذا أكثر من ذلك الشيء، كما يُقال: فلان خلق من اللعب وفلان خلق من اللهو وكما يُقال: إنما هو إدبار وإقبال، وإنما هو أكل وشرب ونوم(٢).

وقوله تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾.

الدالة على صدق محمد ﷺ فيما توعدكم به من العذاب(٣)، فلا تستعجلون حلول العذاب بكم والاستعجال: طلب الشيء قبل وقته الذي يحق أن يكون فيه.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

معناه: ويقولون متى يكون هذا العذاب الذي تعدنا به يا محمد ﷺ إن كنت من الصادقين(٤)؟

---

(١) أورده الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٤١) عن قتادة بنحوه، وأورده الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٤٨) من قول قتادة بنحوه، وأورده ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٩١) وقال: " هو قول الأكثر".

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٩٢)، وأورده البغوي في تفسيره (٥/ ٣١٩) بنحوه، تفسير الرازي (٢٢/ ١٤٥).

(٣) أورد الرازي في معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها/ الذي ذكره المصنف. والثاني/ أنها أثار القرون الماضية بالشام واليمن. والثالث/ أنها هي الهلاك المعجل في الدنيا والعذاب في الآخرة واختار هذا الأخير وقال: إنه أقرب للنظم، وكذلك أبوحيان في البحر المحيط ذكر هذه الأقوال واختار القول الأخير وقال: كأنه يريد يوم بدر وغيره في الدنيا وفي الآخرة. انظر: مفاتيح الغيب(٢٢/ ١٤٥)، البحر المحيط (٦/ ٢٩١).

(٤) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٤٤٤).

وقوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

محذوف الجواب، معناه: لو يعلمون حين لا يمكنهم دفع النار عن وجوههم ولا عن ظهورهم ولا وجود ناصر يمنعهم مما يراد بهم؛ لعلموا صدق محمد ﷺ فيما يوعدهم به(١).

وقوله تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾. معناه: بل تأتيهم الساعة فجأة(٢) وهم غافلون عنها، فلا يستطيعون ردها ولا هم يمهلون؛ ليصلحوا أعمالهم.

قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾

معناه: لقد استهزأت الأمم برسلهم، كما استهزأ بك قومك؛ فحل بهم وبال استهزائهم وكان ما أرادوه بالداعي عائداً إليهم، كما قال في آية أخرى: ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، وقيل في الفرق بين السخرية والهُزُؤ: أن في السخرية(٣) طلب الذلة؛

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٩٢-٣٩٣).

(٢) تنوير المقباس (ص٢٧١)، تفسير الثعلبي (٦/ ٢٧٦)، تفسير السمعاني(٣/ ٣٨١)، تفسير البغوي (٥/ ٣٢٠).

(٣) ذهب إلى التفريق الكسائي والفراء، فما كان مكسور فهو بمعنى الاستهزاء بالقول، و ما كان مضموم فهو بمعنى التسخير والاستعباد بالفعل، واتفقوا في سورة الزخرف بأنه بمعنى التسخير. ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (٧/ ٧٨) عن يونس بن حبيب بمثله، وذكره أبو علي الفارسي في الحجة، طبعة دار المأمون للتراث، تحقيق قهوجي وجويجاتي -(٥/ ٣٠٣) عن يونس بن حبيب بنحوه، مقاييس اللغة (٣/ ١٤٤)، تفسير الثعلبي(٧/ ٥٨)، وحكاه البغوي في تفسيره (٥/ ٤٣١)، والشنقيطي في تفسيره (٥/ ٣٦٠) عن الكسائي والفراء.

وذهب الخليل وسيبويه إلى أنه لا فرق بينهما. قال: مقاتل " وكل شيء في القرآن (يَسْخَرون) و(سخرياً) يعني: الاستهزاء، غير واحد في الزخرف (٣٢) ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ يعني: السخرة في الخدمة.
⇦=

لأن التسخير هو التذليل وأما الهُزؤ: فهو استصغار القدر بضرب من القول.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

معناه: قل: من يحفظكم من بأس الرحمن وعوارض الآفات في الليل والنهار؟ كما قال جل ذكره: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾[1][2]

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾.

معناه: لا يلتفتون إلى شيء من الحجج والمواعظ[3].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾.

معناه: ألهم آلهة تمنعهم من عذابنا؟

= وقال الإمام الطبري في تفسيره (١٩/ ٨٠) " والصواب من القول في ذلك، أنهما لغتان معروفتان بمعنى واحد، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فمصيب"، وقال الشنقيطي في أضواء البيان (٥/ ٣٦٠) " وهو الحق إن شاء الله ". ولعل هذا هو الأقرب.

ينظر: معاني القراءات للأزهري(٢/ ١٩٧)، تفسير الثعلبي(٧/ ٥٨)، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي (ص٩٢)، البرهان في علوم القرآن / المؤلف: أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)-المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه -(١/ ١٠٧)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية / المؤلف: أيوب بن موسى الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)-المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت -(ص٤٩٤)، الإتقان في علوم القرآن/ المؤلف: عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)-المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ -(٢/ ١٥٧).

(١) الآية (٢٩) سورة غافر.

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٠٤)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٩٣)، وانظر تفسير الكشف والبيان للثعلبي(٦/ ٢٧٦)، و تفسير زاد المسير (٣/ ١٩١).

(٣) انظر تفسير الطبري(١٨/ ٤٤٧). وقيل: معرضون عن القرآن ولا مانع من الجمع بين القولين، كما فعل البغوي- رحمة الله تعالى - فقال: معرضون عن القرآن ومواعظ الله، تفسير البغوي (٥/ ٣٢٠).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾.

معناه: أن آلهتهم لا يقدرون على الدفع عن أنفسهم، فيما ينزل بهم من كسر أو إفساد ولا يجارون ولا يعانون، فكيف يدفعون عن غيرهم وكيف يؤمل ذلك منهم[(١)]؟

وقد ذهب أكثر المفسرين رحمهم الله في معنى قوله تعالى: ﴿يُصْحَبُونَ﴾: أنه من قولهم: صحبك الله وكان لك جاراً وتقول العرب أنا جار لك، أي: أجيرك وأمنعك، فقال: يصحبون بالإجارة من عذاب الله تعالى[(٢)].

قال قتادة رضي الله عنه: معناه: فلا يصحبون من الله جل ثنائه بخير[(٣)] وذهب المازني[(٤)] إلى

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٤٤٧).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٠٥)، وتهذيب اللغة (٤/ ١٥٤) مادة "صحب"، ولسان العرب(١/ ٥٢٠)، وتاج العروس للزبيدي (٣/ ١٨٨).

وقد أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٤٨) عن ابن عباس رضى الله عنهما من طريق العوفي بنحوه. ورواية العوفي عن ابن عباس يرويها المفسرون – كالطبري وابن أبي حاتم وغيرهم – من طريق محمد بن سعد العوفي عن أبيه، عن عمه الحسين بن عطية بن سعد العوفي، عن أبيه، عن جده عطية العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما. وقد بين ضعف هذا الطريق السيوطي في الإتقان (٤/ ٢٣٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٤٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٥٣) عن قتادة بنحوه، تهذيب اللغة (٤/ ١٥٤)، تاج العروس(٣/ ١٨٨).

(٤) هو بكر بن محمد بن بقية المازني أبو عثمان النحوي، نزل في بني مازن بن شيبان فنسب إليهم. وهو من أهل البصرة، وهو أستاذ المبرّد، روى عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري، وروى عنه الفضل بن محمد اليزيدي والمبرّد. وكان إمامياً ويقول بالإرجاء، وكان لا يناظره أحد إلا قطعه لقدرته على الكلام، وكان المبرد يقول: لم يكن بعد سيبويه أعلم من أبي عثمان بالنحو، مات أبو عثمان في سنة تسع وأربعين ومائتين. انظر: أخبار النحويين البصريين / المؤلف: الحسن بن عبدالله السيرافي (المتوفى: ٣٦٨هـ)-المحقق: طه محمد الزيني، ومحمد خفاجي - المدرسين بالأزهر، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، الطبعة: ١٣٧٣ هـ -(١/ ٥٨-٦٦)، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب / المؤلف: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)-المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار ⇐=

أن قوله تعالى ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ من قولهم أصحبت الرجل، إذا أعطيته أمانا يأمن به[1].

وقوله تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ ﴾ فيه بيان ما تفضل به الله تعالى على الكفار مع كفرهم وتكذيبهم والمعنى: ما حملهم على الإعراض إلا الاغترار بطول الإمهال إذ لم يعاجلهم الله تعالى بالانتقام[2].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا﴾ معناه: أفلا يشاهدون أنا نفتح الأرض لمحمد ﷺ من نواحيها وننقص من الشرك بإهلاك أهلها؛ فيزداد هو كل يوم تمكنا ويزدادون ضعفا ونقصا أفهم الغالبون رسول الله ﷺ؟ بل هو الغالب لهم بأخذ الأموال والقرى[3]

وعن عبدالله بن عباس { في معنى ننقصها / من أطرافها ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا﴾ بذهاب فقهائها وخيار أهلها، فكيف تأمن الزوال[4]؟ [ل٤٠٣/ب]

= الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ -(٢/ ٧٥٧-٧٦٥)، إنباه الرواة على أنباه النحاة / المؤلف: جمال الدين أبو الحسن علي القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ -(١/ ٢٨١-٢٩١)، بغية الوعاة (١/ ٤٦٣-٤٦٦).

(١) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (٤/ ١٥٤) عند مادة "صحب" وعزاه للمازني بمثله، انظر: تاج العروس (٣/ ١٨٨)، لسان العرب (١/ ٥٢٠).

(٢) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٤٤٨).

(٣) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ٦٦)، و ذكره الزجاج في معاني القرآن (٣/ ١٥١) واختاره، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٩٣) من طريق العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه، زاد المسير(٢/ ٥٠١). وهذا القول اختاره إمام المفسرين ابن جرير الطبري ~ (١٦/ ٤٩٧) وهو الأوفق للسياق.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٩٧) عن ابن عباس رضى الله عنهما و مجاهد نحوه، النكت والعيون للماوردي(٣/ ١١٩)، زاد المسير(٢/ ٥٠١).

و من طريق أخر أخرجه الحاكم في المستدرك " كتاب التفسير/ تفسير سورة الرعد/ ح٣٣٣٤" عن =

قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾

معناه: قل لهم يا محمد ﷺ: إنما أنذركم من عذاب الله تعالى بالوحي الذي يوحى إليّ ولا يسمع من يتصامم الدعاء إلا الله تعالى إذا ما يخوفون، شبّه حالهم في إعراضهم عن الإيمان بالصم[1].

كما قال الشاعر:

أصمُّ عما ساءه سميع[2]

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ معناه: لو أصابهم أدنى شيء من العذاب[3]، لأيقنوا بالهلاك وقالوا: يا ويلنا، من الذي نزل بنا إنا كنا ظالمين على أنفسنا؟ والنفحة: الدُفعَة[4] اليسيرة[5]

= الثوري عن طلحة بن عمرو، وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " وتعقبه الذهبي فقال: طلحة بن عمرو قال: أحمد " متروك ".

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٩٣)، وقال أبو علي الفارسي: هذا على وجه الذم لهم والتقريع بتركهم سمع ما يجب عليهم استماعه و الانتهاء إليه، وقد تقول لمن تقرعه بتركه ما تدعوه إليه: ناديتك فلم تسمع. الحجة للفارسي (٥/ ٢٥٥).

(٢) ذكره الزجاج في معاني القرآن(٣/ ٣٩٣) بمثله ولم ينسبه، وذكره الماوردي في تفسيره (١/ ٢٢١) بمثله ولم ينسبه.

انظر أيضاً: جمهرة الأمثال للعسكري(١/ ١٤٠)، مجمع الأمثال للنيسابوري (١/ ٤٠٢). ولم أقف على قائله.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٩٣)، تفسير ابن كثير(٥/ ٣٤٥).

(٤) في هامش نسخة الأصل كُتِبَ بخط الناسخ (الدُفعَة بالضم مثل الدُفقَة)، كالتوضيح للكلمة.

(٥) انظر تهذيب اللغة للأزهري (٥/ ٧٢)، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٣/ ٣٨٤) مادة "نفخ"، وذكره القرطبي (١١/ ٢٩٣) من غير نسبة لأحد.

يُقال: نَفَحَ يَنْفُح نَفْحاً ونَفْحَةً فهو نَافِح وهي تنفصل من النفخة بما في النفخة من الريح الخارجة من الجوف، والويل ينادي به كل من وقع في هلكة وإنما يناديه استغاثة مما يكون به، كما يستغيث الإنسان بنداء من يوقع به[١].

قوله ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

معناه: ونضع الموازين ذوات القسط[٢] لأهل يوم القيامة والقسط مصدر لا يثنى ولا يجمع. قال الحسن ﷺ في الموازين: هي ميزان لها كفتان ولسان[٣]، لا يوزن فيها غير الحسنات والسيئات يُجاء بالحسنات في أحسن صورة وبالسيئات في أقبح صورة، فلا ينقص من حسنات أحد ولا يزاد على سيئات أحد[٤].

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٩٤)، و النهاية في غريب الحديث والأثر / المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ، تحقيق: طاهر الزاوى - محمود الطناحي -(٥/ ٢٣٦)، ولسان العرب(١١/ ٧٣٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٩٤)، زاد المسير(٣/ ١٩٢).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)-تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، الناشر: دار طيبة - السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ -(٦ / ١٢٤٥)عن عبدالملك بن أبي سليمان قال: ذكر الميزان عند الحسن فقال: له لسان وكفتان. ويدل على ذلك أحاديث كثيرة انظر: شرح العقيدة الطحاوية / المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء ابن أبي العز (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ - (ص٤١٧-٤١٨)، ولوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية / المؤلف: محمد بن أحمد السفاريني (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ-(٢ / ١٨٤ - ١٨٦)، النكت والعيون(٢/ ٢٠١)، زاد المسير (٢/ ١٠٣).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٤٣) (باب: حشر الناس بعد ما يبعثون من قبورهم إلى الموقف الذي بين لهم من الأرض) برقم (ح٢٧٧) عن ابن عباس رضى الله عنهما من رواية الكلبي " المتهم"، وانظر بحر العلوم للسمرقندي(٢/ ٤٢٨)، الكشف والبيان للثعلبي(٤/ ٢١٦)، وانظر زاد المسير (٢/ ١٠٣).

وقال قتادة ﷺ: معنى الموازين: الجزاء بالحق[١] ويقال: إنما توزن خاتمة العمل، فمن كانت خاتمة[٢] عمله خيراً، جوزي بخير ومن كانت خاتمة عمله شراً، فجزاؤه شر[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ معناه: وإن كان العمل الذي عمله وزن حبة[٤] من خردل، أتينا بها للجزاء.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ معناه: اكتفِ بنا حاسباً، وفيه تنبيه على أن

---

(١) ذكره الرازي في تفسيره (٢٢/ ١٤٨) عن قتادة بمثله، تفسير القرطبي (١١/ ٢٩٣-٢٩٤)، البحر المحيط لأبي حيان(٧/ ٤٣٥). لكن الأولى أن يعرف الميزان بما جاءت به النصوص بأن له كفتان ولسان، وأما من جاء عن قتادة في هذا الموضع أو بما سوف يأتي عند قوله تعالى ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية (١٠٢) من سورة المؤمنون، من أن المراد بالميزان هو معادلة الأعمال فهو من جهة اللغة سائغ ولم يرد قتادة بذلك أن الميزان لا حقيقة له كما قالت المعتزلة، ولذا قال الزجاج في معانيه (٢/ ٣١٩) ما نصه " وهذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ والأولى من هذا أن يتبع ما جاء في الأسانيد الصحاح "، وقال الرازي بعدما نقل قول قتادة " والدليل على وجود الموازين حقيقية و حمل هذا اللفظ على مجرد العدل مجاز وصرف اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز من غير ضرورة غير جائز، لا سيما وقد جاءت الأحاديث الكثيرة بالأسانيد الصحيحة في هذا الباب". تفسير الرازي(٢٢/ ١٤٩).

(٢) سقطت (خاتمة) من نسخة (ب).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٩٤)، وقد ذكر الحافظ ابن كثير الأقوال في تفسيره (٣/ ٣٩٠) ثم قال: " يمكن الجمع بين الآثار الواردة في ذلك بأن يكون ذلك كله صحيح، فتارة توزن الأعمال وتارة توزن محالها وتارة يوزن فاعلها ".

قال الشيخ ابن عثيمين في شرحه على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ - (ص١٢١): " أن الوزن حقيقة للصحائف، وحيث أنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه للأعمال، وأما وزن صاحب العمل فالمراد به قدره وحرمته " وهذا جمع حسن والله أعلم.

(٤) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٣٩٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٥٤) عن السدي به،، زاد المسير(٣/ ١٩٢).

علم الله تعالى كافٍ للجزاء وإنما وضع الموازين؛ لتظهر أحوال المحسنين والمسيئين على رؤوس الأشهاد وليعلمون أن لا ظلم فيما يفعل بهم[(١)].

قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

معناه: ولقد أعطينا موسى وهارون التوراة[(٢)]، يفرق بها بين الحق والباطل وجعلنا ذلك ضياءاً وعظة للمتقين للكبائر والفواحش[(٣)].

وعن عبدالله بن عباس ﭭ، أنه كان يقرأ قوله تعالى: ﴿وَضِيَآءً﴾ بحذف الواو وكان يقول: آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء[(٤)].

---

(١) قال: الثعلبي في تفسيره (٤/ ٢١٦) فإن قيل: ما الحكمة في وزن أعمال العباد والله هو العالم بمقدار كلّ شيء قبل خلقه إياه وبعده؟ قلنا أربعة أشياء: أحدهما: امتحان الله تعالى عباده بالإيمان به في الدنيا، والثاني: جعل ذلك علامة لأهل السعادة والشقاوة في العقبى. والثالث: تعريف الله ﷻ للعباد ما عند الله من جزاء على خير وشر، والرابع: إلقائه الحجّة عليه. وكذا قال: ابن الجوزي في تفسيره (٢/ ١٠٣- ١٠٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٥٣) عن قتادة بنحوه، وأورده الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٥٠)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٩٣) كلاهما عن مجاهد وقتادة بنحوه. واختلف المفسرون في المراد بالفرقان: فقيل: أنه التوراة، وقيل: أنه البرهان الذي فرق به بين حق موسى عليه الصلاة والسلام وباطل فرعون، واختار إمام المفسرين ابن جرير- رحمة الله - الأخير وذلك لدخول الواو على الضياء. تفسير الطبري (١٨/ ٤٥٣)، و قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٢٩): "وجامع القول في ذلك أن الكتب السماوية تشتمل على التفرقة بين الحق والباطل، والهدي والضلال، والغيّ والرشاد، والحلال والحرام وعلى ما يحصل نوراً في القلوب، وهداية وخوفاً وإنابة وخشية ولهذا قال: ﴿ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: تذكيرا لهم وعظة" اهـ.

(٣) انظر: تنوير المقباس (ص٢٧٢)، بحر العلوم للسمرقندي(٢/ ٤٢٨).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٥٤) عن ابن عباس بمثله، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٤٢٨).
⇦=

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ معناه: هم الذين تكون الخشية لازمة لقلوبهم لا أن ذلك مما يظهرونه للناس.

وقوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ معناه: وهم خائفون من أن تلحقهم(١) الساعة وما يجري فيها من محاسبة ومساءلة قبل إصلاح أعمالهم(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ معناه: وهذا القرآن(٣) الذي نزلناه عليك يا محمد ﷺ ذكر يتبرك به(٤) قارئه، فيحوز به الأجر العظيم.

وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ استفهام بمعنى الإنكار على الكفار(٥).

= والفراء يرى أن حذف الواو والمجيء بها واحد واعترضه الزجاج بأن الواو تجيء لمعنى فلا تزاد. ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٠٥)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٤).

(١) في نسخة (ب): (يلحقهم).

(٢) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٤٥٤).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٩٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٥٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة بمثله (٨/ ٢٤٥٤).

(٤) تفسير السمعاني(٣/ ٣٨٥).

(٥) ذكره ابن عادل في تفسيره وقال: " المعنى: كيف تنكرون كونه منزلاً من عند الله مع اعترافكم بأن التوراة منزلة من عنده؟ " ينظر: اللباب في علوم الكتاب / المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن عادل الحنبلي (المتوفى: ٧٧٥هـ)-المحقق: الشيخ عادل عبدالموجود والشيخ علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -(١٣/ ٥١٦)، وفتح القدير للشوكاني(٣/ ٤٨٥).

قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

معناه: ولقد أعطينا إبراهيم هداه[1]، وهو حدث السن لم يبلغ[2]، ويُقال: أراد بقوله تعالى ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل موسى وهارون[3].

وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ معناه: كنا عالمين أنه أهل لذلك، كما قال في آية أخرى: ﴿ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4]

---

(١) رواه سفيان الثوري في تفسيره =تفسير الثوري / لسفيان بن سعيد الثوري الكوفي (المتوفى: ١٦١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ- (ص٢٠١-٢٠٢)، وانظر معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٠٦)، وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٣/ ٣٩٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٥٥) عن قتادة ونحوه عن مجاهد.

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٩٥)، وانظر الكشف والبيان للثعلبي(٦/ ٢٧٨)، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ١٩٤) من رواية أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه، وحكاه الرازي في تفسيره (٢٢/ ١٥٢) عن مقاتل به. قال: أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٤٤٢)" وأبعد من ذهب إلى أن التقدير من قبل بلوغه أو من قبل نبوته يعني حين كان في صلب آدم. وأخذ ميثاق الأنبياء، أو من قبل محمد ﷺ؛ لأنها محذوفات لا يدل على حذفها دليل بخلاف من قبل موسى وهارون؛ لتقدم ذكرهما. وقربه "

(٣) وهو مروي عن ابن عباس رضى الله عنهما وكذلك الضحاك، انظر زاد المسير لابن الجوزي(٣/ ١٩٤)، ومفاتيح الغيب للرازي (٢٢/ ١٥٢). قال: السمين الحلبي في الدر المصون (٨/ ١٦٧) " وهذا أحسن ما قدر به المضاف إليه ".

(٤) آية (٣٢) سورة الدخان.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ أي: آتيناه رشده، حين قال لأبيه وقومه في الوقت الذي خرج من السرب[1] فرآهم يعكفون على الأصنام: ما هذه التماثيل، أي: التصاوير التي أنتم لأجلها/ مقيمون عليها؟ والعكوف: اللزوم لفعل أمر من الأمور[2]. [ل٤٠٤/أ]

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ بينوا بهذا الجواب: أنه لا حجة لهم في عبادة الأصنام إلا تقليدهم لآبائهم، وقال لهم إبراهيم عليه السلام: لقد كنتم أنتم وآباؤكم بعبادة الأصنام في ذهاب عن الحق ظاهر[3].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ معناه: قالوا لإبراهيم: أجاد أنت فيما تقول محق عند نفسك أم لاعب مازح[4]؟ وذلك أنهم كانوا يستبعدون إنكار عبادتها عليهم. قال لهم إبراهيم عليه السلام: بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن دلهم على الله تعالى بفعله[5]، وقال: بل إلهكم مالك السماوات والأرض الذي فطرهن،

---

(١) السرب: المراد به المغارة التي ولدته أمه فيها خوفاً من نمرود وكان يذبح الأبناء وقد مكث فيها زمناً. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٨/ ٤٨٥)، ولسان العرب لابن منظور(١/ ٤٦٦)، مادة "سرب"، تاريخ الطبري (١/ ٢٣٤) "طبعة دار التراث – بيروت-" وأشار إلى هذا الفراء في معانيه (٢/ ٢٠٦)، وهذه من أخبار بني إسرائيل ولهذا قال: الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٥/ ٣٤٧-٣٤٨) "وما يذكر من الأخبار عنه في إدخال أبيه له في السرب، وهو رضيع، وأنه خرج به بعد أيام، فنظر إلى الكوكب والمخلوقات، فتبصر فيها وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم -فعامتها أحاديث بني إسرائيل، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح، وما خالف شيئا من ذلك رددناه، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه، بل نجعله وقفا، وما كان من هذا الضرب منها فقد ترخص كثير من السلف في روايتها، وكثير من ذلك ما لا فائدة فيه، ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين. ولو كانت فيه فائدة تعود على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة ".

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٣/ ٣٩٥)، المحرر الوجيز لابن عطية(٤/ ٨٦).

(٣) مجمع البيان (٧/ ٩٤).

(٤) انظر: تفسيرالطبري(١٨/ ٤٥٦)، الكشف والبيان للثعلبي (٦/ ٢٧٩).

(٥) مجمع البيان (٧/ ٩٤).

أي: خلقهن وأنا على ما قلت لكم من الشاهدين والفطر شق الشيء عن أمر ظهر منه. يُقال: فَطَرَه يَفْطِرَه فَطْراً وانْفَطر انفِطَاراً ومنه تفجر الشجر بالورق[1]، فكأن السماء شقت عن شيء، فظهرت بخلقها والشاهد الدال على الشيء بما يرجع إلى ثقة المشاهدة[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾ معناه: والله لأضرن بأصنامكم وأبطلنها وقت مغيبكم عنها وذلك أنهم كانوا يعزمون على الذهاب إلى عيد لهم، فقال لهم عند ذلك هذا القول[3]. وقال قتادة: ﷺ: إنما قاله في نفسه سراً من قومه[4]. وأما تسمية الكسر كيداً، فهي على طريق التوسع؛ لأن الكيد هو: ما يفعل بالآدميين وكان عند القوم أن الضرر يجوز على الأصنام[5].

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا ﴾ فيه إضمار ومعناه: لما ولوا مدبرين جعلهم جذاذاً، أي: مكسرة إلا كبيراً لهم من تلك الأصنام وهو الذي كان أكبرها عند عابديها[6]، يُحتمل أنه كان أكبرها جثة ويُحتمل أنهم كانوا يعظمونه أكثر مما يعظمون

---

(١) انظر الصحاح (٢/ ٧٨١)، وانظر مختار الصحاح (ص٢٤١)، لسان العرب(٥/ ٥٥).

(٢) مجمع البيان (٧/ ٩٤).

(٣) أشار إلى ذلك الفراء في معانيه (٢/ ٢٠٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٥٨) عن السدي بنحوه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٦/ ٢٧٩)عن السدي بمثله. والله أعلم بصحة ذلك.

(٤) ذكره هنا مختصراً وهو من قول مجاهد وقتادة بلفظ " إنما قال إبراهيم هذا في سر من قومه ولا يسمع ذلك إلا رجل واحد منهم، وهو الذي أفشاه عليه وقال: سمعنا فتى يذكرهم يُقال له إبراهيم"، أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٥٧) عن مجاهد وقتادة بمعناه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٥٥) عن قتادة بمعناه، الكشف والبيان للثعلبي(٦/ ٢٧٩)، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور: حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية -(٣/ ٣٨٧). وفي الآية قول أخر سيأتي في موضعه.

(٥) مفاتيح الغيب للرازي(٢٢/ ١٥٣).

(٦) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٣/ ٣٩٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٥٩) عن ابن عباس =

سائر الأصنام[1]، فلم يكسره إبراهيم، بل وضع الفأس الذي كسر الأصنام به على عنق الصنم الأكبر؛ لعلهم إليه يرجعون[2]، فيحتج به إبراهيم عليه السلام عليهم وينبههم على أنها إن قدرت على ضر ونفع، فهو الكاسر لهذه الأصنام وإن لم تقدر فلم تعبدونها؟ وكيف يكون إلهاً من لا يقدر على دفع ما ينزل به؟

وفي قوله ﷻ: ﴿جُذَاذًا﴾ قراءتان: من قرأ بضم الجيم[3]، فهو فعال في موضع المفعول نحو حطام بمعنى: محطوم ورفات بمعنى: مرفوت ومن قرأ بكسر الجيم[4]، فيجوز أن يكون جمع جذيذ بمعنى: مجذوذ نحو كَرِيم وكِرَام وخَفِيْف وخِفَاف[5] ومعنى الجذ: هو الكسر وكل شيء كسرته فهو جذذته ويُقال: معنى جعلهم جذاذاً، أي: استأصلهم[6] من قولهم جذ الله دابر القوم، أي: استأصلهم.

= رضي الله عنهما من طريق ابن جريج به.

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٩٦)، وقال الرازي في تفسيره (٢٢/ ١٥٤) بعد ذكر الأمرين: ويحتمل الأمرين يعني في التعظيم والخلقة.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٥٨-٤٥٩) عن السدي ومجاهد بنحوه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٦/ ٢٧٩)عن السدي بنحوه.

(٣) وهي قراءة الجمهور، السبعة (ص٤٢٩)، التيسير (ص١٥٥)، تفسير الطبري(١٨/ ٤٥٧)، تفسير البحر المحيط(٧/ ٤٤٥).

(٤) وهي قراءة الكسائي، السبعة (ص٤٢٩)، التيسير (ص١٥٥)، تفسير الطبري (١٨/ ٤٥٧)، تفسير البحر المحيط (٧/ ٤٤٥).

(٥) معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٠٦)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٣/ ٣٩٥-٣٩٦)، وانظر معاني القراءات للأزهري (٢/ ١٦٧-١٦٨)، تفسير الطبري(١٨/ ٤٥٧)، وقال: أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٤٤٥): " وهي لغات أجودها الضم كالحطام والرفات قاله أبو حاتم ".

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة بمعناه، تفسير الطبري(١٨/ ٤٥٨).

وقوله ﷻ: ﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

معناه: فلما رجعوا من عيدهم فوجدوا أصنامهم مكسرة، قالوا: من فعل هذا الكسر بآلهتنا، إنه لمن الظالمين. قالوا: سمعنا فتى يذكرهم، يُقال له: إبراهيم وذلك أن بعضهم كانوا تخلفوا، فسمعوه يذكرها بالعيب[1]، ويقول: إنها ليست بآلهة، فقال: أولئك ينبغي أن يكون ذلك الفتى هو الذي كسرها، قالوا: فأتوا بذلك الفتى على مرأى من الناس؛ لكي يشهد الذين عرفوه أنه يعيب الأصنام على قوله الذي قاله في عيب الأصنام، فيكون عقوبتنا إياه بحجة قامت عليه[2].

ويجوز أن يكون معنى لعلهم يشهدون: لكي يشهد الناس عقوبته[3].

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ معناه: قالوا لإبراهيم ﵇: أأنت فعلت هذا الكسر بآلهتنا؟ قال إبراهيم ﵇: بل فعله كبيرهم هذا الذي الفأس على عنقه، فاسألوهم إن كانوا ينطقون؟ حتى يخبروكم من كسرهم، وأراد بهذا

---

(١) ذكر المفسرون قولان في الآية. الأول/ أن إبراهيم قال ذلك سراً من قومه ولم يسمع هذا القول من إبراهيم إلا رجل واحد وهو الذي أفشاه عليه. وهذا قول مجاهد وقتادة. والثاني/ أنه لما خرج الناس إلى عيدهم وبقي ضعفى الناس قال إبراهيم ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ ﴾ الآية فسمعوها منه، وهو قول السدي. ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٤٥٨)، الكشف والبيان للثعلبي (٦/ ٢٧٩). و لعل الأقرب للسياق هو القول الثاني لإضافة القول إلى جماعة وهم الضعفى ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٦٠)، وأورده الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٥١) كلاهما عن الحسن وقتادة والسدي به، تفسير البغوي(٥/ ٣٢٤)، تفسير الرازي(٢٢/ ١٨٤). وذلك أنهم كرهوا أن يأخذوه بغير بينة.

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٠٦)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٩٦)، ورواه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٠) عن ابن إسحاق بنحوه، وذكر الرازي في تفسيره (٢٢/ ١٨٤) عن مقاتل والكلبي أن المراد به الأمرين أي يشهدون عليه بفعله ويشهدون عقابه.

تقريرهم بأنهم ضالون في عبادتهم، بما لا يدفع عن نفسه؛ لأنه لا يجوز أن يكون قوله: بل فعله كبيرهم، خبرا منه بأنه قد فعله؛ لأن جماعتهم كانوا يعلمون أن الصنم لا يعقل ولا يفعل ولا ينطق ولا يضاف مثل هذا الخبر إلى إبراهيم عليه السلام مع ظهور فساده ولكن المراد: تبكيت القوم وتوبيخهم على عباده ما لا يعقل ولا يفعل / ولذلك قال: [ل٤٠٤/ب] فاسألوهم، فإن قوله: فاسألوهم، ليس بأمر على التحقيق من حيث أن المعلوم أنهم لا ينطقون، فكذلك إضافة الفعل إلى كبيرهم، كأنه عليه السلام قال: ما تنكرون أن يكون فعله كبيرهم، فإن من اعتقد أن الصنم إله، لزمه أن يعتقد أنه فعل فعلاً، فإن كانت هذه الأصنام آلهة كما تدعون، فإنما فعل ذلك بهم كبيرهم؛ لأن غير الإله لا يقدر أن يضر بالإله وقد يقع الإلزام تارة بلفظ الخبر وتارة بلفظ الأمر[١] وهذا كما في قوله تعالى ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾[٢] وهو إلزام وتعجيز وقيل: إن قوله: بل فعله كبيرهم، مقيد بقوله: إن كانوا ينطقون[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوهُمۡ﴾ اعتراض بين الكلامين، كما يقول الرجل لآخر: إن لي على هذا مائة درهم، فسأله إن أقر. يريد بذلك لي عليه مائة درهم إن أقر، فسأله،

-----

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ٤٥٢) من غير نسبة لأحد، وذكره الزمخشري في تفسيره (٣/ ١٢٤) بمعناه من غير نسبه، وذكره القرطبي في تفسيره (١١/ ٣٠٠) من غير نسبة لأحد، وذكره ابن جزي في تفسيره = التسهيل لعلوم التنزيل / المؤلف: محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)-المحقق: د/ عبدالله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ- (٢/ ٢٤) من غير نسبة لأحد.

(٢) آية (٣٨) سورة يونس.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٦/ ٢٨٠) عن ابن قتيبة بمثله. وهو في تأويل مشكل القرآن / المؤلف: عبدالله بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)- المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان -(ص١٦٦) مع تقديم وتأخير، وقال الألوسي في روح المعاني (٩/ ٦٣) " إلى نحو ذلك أشار ابن قتيبة وهو خلاف الظاهر ".

فكذلك هذا معناه: فعله كبيرهم هذا، إن كانوا ينطقون،[(١)] فسألوهم[(٢)] وإنما حملنا الآية على أحد هذين التأويلين؛ لأنه لا يجوز الكذب على الأنبياء عليهم السلام وإن لم يكن في ذلك غرر ولا ضرر؛ لأن الحكمة تزجر عن الكذب، كما تزجر عن العيب ولا يجوز إضافة الكذب إلى الأنبياء صلوات الله عليهم على جهة التقيّة[(٣)]؛ لأن التقيّة لا تجوز على الأنبياء صلوات الله عليهم، لما في ذلك من التشكيك في أخبارهم وأما ما يُروى من الخبر المرفوع: « إن إبراهيم عليه السلام، لم يكذب إلا ثلاث كذبات كلها في ذات الله تعالى، قوله: بل فعله كبيرهم هذا وقوله عليه السلام: إني سقيم وقوله لسارة: هي أختي »[(٤)]،

----

(١) في نسخة(ب)، بزيادة(قوله).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٩٧).

(٣) التقيّة من عقائد الرافضة المشهورة، التي تحتل مكانة كبيرة، ومنزلة رفيعة من دينهم. ولهم في فضلها مبالغات كبيرة.

و التقية في اصطلاح الشيعة هي كما عرفها شيخهم المفيد بقوله: "التقية كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا".

ففي الكافي والمحاسن أن أبا جعفر قال -بزعمهم-: «التقيّة من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقيّة له». وفيهما أيضاً عن أبي عبدالله: «إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له». والرافضة يحتجون لهذه العقيدة الفاسدة بقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ ولا حجة لهم في هذه الآية ولا غيرها من النصوص.

واختلفوا في التقية:

١- فزعمت الروافض أنه جائز أن يظهر الإمام الكفر والرضى به والفسق على طريق التقية وجوزوا ذلك على الرسول ﷺ.

٢- وقال قائلون: لا يجوز ذلك على الرسول ﷺ ولا يجوز أيضا على الإمام.

ينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري (٢/ ٣٥٢)، الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال (ص٦٧-٦٨) للشيخ/ إبراهيم بن عامر بن عليّ الرّحيلي، مصطلحات في كتب العقائد (ص٢٥٣).

(٤) في هامش نسخة الأصل كُتِبَ بخط الناسخ (وأما قوله لساره هي أختي رواه مسلم في كتابه).

فلم تثبت هذه الرواية عن رسول الله ﷺ[1] ويجوز أن يكون من دسيس بعض المتهمين، فإنه لو جاز أن يكذب الرسل لمصلحة، لجاز أن يتهموا في سائر ما يخبرون به، حتى يُقال: إنه أو بعضه كذب لضرب من المصلحة وذلك يبطل الثقة بكتب الله تعالى وبكلام الأنبياء صلوات الله عليهم ولو صح هذا الخبر، احتمل أن يكون المراد بالكذب المعاريض على معنى: أن صورته صورة[2] الكذب، كما يقول القائل كلمة يظهرها لصاحبه: هذا الذي قلته نور يتلألأ والقول لا يكون نوراً، فكذلك قول إبراهيم عليه السلام: بل فعله كبيرهم هذا، فكيف يجوز حمل هذه الأقوال الثلاثة على الكذب ولكل واحد منها وجه صحيح؟ أما وجه هذه الآية فما قلناه وأما قوله: إني سقيم، فيجوز أن يكون معناه: إني مغتم لضلالكم، حتى أنا كالسقيم ويجوز أن يكون المعنى: سقيم عندكم فيما أدعوكم إليه من الدين ويجوز أن يكون ناله مرض يسير في ذلك الوقت وأما قوله لسارة: هذه أختي، فتأويله أنها كانت أخته في الدين[3].

---

(١) والأقرب أن الخبر ثابت عن النبي ﷺ، فهو مخرج في الصحيحين فقد أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الأنبياء/ باب: قول الله تعالى ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ / ح٣٣٥٨)، ومسلم في صحيحه (كتاب الفضائل/ باب: من فضائل إبراهيم الخليل / ح٢٣٧١)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مع تفاوت بينهم في بعض الألفاظ.

(٢) سقطت(صورة) من نسخة(ب).

(٣) منقول بالنص من مجمع البيان للطبرسي (٧/ ٩٧). قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ-(٢٨/ ٢٢٣) " ولكن تباح عند الحاجة الشرعية " المعاريض " وقد تسمى كذباً؛ لأن الكلام يعني به المتكلم معنى وذلك المعنى يريد أن يفهمه المخاطب، فإذا لم يكن على ما يعنيه، فهو الكذب المحض وإن كان على ما يعنيه ولكن ليس على ما يفهمه المخاطب، فهذه المعاريض وهي كذب باعتبار الأفهام وإن لم تكن كذباً باعتبار الغاية السائغة. ومنه قول النبي ﷺ " لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله: قوله لسارة: أختي وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ وقوله ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ " وهذه الثلاثة معاريض، ومن هذا الباب قول الصديق في سفر الهجرة عن النبي ﷺ هذا الرجل يهديني السبيل. وبها احتج العلماء على جواز التعريض للمظلوم وهو أن يعني ⇐

قوله ﷻ: ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧ ﴾

معناه: فرجعوا إلى أنفسهم بالملام، فقالوا: إنكم أنتم الظالمون في سؤاله؛ لأنها لو كانت آلهة لم يصل إبراهيم عليه السلام إلى كسرها.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ ﴾ معناه: أدركتهم حيرة، فنكسوا لأجلها رؤوسهم وأقروا بما هو حجة عليهم، فقالوا: لقد علمتَ يا إبراهيم عليه السلام، ما هؤلاء ينطقون، فلذلك كسرتهم[1] ويُقال: معناه: ثم نكسوا على رؤوسهم رجعوا إلى قولهم الأول وإلى ضلالهم القديم[2].

وقوله تعالى: ﴿ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ إنكار من إبراهيم عليه السلام عبادة ما لا ينفع ولا يضر.

وقوله تعالى: ﴿ أُفّٖ لَّكُمۡ ﴾ معناه: قذراً ونتنا لكم[3] ولما تعبدون أيها الضالون، إذ

= بكلامه ما يحتمله اللفظ وإن لم يفهمه المخاطب. انظر: أحكام القرآن / المؤلف: محمد بن عبدالله أبو بكر بن العربي (المتوفى: ٥٤٣هـ)-راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ -(٣/ ٢٦٢-٢٦٤)، تفسير القرطبي (١١/ ٣٠٠-٣٠١).

(١) معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٠٧)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٦٣) عن قتادة بنحوه، وذكره الزمخشري في تفسيره (٣/ ١٢٥)، والرازي في تفسيره (٢٢/ ١٥٧)، من غير نسبة لأحد.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٦٣) عن السدي بمعناه، وذكره الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٥٢) بمعناه من غير نسبة لأحد، ولعل هذا القول هو الأقرب للصواب؛ وذلك لأنه لو أُريد المعنى الأول لقيل: ثم نكسوا رؤوسهم، فلما قيل: نكسوا على رؤوسهم، على الفعل الذي لم يسم فاعلة، ظهر أن هذا هو المعنى المراد.

(٣) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٣٩٨)، انظر تفسير الطبري(١٨/ ٤٦٤)، انظر الكشاف للزمخشري(٣/ ١٢٥).

عبدتم أحجاراً لا حركة لها ولا بيان ولا نطق أفليس لكم ذهن الإنسانية أن من هذه صفته لا يجوز أن يعبد(١)؟

قوله ﷻ: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾

معناه: قالوا: حرقوا إبراهيم بالنار وانتقموا لآلهتكم وعظموها إن كنتم فاعلين في هذا شيئا، فاشتغلوا بجمع الحطب، حتى كان الشيخ الذي يقعد في داره يذهب ويأتي بالحطب تقربا إلى آلهتهم، فلما جمعوا من الحطب شيئا كثيرا وأرسلوا فيه النار وقصدوا إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار التي أوقدوها قال الله تعالى للنار ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ أي: ذات برد وسلامة على إبراهيم عليه السلام، / فأحدث الله تعالى في النار برداً بدلاً من شدة الحر، حتى لم يؤذه(٢)، قال عبدالله بن عباس { : ولو لم يقل الله تعالى وسلاماً لأهلكه البرد(٣). [ل٤٠٥/أ]

وقال قتادة رضي الله عنه ما أحرقت النار إلا وثاقه(٤)، ورُوي أن إبراهيم عليه السلام لما أوثقوه، ليرموه(٥) في النار قال « لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٤٦٤).

(٢) مجمع البيان (٧/ ٩٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٦٦)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٦/ ٢٨١) كلاهما عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه، وهذه الرواية عن ابن عباس رضى الله عنهما منقطعة؛ لأنها من رواية السدي عن ابن عباس رضى الله عنهما والسدي لم يلق ابن عباس رضى الله عنهما.
وجاء نحو ذلك عن علي رضي الله عنه من طريق الأعمش، عن شيخ، عن علي بن أبي طالب. وفي سنده مجهول.
انظر: تفسير سفيان الثوري " ص٢٠٢"، تفسير الطبري(١٨/ ٤٦٦).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٦٦) عن قتادة بمثله.

(٥) في نسخة (ب): (ليلقوه) وهو تصحيف.

شريك لك »[1]

وقوله تعالى: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾ معناه: وأرادوا به الحيلة في الإضرار به، فجعلنا الكفار الذين أرادوا إحراقه الأخسرين، بأن لم يتم لهم ما عزموا عليه وتبين عجزهم عن نصرهم آلهتهم؛ فخسر سعيهم.

وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا﴾ معناه: ورفعنا إبراهيم ولوطاً عن الهلكة إلى الأرض المباركة وهي أرض الشام. جاء في الخبر أنهما هاجرا إلى أرض الشام، فأمنا بأس الفاسقين وسميت أرض الشام مباركة؛ لكثرة الأنبياء صلوات الله عليهم الذين بعثهم الله تعالى فيها[2]. وعن أبي العالية ~ أنه ما[3] من ماء عذب، إلا وهو يجري من الصخرة التي ببيت المقدس[4].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٦٦-٤٦٧) عن قتادة وابن جريج وأرقم بمثله، الكشف والبيان للثعلبي(٦/ ٢٨١)، قال ابن عطية في تفسيره (٤/ ٨٨) " وقد أكثر الناس في قصص حرق إبراهيم وذكروا تحديد مدة بقائه في النار وصورة بقائه ما رأيت اختصاره لقلة صحته، والصحيح من ذلك أنه ألقي في النار، فجعلها الله تعالى عليه برداً وسلاماً، فخرج منها سالماً وكانت أعظم آية ".

(٢) الكشف والبيان للثعلبي(٦/ ٣٨٣).

(٣) في نسخة (ب): (ليس) بدل (ما).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٦٨) عن أُبي بن كعب من طريق الحسين بن واقد، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية بنحوه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٦/ ٢٨٣) عن أبي بن كعب بمثله.

وفي سنده الحسين بن واقد، له أوهام قال عنه العقيلي أنكر أحمد ابن حنبل حديثه وقال الأثرم قال أحمد في أحاديثه زيادة ما أدري أي شيء هي ونفض يده، وقال الساجي فيه نظر وهو صدوق يهم قال أحمد أحاديثه ما أدري إيش هي. انظر " تهذيب التهذيب " (٢/ ٣٧٣-٣٧٤). وقال ابن عطية في تفسيره (٤/ ٨٩) لما ذكر هذا الأثر: "وهذا ضعيف". ولعله من الإسرائيليات والله أعلم.

قوله ﷻ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

معناه: ووهبنا لإبراهيم ولده إسحاق وولد ولده يعقوب وسمي يعقوب: نافلة؛ لأنه تعالى زاد إبراهيم على ما سأله من الولد ولد الولد[1].

والنافلة في اللغة: زيادة على الأصل[2] ونوافل الصلاة ما تطوع به المصلي ويُقال لهما جميعا: نافلة؛ لأنهما عطية زائدة على ما تقدم من النعم.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ أي: وكلا منهما وفقناه للعمل الصالح وجعلناهم قادة في الخير يدعون الناس إلى أمرنا، فأمرناهم بفعل الخيرات وبإقامة الصلاة وهي إدامتها وبإعطاء الزكاة وكانوا لنا خاضعين مطيعين وإنما قال: وإقام الصلاة بلا هاء؛ لأن الإضافة صارت عوضاً عن الهاء[3].

---

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره=تفسير عبدالرزاق / المؤلف: أبو بكر عبدالرزاق الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) -دراسة وتحقيق: د. محمود عبده، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ - (٢/ ٣٨٧) عن الكلبي بنحوه، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٥٧) عن ابن عباس رضى الله عنهما من طريق العوفي بمعناه، ورواه كذلك عن قتادة وابن زيد بنحوه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٦/ ٢٨٤) عن ابن عباس وأُبي بن كعب رضى الله عنهما وابن زيد وقتادة بنحوه، واختاره الفراء في معاني القرآن (٢/ ٢٠٧)، وكذلك الزجاج في معاني القرآن (٣/ ٣٩٨).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (١٥/ ٢٥٥-٢٥٦) مادة " نفل "، وانظر الصحاح للجوهري (٥/ ١٨٣٣) مادة " نفل "، لسان العرب لابن منظور(١١/ ٦٧١-٦٧٢)، بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي(٥/ ١٠٨-١٠٩).

(٣) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٣٩٨).

قوله ﷻ: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

معناه: وآتينا لوطا عليه السلام حكما وعلما والحكم والحكمة بمعنى واحد مثل نعم ونعمة.

وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ أي: من أهل قرية سدوم[1] ومن التأذي بهم، ويُقال: نجيناه من العذاب الذي حل بتلك القرية وأما خبائث أعمالهم، فقد روي أنهم كانوا يأتون الذكران في أدبارهم ويتضارطون في أنديتهم[2].

قوله ﷻ: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

معناه: وأكرمنا نوحاً إذ دعا ربه على قومه[3] من قبل إبراهيم ولوط، فاستجبنا دعاءه، فأنجيناه ومن آمن به من الغم العظيم وهو غم الغرق[4] والكرب في اللغة: كل

---

(١) سَدُومُ: " فعول من السّدم، وهو الندم مع غمّ، وهي مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له سدوم.

وقال الشاعر:

كذلك قوم لوط حين أضحوا   كعصف في سدومهم رميم

وهذا يدلّ على أنّه اسم البلد لا اسم القاضي، إلّا أن قاضيها يضرب به المثل فيقال: أجور من قاضي سدوم ". انظر معجم البلدان للحموي (٣/ ٢٠٠)

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٥٥)، والقرطبي في تفسيره (١١/ ٣٠٦) من غير نسبة لأحد.

(٣) ودعاء نوحٍ على قومه هو قوله تعالى - حكاية عن نوح عليه الصلاة والسلام - ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [سورة نوح آية ٢٦].

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٣٣١)، والرازي في تفسيره (٢٢/ ١٦٣) منسوباً إلى ابن عباس رضى الله عنهما بمثله.

وذكر الرازي في تفسيره (٢٢/ ١٦٣) ثلاثة أقوال في ذلك: الأول / أنه الغرق. والثاني / أنه تكذيب ⇐=

أمر يشتد على الإنسان الحزن فيه[١].

وقوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ معناه: منهم أن يصلوا إليه بسوء، يُقال: نصره من فلان إذا منعه منه من أن يضر به ونصره على فلان إذا أعانه عليه حتى غلبه[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾ أي: كانوا قوماً كفاراً، فأغرقناهم بالطوفان.

قوله ﷻ: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾

معناه: وأكرمنا داوود وسليمان بالنبوة والحكمة، إذ يحكمان في الحرث، إذ وقعت فيه بالليل غنم قوم آخرين[٣]، ذكر لفظ الجمع في موضع التثنية للإضافة[٤] كقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾[٥] معناه: فإن كان له أخوان، وأما النفش في اللغة: فهو الرعي بالليل يقال: نفشت السائمة بالليل وهملت بالنهار إذا رعت[٦].

= قومه له. والثالث/ أنه مجموع الأمرين ولعله الأقرب.

(١) انظر جمهرة اللغة (١/ ٣٢٧) مادة " ب ر ك "، الصحاح للجوهري (١/ ٢١١) مادة " كرب "، مقاييس اللغة لابن فارس(٥/ ١٧٤-١٧٥).

(٢) انظر البحر المحيط لأبي حيان(٧/ ٤٥٤)، والدر المصون للسمين الحلبي(٨/ ١٨٤)، التحرير والتنوير / المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) -الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ -(١٧/ ١١٣ ٩).

(٣) انظر تفسير الطبري(١٨/ ٤٧٥).

(٤) معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٠٨)، انظر تفسير الطبري (١٨/ ٤٧٦)، وبه علل الجمع ابن عطية في تفسيره (٤/ ٩٣).

(٥) آية (١١) سورة النساء.

(٦) الصحاح للجوهري (٣/ ١٠٢٢) مادة " نفش "، والفيروز آبادي في " القاموس المحيط " (ص٦٠٨) مادة " نفش".

وقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ معناه: فهمناه القضية ويقال: فهمناه قيمة ما أفسدت [الغنم][1] وكلا منهما آتيناه العلم والفصل / بين الخصوم رُوي عن عبدالله بن عباس ، أنه قال: كان الحرث لقوم، فنفشت فيه غنم قوم ليلاً، فرعت ذلك الحرث وأكلته وأفسدت كرماً[2] كان خرج بعض عناقيده، فتحاكما إلى داوود ، فحكم بدفع الغنم إلى أصحاب الحرث وكانا في القيمة سواء، فمروا على سليمان ، فقال بماذا قضى الملك فأخبروه بحكمه، فقال: نعم ما حكم به وغير هذا كان أرفق بالكل، فأخبروا داوود بقوله ، فدعاه وعزم عليه بحق النبوة والملك وبحق الوالد إلا أخبره بما عنده، فقال: يأخذ[3] أهل الكرم الغنم، فينتفعون بألبانها [وسمنها][4] وأصوافها وأولادها إلى الحول ويعمل أهل الغنم في كرمهم حتى يعود كهيئته يوم أفسد، ثم يرد الغنم إليهم، فقال داوود : نعم ما قضيت به، فقضى داوود بينهم بذلك، فقوّم بعد ذلك الكرم وما أصابوه من الغنم، فوجدوه مثل ثمن الكرم كما قضى به داوود ، هكذا رُوي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية[5].

[ل٤٠٥/ب]

وإلى هذا ذهب بعض الناس، فقالوا: إذا نفشت الغنم ليلاً[6] في زرع رجل، فأفسدته كان على صاحب الغنم ضمان ما أفسدته وإن كان نهاراً، لم يضمن شيئاً

---

(١) في النسختين (النعم)، ولعل الأقرب هو ما أثبته، لأنه الأليق بالسياق.

(٢) الكرم: هو العنب سمي بذلك، لأنه مجتمع الشعب منظوم الحب. انظر: الصحاح (٥/ ٢٠٢٠) مادة "كرم"، مقاييس اللغة (٥/ ١٧٢).

(٣) في نسخة (ب): (يأجد)، وهو خطأ.

(٤) في نسخة الأصل (وسمنها) ساقطة، ولعل الأليق هو إثباتها.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٧٥-٤٧٦) عن ابن عباس رضى الله عنهما من رواية العوفي بنحوه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٦/ ٢٨٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة والزهري ومرة بمثله.

(٦) سقطت(ليلاً) من نسخة (ب).

واستدلوا[١] بما يُروى في الخبر: أن ناقة كانت للبراء دخلت حائط[٢] رجل، فأفسدته، فقضى رسول الله ﷺ « على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل »[٣] وأما أصحابنا رحمهم الله فلا يرون في هذه المسألة ضماناً ليلاً ونهاراً إذا لم يكن

---

(١) في نسخة(ب)، بزيادة (أيضاً).

(٢) يُقال للأرض المحاط عليها حائط، فإذا لم يحط عليها فهي ضاحية. انظر تهذيب اللغة (٥/ ١٢٠).

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ / المؤلف: مالك بن أنس الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)-المحقق: محمد الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ- (كتاب الأقضية / باب: القضاء في الضواري والحريسة / ح٢٧٦٦) قال حدثني يحيى، عن مالك، عن ابن شهاب، عن حرام بن سعد بن محيصة، أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائط رجل فأفسدت فيه. فقضى رسول الله ﷺ: «أن على أهل الحوائط حفظها بالنهار، وأن ما أفسدت المواشي بالليل ضامن على أهلها»، ورواه ابن ماجه في " سننه" (كتاب الأحكام / باب: الحكم فيما أفسدت المواشي (/ ح٢٣٣٢) من طريق الليث عن الزهري عن حرام بنحوه مرسلاً، وذكره الثعلبي في تفسيره (٦/ ٢٨٥) من رواية الزهري، عن حرام بن محيصة بنحوه، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٣٣٢)، وهذا الحديث رواه جماعة من أصحاب الزهري عنه، عن حرام بن محيصة مرسلاً.

وأخرجه الجصاص في أحكام القرآن / المؤلف: أحمد بن علي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)-المحقق: محمد القمحاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ - (٥/ ٥٣-٥٤) من طريقين قال: " ذُكر في الطريق الأول " حرام بن محيصة عن أبيه " أن ناقة للبراء، وذكر في الطرق الثاني "حرام بن محيصة عن البراء بن عازب"، وكذلك لم يذكر في الطريق الأول " ضمان ما أصابت الماشية ليلا وإنما ذكر الحفظ فقط"، وهذا يدل على اضطراب الحديث بمتنه وسنده" انتهى كلامه ~ مع تصرف يسير. وقال: ابن عبدالبر في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد / المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)-تحقيق: مصطفى العلوي، محمد البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ- (١١ / ٨١ - ٨٢،)" هكذا رواه جميع رواة الموطأ - فيما علمت - مرسلاً، وكذلك رواه أصحاب ابن شهاب عن ابن شهاب مرسلاً إلا أن ابن عيينة رواه عن الزهري عن سعيد بن المسيب وحرام بن سعد بن محيصة... ثم قال: هذا الحديث وإن كان مرسلاً، فهو حديث مشهور أرسله الأئمة وحدث به الثقات واستعمله فقهاء الحجاز وتلقوه بالقبول، وجرى في المدينة به العمل ".

صاحب الغنم هو الذي أرسلها فيه[(١)] ولا حجة للخصم في هذه الآية؛ لأنه لا خلاف بين المسلمين أن من نفشت غنمه في حرث رجل، أنه لا يجب عليه تسليم الغنم ولا تسليم أولادها وألبانها وأصوافها إليه فثبت أن الحكمين اللذين حكم بهما داوود ﷺ، [وسليمان عليهما السلام][(٢)] منسوخان بشريعة نبينا محمد ﷺ، وقد رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال « العجماء جُبار »[(٣)] وهذا خبر متفق على استعماله في البهيمة المنفلتة إذا أصابت إنساناً أو مالاً؛ لأنه لا ضمان على صاحبها، إذا لم يرسلها هو عليه، فلما كان هذا الخبر مستعملاً عند الجمع[(٤)] وكان عمومه ينفي ضمان ما تصيبه البهيمة ليلاً ونهاراً، ثبت بذلك نسخ ما ذكر في قصة داوود وسليمان عليهما السلام ونسخ ما رُوي

----

(١) قال الطحاوي في مختصر اختلاف العلماء / المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)-المحقق: د. عبدالله أحمد، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٧ ه-(٥/ ٢١١-٢١٢): " قال أصحابنا -يعني الحنفية-: لا ضمان على أرباب البهائم فيما تفسده أو تجني عليه لا في الليل ولا في النهار، إلا أن يكون راكبا أو قائدا أو سابقا أو مرسلاً. وقال مالك والشافعي: ما أفسدت المواشي بالنهار فليس على أهلها منه شيء، وما أفسدت بالليل فضمانه على أربابها ".
وانظر تفصيل المسأله في "التمهيد" (١١/ ٨١-٩٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١١/ ٣١٥).

(٢) في نسخة الأصل (وسليمان عليهما السلام) ساقطة، والتصويب من نسخة (ب).

(٣) أخرجه البخاري في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري / المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة -(مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ-(كتاب الديات / باب: العجماء جبار / ح ٦٩١٣)، وأخرجه مسلم في المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ / المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت- (كتاب الحدود / باب: جرح العجماء، والمعدن، والبئر جبار / ح ١٧١٠) من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ، قال: «العجماء عقلها جبار، والبئر جبار، والمعدن جبار، وفي الركاز الخمس» (العجماء) البهيمة وسميت بذلك؛ لأنها لا تتكلم. (جبار) أي جنايتها هدر ليس فيها ضمان.

(٤) في نسخة (ب): (الجميع).

في قصة البراء بن عازب، مع أنه ليس في ذلك الخبر إيجاب ضمان ومع أن سائر الأسباب الموجبة للضمان لا تختلف بالليل والنهار(١).

وفي الآية دليل على أنه كان يجوز للأنبياء صلوات الله عليهم أن يحكموا من طريق الاجتهاد؛ لأن في خبر عبدالله بن عباس { ، ما يدل على أنه كان حكمهما بالاجتهاد ومن المعلوم أن رأي النبي عليه السلام(٢) أفضل من رأي غيره، فكيف يجوز التعبد بالتزام حكم غير النبي ﷺ من طريق الاجتهاد ويمتنع تحكمه من هذا الوجه(٣).

وأما قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ قيل في معناه:

---

(١) هذا الحكم الذي حكما به بعضه موافق لشرعنا، فيكون غير منسوخ وبعضه مخالف لشرعنا، فيكون منسوخاً، والقاعدة تقول " شرع من قبلنا شرعٌ لنا ما لم يكن في شرعنا ما ينسخه "، أما المخالف لشرعنا وهو منسوخ: فهو أن الحكم في شرعنا ضمان ما أفسدت الماشية بالقيمة أو المثل، لا تسليم الماشية ولا تسليم منافعها، وأما الموافق لشرعنا وهو غير منسوخ: فهو الحكم بالضمان على أصحاب الماشية إذا أفسدت بالليل حرثاً ودليل ذلك هو حديث البراء بن عازب ﷺ الذي ذكره المصنف، وكذلك روى عبدالرزاق في " مصنفه" (١٠/ ٨٢)، وابن أبي شيبه في الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار / المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبدالله بن محمد (المتوفى: ٢٣٥هـ)-المحقق: كمال الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ-(٥/ ٤٦١)، والطبري في " تفسيره" (١٨/ ٤٧٧) " عن الشعبي: أن شاة دخلت على حائك " وهو الذي ينسج الثياب " فأفسدت عليه غزله، فاختصموا إلى شريح، فقال شريح: إن كان نهاراً فلا ضمان على صاحبها، وإن كان ليلاً ضَمِن، ثم قرأ قوله تعالى ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ الآية. انظر: تفصيل المسأله في أحكام القرآن للجصاص(٥/ ٥٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١١/ ٣١٤).

(٢) في نسخة(ب): (ﷺ).

(٣) منقول بالنص من مجمع البيان (٧/ ١٠٣). قال القرطبي في تفسيره (١١/ ٣٠٩) في المسألة السادسة على هذه الآية: " واختلف العلماء في جواز الاجتهاد على الأنبياء فمنعه قوم، وجوزه المحققون، لأنه ليس فيه استحالة عقلية، لأنه دليل شرعي فلا إحالة أن يستدل به الأنبياء..... ثم قال: والفرق بينهم وبين غيرهم من المجتهدين أنهم معصومون عن الخطأ، وعن الغلط، وعن التقصير في اجتهادهم، وغيرهم ليس كذلك".

وجعلنا سير الجبال مع داوود عليه السلام أين ذهب تسبيحاً لما فيها من الآية التي تدعو إلى تعظيم الله عز وجل بتنزيهه عن كل ما لا يجوز في صفته وكذلك تسخير الطير له تسبيح يدعو إلى أن مسخرها قادر لا يجوز عليه ما يجوز على العباد[١]. وقيل: كانت الجبال سخرت للتسبيح مع داوود عليه السلام وكذلك الطير[٢] ومما يؤيد هذا القول قوله: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾[٣]

وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ معناه: وكنا فاعلين هذه الأشياء به دلالة على نبوته، كما فعلنا سائر المعجزات بالأنبياء -صلوات الله عليهم- دلالة على نبوتهم.

قوله عز وجل: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

معناه: وعلمنا داوود عليه السلام صنعة الدروع وسمي الدرع لبوساً؛ لأنه يُلبس، كما يُقال للبعير: ركوباً؛ لأنه يُركب والسلاح كله لبوس عند العرب، درعاً كان أو جوشناً[٤][٥] أو سيفاً أو رمحاً[٦].

وقوله تعالى: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾

معناه: ليحرزكم من شدة القتال. من قرأ بالياء[٧] فالمعنى: ليحصنكم اللبوس

---

(١) ذكره الطبرسي في تفسيره (٧/ ١٠٤) وعزاه للجبائي وعلي بن عيسى بمثله.

(٢) ذكره الطبرسي في تفسيره (٧/ ١٠٤) وعزاه لوهب بن منبه بمثله.

(٣) آية (١٠) سورة سبأ.

(٤) في نسخة (ب): (جوسنا)، وهو خطأ.

(٥) الجوشن: هو الصدر، والدرع. انظر: القاموس المحيط (ص١١٨٦)، تاج العروس (٣٤/ ٣٥٥).

(٦) مجمع البيان (٧/ ١٠٢).

(٧) هي قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائى. انظر السبعة لابن مجاهد (٤٣٠).

وقيل: ليحصنكم الله[١]. ومن قرأ بالتاء[٢]، فالمعنى: لتحصنكم الصنعة[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ﴾

ترغيب / في الشكر أي: اشكروا رب هذه النعم. وقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ [ل٤٠٦/أ] معناه: وسخرنا لسليمان الريح عاصفة وهي التي تهب بشدة. وقوله تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ أي: بأمر سليمان من اصطخر إلى الأرض التي بارك الله فيها بالماء والشجر وهي الأرض المقدسة[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾

أي: علمناه وسخرنا له على ما نعلمه، بأن ما أعطيناه يدعوه إلى الخضوع لربه[٥] ويدعو طالب الحق إلى الاستبصار في دينه والعُصُوف في اللغة: هو شدة حركة الريح، يُقال: عَصَفَ يَعْصِف عَصْفاً وعُصُوفاً إذا اشتدت ويسمى التبن: عَصْفاً؛ لأن الريح تعصفه وتطيره[٦].

وقوله تعالى: كيف قال فى هذا الموضع: ولسليمان الريح عاصفة وقال في آية أخرى ﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ﴾ والعاصفة[٧] الشديدة[٨] والرخاء اللينة[٩]، قيل فيه قولان: أحدهما: أنها كانت شديدة الهبوب عند رفع الكراسي والسرر لينة بعد

---

(١) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ص٢٥٠)، معاني القراءات (٢/ ١٦٨).

(٢) هي قراءة ابن عامر وحفص عن عاصم. انظر السبعة (ص٤٣٠).

(٣) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ص٢٥٠)، معاني القراءات (٢/ ١٦٨).

(٤) مجمع البيان (٧/ ١٠٥).

(٥) ذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٣٣٥)، و ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٠٤) بنحوه من غير نسبه.

(٦) انظر تهذيب اللغة للأزهري (٢/ ٢٦-٢٨)، الصحاح للجوهري (٤/ ١٤٠٤-١٤٠٥).

(٧) في نسخة(ب): (والعاصف)، ولعل الأقرب ما أثبته.

(٨) انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٣٢٩)، القاموس المحيط (ص٨٣٨).

(٩) معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٠٥)، مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ١٨٣)، تهذيب اللغة (٦/ ٣٠٠).

ذلك، والثاني: أنها كانت شديدة إذا أراد لينة إذا أراد[(١)].

وأما قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾

فمعناه: وسخرنا له من الشياطين من يغوصون له في البحر؛ لاستخراج ما شاء من لؤلؤ ومرجان وغير ذلك[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾

أي: يعملون دون الغواصة من أعمال البناء وغيره[(٣)]. قيل: إن الله تعالى كثف[(٤)] أجسامهم حتى تهيأ لهم تلك الأعمال على طريق المعجزة لسليمان عليه السلام[(٥)] ومعنى تسخيرهم لتلك الأعمال: أنه سلط عليهم من مؤمني الجن، ويُقال: من بعض الملائكة ما علموا أنهم لو حاولوا الامتناع من أمره، لمنعوهم عن ذلك[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ﴾

أي: حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا[(٧)] وقيل: من أن يهيجوا على أحد في زمانه[(٨)].

---

(١) انظر: مجمع البيان (٧/ ١٠٥)، مفاتيح الغيب للرازي (٢٢/ ١٦٩).

(٢) انظر الكشف والبيان للثعلبي(٦/ ٢٨٧).

(٣) تنوير المقباس (ص٢٧٤)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٠٩)، معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٠١).

(٤) في نسخة(ب): (كيَّفَ) وهو تصحيف.

(٥) ذكر الرازي في تفسيره (٢٢/ ١٧٠) أن الجبائي سأل نفسه " وقال: كيف يتهيأ لهم هذه الأعمال وأجسامهم رقيقة لا يقدرون على عمل الثقيل، وإنما يمكنهم الوسوسة؟ " وأجاب بنحو ما ذكر المصنف. والأولى أن لا يخاض في مثل هذا بالعقل وذلك؛ لأن الله على كل شيْ قدير.

(٦) انظر مفاتيح الغيب للرازي(٢٢/ ١٧٠).

(٧) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٠٩)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٠١)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٤٣٥).

(٨) تنوير المقباس (ص٢٧٤)، بحر العلوم(٢/ ٤٣٥)، ذكره الرازي في تفسيره (٢٢/ ١٧٠) وعزاه إلى الكلبي بمثله.

قوله ﷻ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

معناه: واذكر أيوب إذ دعا ربه[(١)]: أنه قد حل بي الضر في جسدي وأنت أرحم الراحمين بالعباد، فكان هذا تعريضاً منه بالدعاء لله تعالى؛ لإزالة ما به من الضر[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾

أي: استجبنا دعاءه وأزلنا عنه ما نزل به من الضر وأحيينا له أهله الذين كانوا هلكوا في الدنيا بأعيانهم ورددنا له مثلهم، هكذا رُوي عن عبدالله بن عباس { [(٣)]، ويُقال: أبدله الله تعالى بكل شيء ذهب عنه ضعفين[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾

أي: نعمة[(٥)] من عندنا؛ ليبلغ بصبره المنزلة الجليلة التي أعدها الله تعالى له.

---

(١) تنوير المقباس (ص٢٧٤)، وذكره السمعاني في تفسيره (٣/ ٣٩٨)، والبغوي في تفسيره (٥/ ٣٣٧)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٠٥)من غير نسبه.

(٢) انظر زاد المسير(٣/ ٢٠٥).

(٣) تنوير المقباس (ص٢٧٤)، وذكره الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٦٤) عن ابن مسعود رضى الله عنه بمثله.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٠٥-٥٠٧) عن ابن عباس رضى الله عنهما من طريق العوفيين ورواه عن الحسن وقتادة بمثله.

(٥) مجمع البيان للطبرسي (٧/ ١٠٦). ومذهب أهل السنة والجماعة هو إثبات صفة الرحمة لله ﷻ كما يليق به سبحانه، من غير تحريف ولا تمثيل ومن غير تكييف ولا تعطيل، وهذا أمر بين واضح اتفق عليه السلف والأئمة، وجرى عليه أهل السنة والجماعة، وأما أهل البدع، والضلالة من الجهمية، ونحوهم، فهم يجحدون حقيقة كونه الرحمن أو أن يرحم، ثم إنهم فسروا الرحمة بالإرادة القديمة، أو صفة أخرى قديمة. انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٤٦٦)، (١٦/ ٢٠٩، ٢٩٦)، (١٦/ ٢٠٩، ٢١٠)، (١٦/ ٢٠٩، ٢١٠)، وانظر: مناقشة الشيخ لشبهتهم. مجموع الفتاوى (٦/ ١١٧- ١١٨).

وقوله تعالى: ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾

معناه: وموعظة للعابدين[(١)] . فكان أيوب عليه السلام مع نبوته وصلاحه إنما أصابه من المحنة ما أصابه لا لهوانه على الله عز وجل ولكن ليصبر عليه؛ لتكثر أعواضه في الآخرة. كان لكل مؤمن فيما يلحقه من مصيبة أسوة به عليه السلام؛ ليفعل مثل ما فعله[(٢)] .

قوله عز وجل: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٨٥ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٦﴾

ومعناه: واذكر إسماعيل وإدريس وذا الكفل[(٣)]، كل من الصابرين على طاعة الله تعالى وعلى ما أصابهم من الشدائد.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآ ﴾

معناه: وغمرتهم[(٤)] رحمتنا؛ لأن قول الله عز وجل: وأدخلناهم في رحمتنا أبلغ [في الصفة][(٥)] من ورحمناهم[(٦)] .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

معناه: إنهم كانوا فاعلين لما يصلح به حالهم في دينهم وما فيه من طاعة ربهم. والصلاح صفة مدح في الدين.

وقد اختلفوا في ذي الكفل. قال أبو موسى الأشعري وقتادة[(٧)]

---

(١) انظر: تفسير البغوي(٥/ ٣٤٧)، تفسير القرطبي(١١/ ٣٢٧)، تفسير ابن كثير (٥/ ٣٦٣)

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٠٧) عن محمد بن كعب القرظي بنحوه.

(٣) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٠١).

(٤) في نسخة (ب): (وعمرتهم) وهو تصحيف.

(٥) سقطت من نسخة الأصل، والتصويب من نسخة (ب).

(٦) مجمع البيان (٧/ ٢٦٧)، وذكره السمعاني في تفسيره (٣/ ٤٠٢) بمثله ولم ينسبه.

(٧) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٣٩٠) عن معمر عن قتادة قال: قال أبو موسى الأشعري وذكر نحوه، =

ومجاهد[(١)] ﷺ: كان هو رجلاً صالحاً، كفل [لنبي][(٢)] بصيام النهار وقيام الليل وأن لا يغضب ويقضي بالحق، فوفى بذلك، فأثنى الله تعالى عليه وذكره مع الأنبياء صلوات الله عليهم، حين عَمِلَ عَمَلَ الأنبياء صلوات الله عليهم وكفل مائة من الأنبياء وضمهم إلى نفسه ونجاهم من القتل[(٣)]، وقال الحسن ﷺ: هو نبي اسمه ذو الكفل[(٤)]، ومعنى ذي الكفل: أي ضوعف ثوابه على ثواب غيره ممن في زمانه[(٥)].

قوله ﷻ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

معناه: واذكر ذا الحوت[(٦)] -وهو يونس ﷺ- / إذ ذهب مغاضباً لقومه، رُوي: [ل٤٠٦/ب] أنه خرج من بينهم قبل أن يؤذن له بالخروج وكان خروجه من بينهم خطيئة وكان

= وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥١٠-٥١١) من طريق عبدالرزاق بنحوه.
وحكم عليه ابن كثير في تفسيره (٥/ ٣٦٥) بالإنقطاع وذلك؛ لأن قتادة لم يلق أبا موسى الأشعري ﷺ.
وعليه فالأثر عن أبي موسى الأشعري ضعيف. والله أعلم.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٠٩)، و ابن أبي حاتم في تفسيره "٨/ ٢٤٦١" عن مجاهد بنحوه، وذكره الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٦٤) عن أبي موسى وقتادة ومجاهد بمثله، وكذلك ذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٣٤٨) عن مجاهد بنحوه.

(٢) في نسخة الأصل (النبي)، والتصويب من نسخة (ب).

(٣) ذكره السمرقندي في تفسيره (٢/ ٤٣٨) من غير نسبه لأحد، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومة (٧/ ٤٨٠٠).

(٤) تفسير النكت والعيون للماوردي(٣/ ٤٦٤)، تفسير القرطبي (١١/ ٣٢٨)، وقد توقف الإمام ابن جرير الطبري ~ في الحكم على ذي الكفل هل هو نبي أم رجل صالح؟ وقال الحافظ ابن كثير ~ في تفسيره (٥/ ٣٦٣) " وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي ".

(٥) تفسير النكت والعيون للماوردي (٣/ ٤٦٥).

(٦) لقوله تعالى في موضع أخر ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨].

وجه تأويله في ذلك الخروج: أن يجري على عادة الأنبياء عليهم السلام قبله في وقت نزول العذاب بهم، فخرج قبل الأمر بالخروج، مغاضباً لهم على تركهم الإيمان به، هكذا رُوي عن ابن عباس والضحاك ﵄ أنه غضب على قومه(١) ولا يجوز في تأويل هذه الآية، ما يُروى عن الشعبي وسعيد بن جبير(٢)، أنه خرج مغاضباً لربه؛ لأن مغاضبة الله ﷻ كبيرة وكفر بالله ﷻ ولا يجوز ذلك على نبي من الأنبياء صلوات الله عليهم ولا يجوز أيضا أن يغضب لما عفي عنهم بعد إيمانهم؛ لأن ذلك اعتراض على الله ﷻ بما لا يجوز في حكمته(٣).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥١١) عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو من رواية العوفيين و رواه كذلك عن الضحاك بمثله، تفسير الكشف والبيان للثعلبي (٦/ ٣٠١).

(٢) رواه عنه سفيان الثوري في تفسيره (ص٢٠٤)، ورواه كذلك الطبري في تفسيره (١٨/ ٥١٢) عنه.

(٣) مجمع البيان (٧/ ١٠٨). قال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (ص٢٣٠-٢٣٣) "يستوحش كثير من الناس من أن يلحقوا بالأنبياء ذنوباً، ويحملهم التنزيه لهم، صلوات الله عليهم، على مخالفة كتاب الله جلّ ذكره، واستكراه التأويل، وعلى أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة، وقد رُوي في الحديث: " أنه ليس من نبي إلا وقد أخطأ أو همّ بخطيئة غير يحيى بن زكريا، عليهما السلام"، فبأيّ ذنب عوقب بالتهام الحوت، والحبس في الظّلمات، والغمّ الطويل؟. وما الأمر الذي ألام فيه فنعاه الله عليه إذ يقول: {فالتقمه الحوت وهو مليم} [الصافات: ١٤٢] والمليم: الذي أجرم جرماً استوجب به اللوم، ولما أخرجه من أولي العزم من الرسل، حين يقول لنبيه، ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾ [القلم: ٤٨]. وإن كان الغضب على قومه بعد أن آمنوا، فهذا أغلظ مما أنكروا، وأفحش مما استقبحوا، كيف يجوز أن يغضب على قومه حين آمنوا، ولذلك انتخب وبه بعث، وإليه دعا؟!. والقول في هذا أن المغاضبة: المفاعلة من الغضب، والمفاعلة تكون من اثنين، ومعنى المغاضبة هاهنا: الأنفة؛ لأن الأنف من الشيء يغضب، فتسمى الأنفة: غضباً، فكأن نبي الله ﷺ لما أخبرهم عن الله أنه منزل العذاب عليهم لأجل، ثم بلغه بعد مضي الأجل أنه لم يأتهم ما وعدهم- خشي أن ينسب إلى الكذب ويعير به، ويحقق عليه، لا سيما ولم تكن قرية آمنت عند حضور العذاب، فنفعها إيمانها غير قومه، فدخلته الأنفة والحمية، وكان مغيظا بطول ما عاناه من تكذيبهم وهزئهم وأذاهم واستخفافهم بأمر الله، مشتهيا لأن ينزل بأس الله بهم. هذا إلى ضيق صدره، وقلة صبره على ما صبر على مثله أولوا العزم من الرسل.
⇐=

وقوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾

معناه: فظن أن لن نقدّر عليه ما قدّرنا من كونه في بطن الحوت[(١)]، يُقال: قدَر وقدّر بمعنى واحد[(٢)]. قال الله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾[(٣)] أي ضيق عليه.

وقال عز من قائل ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾[(٤)] ولا يجوز ما يُروى معناه: فظن أن نعجز عنه[(٥)]؛ لأنه كفر بالله ﷻ ولا يجوز ما يُروى معناه: أفظن أن لن نقدر عليه على جهة الاستفهام[(٦)]؟

لأن العرب لا تحذف حرف الاستفهام من غير دليل في الكلام[(٧)] .

وقوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾

قال عبدالله بن عباس وقتادة ﵄: هي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة

= وقد رُوي في الحديث ((أنه كان ضيق الصدر، فلما حمل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل، فمضى على وجهه مضي الآبق الناد)) يقول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٩ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ [الصافات: ١٣٩، ١٤٠] ". انظر: تفسير الثعلبي (٦/ ٣٠١).

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٠٩)، معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٠٢).

(٢) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٠٢).

(٣) الآية(٧) سورة الطلاق.

(٤) جزء من آية (٢٦) سورة الرعد.

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥١٥) من رواية عوف، عن سعيد بن أبي الحسن بنحوه، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٦/ ٣٠٣)، من رواية عوف عن الحسن بنحوه.

(٦) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥١٥-٥١٦) عن ابن زيد بنحوه.

(٧) انظر تهذيب اللغة للأزهري (٩/ ٣٩) مادة " قدر"، وقال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (ص٢٣٣): " فعاقبه الله عن حميته وأنفته وإباقته، وكراهيته العفو عن قومه، وقبول إنابتهم بالحبس له، والتضييق عليه في بطن الحوت ".

واختار الطبري في تفسيره (١٨/ ٥١٦) القول الأول.

بطن الحوت[١].

وقال سالم بن أبي الجعد[٢] ~ كان حوتاً في بطن حوت[٣].

وقوله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

معناه: إني كنت من الظالمين لنفسي في خروجي عن قومي قبل الإذن وفي الآية دليل جواز الصغيرة[٤] على الأنبياء صلوات الله عليهم وكان بقاؤه في بطن الحوت حياً معجزة له ولا يجوز أن يعاقب الله تعالى نبيه، لما في العقوبة من الإهانة ولكن يؤدبه ويجوز التأديب لمن هو غير مكلف كتأديب الصبي[٥].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥١٦) عن ابن عباس رضى الله عنهما وعمرو بن ميمون ومحمد بن كعب القرظي وقتادة بمثله، النكت والعيون للماوردي(٣/ ٤٦٦).

(٢) هو سالم بن أبي الجعد، مولى أشجع، واسم أبي الجعد: رافع، كوفي، مات سنة سبع، أو ثمان وتسعين، في ولاية سليمان بن عبدالملك، سمع عبدالله بن عمر، وجابراً، وأنساً. وروى عنه: منصور، والأعمش. انظر: التاريخ الكبير / المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ)-الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - (٤/ ١٠٧)، تاريخ الثقات / المؤلف: أبو الحسن أحمد بن عبدالله العجلي (المتوفى: ٢٦١هـ)، الناشر: دار الباز، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ -(ص١٧٣)، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة / المؤلف: أبو عبدالله محمد الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)-المحقق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، الناشر: دار القبلة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ -(١/ ٤٢٢).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥١٧)، وذكره الماوردي في تفسيره (٣/ ٤٦٦) كلاهما عنه بمثله، وقال الطبري في تفسيره (١٨/ ٥١٧) بعد أن ساق القولين " ولا شك أنه قد عنى بإحدى الظلمات: بطن الحوت، وبالأخرى: ظلمة البحر، وفي الثالثة اختلاف، وجائز أن تكون تلك الثالثة: ظلمة الليل، وجائز أن تكون كون الحوت في جوف حوت آخر، ولا دليل يدل على أي ذلك من أي، فلا قول في ذلك أولى بالحق من التسليم لظاهر التنزيل ".

(٤) سبق تخريجه (ص١٠٠).

(٥) ذكره الطبرسي في تفسيره (٧/ ١٠٩) ونسبه للجبائي بمثله.

وقوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ ﴾

أي: فاستجبنا له دعاءه ونجيناه من الغم الذي كان فيه وهكذا ننجي المؤمنين من قرأ ننجي المؤمنين، فهو ظاهر[1] وأما القراءة بنون واحدة على ما كتب في المصحف. والوجه في ذلك أن أصله ننجي المؤمنين بنونين ولكن إنما كتبت بنون واحدة - لأن النون الثانية تخفى عند الجيم - فأدغمت[2] فيها والمقصود إثباتها.

قوله ﷻ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾

معناه: واذكر زكريا، إذ دعا ربه، فقال: ربي لا تتركني وحيداً[3]، أي: ارزقني ولداً آنس به ويعينني على أمر الدين والدنيا ويقوم بأمر الدين بعد وفاتي وأنت[4] وارث جميع الخلق؛ لأنهم وأمورهم صائرون إليك، فاستجبنا له دعاءه ووهبنا له ابنه:

---

(١) في هامش نسخة الأصل كُتِبَ بخط الناسخ (ننجي قراءة شامي وأبي بكر ذكره في عين المعاني).

(٢) وفي السبعة لابن مجاهد (ص٤٣٠) "روى عبيد عن أبى عمرو وعبيد عن هارون عن أبى عمرو ﴿نُجِّي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قالا مدغمة، وهو وهم لا يجوز ههنا الإدغام لأن النون الأولى متحركة والثانية ساكنة والنون لا تدغم فى الجيم وإنما خفيت لأنها ساكنة تخرج من الخياشيم فحذفت من الكتاب وهي فى اللفظ ثابتة ومن قال مدغم فهو غلط"، وأما ما ذكره أبو علي الفارسي في الحجة (٥/ ٢٦٠): "من أن ﴿نُجِّي﴾ من التنجيه فادغم النون في الجيم فهذا لا وجه له، لأنه لا يجوز إدغام النون في الجيم لأن النون متحركة والجيم مشددة بالتضعيف، وضعفه أيضا النحاس في إعراب القرآن / المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبدالمنعم خليل، الناشر: منشورات محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - (٣/ ٥٦)، وضعفه كذلك السمين الحلبي في الدر المصون (٨/ ١٩٣). ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢١٠)، ومعاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٠٣)، الدر المصون(٨/ ١٩١-١٩٤).

(٣) هو قول ابن عباس رضى الله عنهما، تنوير المقباس(ص٢٧٥)، وقول أكثر المفسرين.

(٤) في نسخة(ب): بزيادة(خير) وكأن المعنى يستقيم بدونها.

يحيى، وأصلحنا له عقر امرأته. قال قتادة رضي الله عنه: كانت عقيماً فجعلها ولوداً[(١)]، وقيل: كانت سيئة الخلق، فرزقها حسن الخلق[(٢)]. إنهم كانوا يبادرون إلى الطاعات، مخافة أن يعرض لهم ما يشغلهم عنها ويدعوننا طمعاً في ثوابنا وخوفاً من عقابنا وكانوا لنا خاشعين حذرين من الانبساط خوف الإثم.

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾

معناه: واذكر التي أحصنت فرجها من الفساد وهي مريم < ، فنفخنا فيها من روحنا، أي: نفخ جبريل عليه السلام في جيب درعها بأمرنا[(٣)]، ومعنى النفخ إجراء الروح فيها، كما يجري الهواء بالنفخ وأضيف الروح إلى الله عز وجل على معنى الملك تشريفاً له في الاختصاص بالذكر[(٤)].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٢٠-٥٢١) عن قتادة بمثله، معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٠٣).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٠٣)، وذكره الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٢١) ولم ينسبه لأحد،، وذكره الماوردي في تفسيره "٣/ ٤٦٨" ونسبه إلى عطاء وابن كامل بمثله.

قال الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٢١) بعد ذكر القولين: " والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إن الله أصلح لزكريا زوجه، كما أخبر تعالى ذكره بأن جعلها ولوداً حسنة الخلق؛ لأن كل ذلك من معاني إصلاحه إياها، ولم يخصص الله جل ثناؤه بذلك بعضاً دون بعض في كتابه، ولا على لسان رسوله، ولا وضع، على خصوص ذلك دلالة، فهو على العموم ما لم يأت ما يجب التسليم له بأن ذلك مراد به بعض دون بعض "

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢١٠)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٠٣)، الكشف والبيان للثعلبي(٦/ ٣٠٥).

(٤) انظر: النكت والعيون للماوردي(٣/ ٤٦٩)، و تفسير السمعاني(٣/ ٤٠٦).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا﴾

أي: جعلناهما دلالة للعالمين من حيث أنها جاءت بالولد من غير فحل، يتكلم في المهد بما يوجب براءة ساحتها من العيب[١]. وفي ذلك دليل على مقدورات الله تعالى وأنه يصرفها كيف شاء وعن هذا لم يقل آيتين، بأن شأنهما في الدلالة كان واحداً[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾

قال عبدالله بن عباس[٣] ومجاهد[٤] / والحسن[٥] رضي الله عنهم معناه: أن دينكم دين واحد [ل٤٠٧/أ] ويُقال: إن أمتكم جماعة واحدة في أنها مخلوقة ومملوكة لله عز وجل[٦] وأصل الأمة: الجماعة التي على مقصد واحد وتسمى الشريعة: أمة لاجتماعهم فيها على مقصد واحد[٧].

وأمةً واحدة نصب على القطع عند الكوفيين[٨] وهو حال عند البصريين، أي: حال اجتماعها على الحق[٩].

----

(١) مجمع البيان (٧/ ١١١).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢١٠)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٠٤).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٢٣) عنه بمثله، وانظر تفسير القرطبي (١١/ ٣٣٨).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٢٣) عن مجاهد به، وانظر تفسير القرطبي(١١/ ٣٣٨).

(٥) ذكره الطوسي في التبيان (٧/ ٢٧١) عنه بمثله.

(٦) انظر النكت والعيون للماوردي(٣/ ٤٦٩).

(٧) الكشف والبيان للثعلبي(٦/ ٣٠٥).

(٨) انظر معاني القرآن للفراء(٢/ ٢١٠)، واختار الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٢٣) هذا المذهب وقال: " لأن الأمة الثانية نكرة، والأولى معرفة. وإذ كان ذلك كذلك، وكان الخبر قبل مجيء النكرة مستغنياً عنها كان وجه الكلام النصب، هذا مع إجماع الحجة من القراء عليه ".

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٠٤).

وفي نصب "أمة" وجه أخر وهو البدل من "هذه"، ينظر: إعراب القرآن للنحاس(٣/ ٥٦)، الدر المصون (٨/ ١٩٥).

وقوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾

معناه: كان أمرهم في الدين واحد ولكنهم تفرقوا واختلفوا[1]، بما لا يسوغ ولا يجوز وهم اليهود والنصارى والمجوس. كل إلى حكمنا راجعون في الوقت الذي لا يقدر على الحكم سوانا[2].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾

أراد بالصالحات الطاعات التي توجد من المؤمن وغير المؤمن، نحو صلة الرحم ومعونة الضعيف ونصر المظلوم، إلا أن المؤمن يثاب عليها ولا يثاب الكافر عليها[3].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾

معناه: لا جحود لإحسانه، أي: لا يمنع عنه ثوابه وإنا له مجازون والكفران مصدر مثل الغفران والشكران[4] وإذا جاز تسمية الجزاء على العمل شكراً، جاز تسمية منعه: كفراناً.

وقوله ﷻ: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

قيل: في معناه حرام على قرية أهلكناها أن نتقبل منهم سعيهم؛ لأنهم لا يرجعون، أي: لا يتوبون ولا يعودون إلى حال قبول التوبة[5]، كما قال ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ

----

(١) انظر معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٠٤).

(٢) التبيان للطوسي (٧/ ٢٧١)، والقرطبي في تفسيره (١١/ ٣٣٩).

(٣) مجمع البيان (٧/ ١١٢).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٠٤)، تفسير الطبري(١٨/ ٥٢٤)، الكشف والبيان(٦/ ٣٠٦).

(٥) ذكره الزجاج في معاني القرآن (٣/ ٤٠٤-٤٠٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن قتادة بمثله.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[(١)].

وقيل معناه: لا يرجعون إلى الدنيا[(٢)] هذا رد على أصحاب التناسخ[(٣)] وعلى الروافض القائلين بالرجعة[(٤)].

ومن قرأ: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ فالحرم والحرام مثل الحل والحلال[(٥)].

ومعنى الحرام هاهنا: المنع قال الشاعر يخاطب فرسه:

[(٦)] إني امرؤ صرعي عليك حرام[(٧)]

ويُقال في معنى هذه الآية: وحرام على قرية أهلكناها الإيمان والرجوع إلى الدنيا[(٨)]، أي: ذلك ممتنع عليهم بعد الهلاك و " لا " في هذه الآية صلة معناها

-----

(١) الآية (١٨) سورة البقرة.

(٢) ذكره الزجاج في معاني القرآن (٣/ ٤٠٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله، وحكاه أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٤٦٦) عن قتادة ومقاتل بمثله.

(٣) سبق تخريجه (ص٦٩).

(٤) سبق تخريجه (ص٧٠).

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٠٤)، إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه (٢/ ٦٨)، معاني القراءات للأزهري (٢/ ١٧١).

(٦) في هامش نسخة الأصل كُتِبَ بخط الناسخ (صدره جالت لتصرعني فقلت لها أقصري. وهو: لإمرؤ القيس. من عين المعاني).

(٧) هذا عجز بيت لإمرؤ القيس وأول البيت:

جالت لتصرعني فقلت لها: اقصري! إني امرؤ صرعي عليك حرام

ديوان امرؤ القيس (ص١٥٢). طبعة: دار المعرفة - بعناية: عبدالرحمن المصطاوي.

(٨) ذكره الرازي في تفسيره (٢٢/ ١٨٥)، وأبو حيان في تفسيره (٧/ ٤٦٦) كلاهما عن مجاهد والحسن وقتادة ومقاتل، حيث قال مجاهد والحسن: لا يرجعون عن الشرك، وقال قتادة ومقاتل: إلى الدنيا.

التوكيد[1]، كما تكون "ما " مثل قوله تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم ﴾[3] ونحو ذلك وكما قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾[4].

وأما قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾

أي: حتى إذا فتحت جهة يأجوج ومأجوج، أي: حتى ينفرج سدهم، فيظهروا وهم من كل أكمة[5] وربوة[6] من الأرض وجبال[7] يخرجون بإسراع والحدب في الحقيقة: الارتفاع من الأرض بين انخفاض ومنه الحدبة خروج الظهر وقد احدودب كِبراً ورجل أحدب والنسول: هو الخروج بالسرعة، كنسلان الذئب[8]، ويُقال: هو الخروج عن الشيء الملابس، يُقال: نَسَلَ يَنْسِلُ ويَنْسَل نَسولاً، قال امرؤ القيس[9]:

---

(١) على هذا تكون "لا" زائدة وهذا قول أبي عبيدة حكاه النحاس في إعرابه (٣/ ٥٦-٥٧)، ورده قال " ولو كانت زائدة لكان التأويل بعيداً، لأنه إن أراد وحرام على قرية أهلكناها أنهم يرجعون إلى الدنيا. فهذا ما لا فائدة فيه، وإن أراد التوبة فالتوبة لا تحرّم"، وانظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص١٥٤)، قال الرازي في مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٨٥) " الحرام قد يجيء بمعنى الواجب والدليل عليه الآية والاستعمال والشعر....... إلى أن قال: إذا ثبت هذا فالمعنى أنه واجب على أهل كل قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون"، وانظر تفسير القرطبي(١١/ ٣٤١)، انظر البحر المحيط(٧/ ٤٦٦).

(٢) الآية (١٧) سورة الذاريات.

(٣) الآية(١٥٥) سورة النساء.

(٤) الآية(١٢) سورة الأعراف.

(٥) الأكمة / التل، أو هي دون الجبال، أو الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله. القاموس المحيط (١/ ١٠٧٦).

(٦) الربوة/ كل ما ارتفع من الأرض. مختار الصحاح (ص١١٧)، تاج العروس(٣٨/ ١١٨).

(٧) انظر معاني القرآن للفراء(٢/ ٢١١)، وانظر معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٠٥).

(٨) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (١٢/ ٢٩٧) منسوباً إلى الليث بنحوه.

(٩) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يماني الأصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. اشتهر بلقبه، و اسمه، حُندج. وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر، وكان يتنقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ⇐=

وإن تك قد ساءتك مني خليقة فسلي[1] ثيابي عن ثيابك تنسل[2]

وقد ذُكر في التفاسير أن أولاد آدم عليه السلام عشرة أجزاء، تسعة منهم يأجوج ومأجوج وجزء واحد سائر الناس[3].

وقوله تعالى: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾

أي: يكون ذلك عند اقتراب الساعة وذكر الوعد وأراد به الموعد الحق وذهب مجاهد ~ إلى أن معنى قوله ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾: أن الناس يحشرون يوم القيامة إلى الموقف[4]، فعلى هذا يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾: دنا وقت دخول أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة[5].

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾

أي: تشخص أبصارهم نحو الجهة التي يتوقعون نزول العذاب بهم من تلك الجهة وكأنه قال: إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب أحوال يوم القيامة، قالوا:

= ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه، فبلغ ذلك امرأ القيس وهو جالس للشراب فقال: رحم الله أبي! ضيعني صغيراً وحمَّلني دمه كبيراً، لا صحو اليوم ولا سكر غداً! اليوم خمر وغداً أمر!، ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعراً كثيراً، ويعرف امرؤ القيس بالملك الضّليل (لاضطراب أمره طول حياته)، وذي القروح (لما أصابه في مرض موته) وكتب الأدب مشحونة بأخباره. انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ١٢).

(١) في نسخة (ب): (فنسلي) وهو خطأ.

(٢) ديوان امرؤ القيس (ص٣٣).

(٣) تفسير مجاهد (ص٤٧٤)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٢٨) عن عمرو البكالي بأطول منه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٣٨٧) عن عبدالله بن عمرو من طريق عمرو البكالي بأطول منه، وذكره الزجاج في معاني القرآن (٣/ ٤٠٥) بصيغة التمريض " ويروى " ولم ينسبه.

(٤) تفسير مجاهد (ص٤٧٤)، ورواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٣٠) عنه بمثله، الكشف والبيان للثعلبي(٦/ ٣٠٨). واختار الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٣٠) " أنه عنى بذلك يأجوج ومأجوج ".

(٥) سقطت من نسخة (ب)، عبارة (دنا وقت دخول أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة).

يا ويلنا، قد كنا في غفلة من هذا، بل كنا ظالمين لأنفسنا، فيكون هاهنا قالوا محذوفاً على هذا التقدير[1] وأما الضمير في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾، يعود إلى معلوم، قد بينه قوله تعالى: ﴿أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ويجوز أن يكون إضماراً على شرط التفسير[2]، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[3].

قوله ﷻ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

قال ابن عباس { : معناه: إنكم يا أهل مكة وما تعبدون من دون الله من الأصنام وقود جهنم[4] / وقال مجاهد ﷺ حطب جهنم[5] والحصب في اللغة: كل ما يرمى به، يُقال: حصبه بالحصباء، إذا رماه بها[6]، وفي القراءة الشاذة حضب جهنم [ل٤٠٧/ب]

---

(١) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٠٥)، الكشف والبيان(٦/ ٣٠٨).

وذكر النحاس في إعرابه (٣/ ٥٧) أن هذا قول الزجاج وجوده ثم، قال: وحذف القول كثير.

(٢) أي أضمر عاملة على شرط وهو تفسيره. انظر: معاني القرآن للزجاج(٢/ ٢١٢)، الكشف والبيان(٦/ ٣٠٨-٣٠٩)، وذكر السمين الحلبي في تفسيره (٨/ ٢٠٤-٢٠٥) عدة أوجه وجود ضمير القصة، وقال أبو حيان في تفسيره (٧/ ٤٦٨) كأنه قيل: فإذا القصة والحادثة أبصار الذين كفروا شاخصة ويلزم أن تكون شاخصة الخبر وأبصار مبتدأ.

(٣) الآية (٤٦) سورة الحج.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٣٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو من رواية العوفيين بنحوه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٦/ ٣٠٩) من قول ابن عباس رضى الله عنهما بمثله.

(٥) وهذا القول هو قول مجاهد وقتادة وعكرمة كما ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره (٦/ ٣٠٩). قال الفراء: ذُكر أن الحصب في لغة اليمن: الحطب، معاني القرآن للفراء(٢/ ٢١٢).

(٦) قال الفراء: والحصب في لغة أهل نجد ما رميت به في النار، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢١٢)، معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٠٦)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٤٦)، و أصله من الحصباء وهي الحصى.

بالضاد المعجمة[(١)] والحضب: ما تهيج به النار ويقرأ في الشاذة حطب جهنم[(٢)] والحكمة في إدخال الأصنام النار مع أنها لا ذنب لها في عبادة من يعبدها: أن يقصد بإدخالها تعذيب عبادها بها، فما كان منها حجراً أو حديداً يُحمَى، فيلتزق بعبَّادها وما كان منها خشباً، جعل جمرة، فيعذبون بها[(٣)]، ويكون في إدخال معبودهم معهم في النار زيادة ذل وصغار عليهم وقوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ استجهال لهم في عبادة الأصنام؛ لأنها لا تملك دفع النار عن نفسها ولا عن من عبدها والزفير: شدة النفس لهول ما يرد على صاحبه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾

معناه: لا يسمعون شيئاً. قال ابن مسعود رضي الله عنه يجعلون في توابيت[(٤)] من نار، فلا يسمعون شيئاً[(٥)].

---

(١) المحتسب لابن جني (٢/ ٦٦)، تفسير الطبري(١٨/ ٥٣٦)، وذكر أبو حيان في تفسيره (٧/ ٤٦٩) أنها قراءة ابن عباس رضى الله عنهما.

(٢) المحتسب لابن جني(٢/ ٦٧)، تفسير الطبري(١٨/ ٥٣٦)، وذكر أبو حيان في تفسيره (٧/ ٤٦٩) أنها قراءة أبي وعلي وعائشة وابن الزبير وزيد بن علي رضى الله عنهم أجمعين.

(٣) تفسير الرازي (٢٢/ ١٨٨).

(٤) التوابيت: مفردها تابوت، وهو صندوق من خشب يوضع فيه الميت. انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ١٦٤)، الصحاح (٥/ ٢٠٦٩).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٣٧) من طريق المسعودي، عن يونس بن خباب، عن ابن مسعود رضى الله عنهما بنحوه، وفيه المسعودي، وهو عبدالرحمن بن عبدالله. وقد اختلط قبل موته، وفيه كذلك يونس بن خباب صدوق يخطئ ورمي بالرفض، ولم يسمع من ابن مسعود رضى الله عنهما، انظر تقريب التهذيب (ص٣٤٤)، (ص٦١٣).

ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٢٤٤) بنحوه، وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف، قال عنه ابن حجر في التقريب (ص٥٩٣) " اتهموه بسرقة الحديث ". وعليه فالأثر لا يصح عن ابن مسعود رضى الله عنه.

ويُقال: معناه: لا يسمعون ما ينتفعون به وإن سمعوا سمعُوا ما يسوؤهم(١)

وعن رسول الله ﷺ أنه أتى قريشاً وهم في المسجد مجتمعون وحولهم ثلاثمائة وستون صنماً مصفوفة كل صنم لكل قوم بحيالهم، فقال رسول الله ﷺ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ. . .﴾ وقرأ الآية ثم انصرف، فشق ذلك عليهم وأتاهم عبدالله بن الزبعرى، فقال: مالي أراكم على حال لم أركم عليها؟ فقالوا: إن محمداً ﷺ يزعم أنا وما نعبد في النار، فقال: لو كنت هاهنا لخصمته، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إن قريشاً يعبدون الملائكة والنصارى يعبدون المسيح، أفترى أن هؤلاء يكونون في النار؟ فبين له النبي ﷺ أن الله تعالى أراد به الأوثان(٢).

وفي الآية ما يدل على ذلك لأن قوله تعالى ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ لا يكون إلا لما لا يعقل شيئاً(٣) ثم أنزل الله تعالى

---

(١) تفسير الرازي(٢٢/ ١٨٩).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٧٣٩)، والواحدي في أسباب النزول (٣١٤-٣١٥) من طريق عاصم بن بهدلة به. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٩) " وفيه عاصم بن بهدلة ضعفه جماعة ".

وأخرج الحاكم في مستدركة (٢/ ٤٥٣)، والضياء في الأحاديث المختارة / المؤلف: أبو عبدالله محمد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)-دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبدالملك بن دهيش، الناشر: دار خضر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ -(١١/ ٣٤٥) من طريق عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه، قال الحاكم: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ".

(٣) قال الرازي في تفسيره (٢٢/ ١٨٧) "واعلم أن سؤال ابن الزبعرى ساقط من وجوه " وذكر في ذلك خمسة أوجه. وقال الحافظ ابن كثير ~ في تفسيره (٥/ ٣٨١) " وهذا الذي قاله ابن الزبعرى خطأ كبير؛ لأن الآية إنما نزلت خطاباً لأهل مكة في عبادتهم الأصنام التي هي جماد لا تعقل، ليكون ذلك تقريعاً وتوبيخاً لعابديها؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ فكيف يورد على هذا المسيح والعزير ونحوهما، ممن له عمل صالح، ولم يرض بعبادة من عبده ".

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾

معناه: أن عيسى وعزيراً والملائكة عليهم السلام الذين سبقت لهم منا الحسنى[(١)]، أي: وجبت لهم العدة من الله تعالى بالبشرى.

وقيل: سبقت لهم السعادة من الله تعالى ويدخل في هذه الآية جملة المؤمنين[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾

أي: أهل هذه الصفة عن النار منحَّوْن والإبعاد: تطويل المسافة في المكان وقد يذكر بمعنى: تطويل المدة[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ﴾

أي: لا يسمعون صوت النار وهم فيما اشتهت أنفسهم من نعيم الجنة مقيمون، دائمون في الحسيس[(٤)]، [والحسيس][(٥)] هو الصوت الذي يحس.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٣٨-٥٤٠) عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح والضحاك بمثله.
قال الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٣٨-٥٤٠): " وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: عني بقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ ما كان من معبود، كان المشركون يعبدونه والمعبود لله مطيع وعابدوه بعبادتهم إياه بالله كفّار، فأما قول الذين قالوا ذلك استثناء من قوله ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، فقول لا معنى له؛ لأن الاستثناء إنما هو إخراج المستثنى من المستثنى منه، ولا شك أن الذين سبقت لهم منا الحسنى إنما هم إما ملائكة وإما إنس أو جانٌ، وكلّ هؤلاء إذا ذكرتها العرب فإن أكثر ما تذكرها بمن، لا بما".

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٦٩) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه: إن علياً قرأ وذكر نحوه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٦/ ٣١٠) بمثله.

(٣) انظر: الصحاح (٢/ ٤٤٨)، مقاييس اللغة (١/ ٢٦٨).

(٤) تنوير المقباس (ص٢٧٦).

(٥) كأن الكلام لا يستقيم إلا بإضافة هذه الكلمة.

وقوله تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾

قال سعيد بن جبير وابن جريج[(١)] { : هو وقوع عذاب النار إذا أطبقت على أهلها[(٢)] وقال ابن عباس { : هو النفخة الأخيرة[(٣)].

وقال الحسن ﵁: هو الفزع حين يؤمر بأهل النار إلى النار[(٤)]، ويقال: ﴿ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[(٥)]

وقوله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾

أي: تتلقاهم بالتهنئة على باب الجنة، فيقولون لهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون فيه بالفوز[(٦)].

----

(١) هو عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الحرم، صاحب التصانيف، حدث عن: عطاء بن أبي رباح - فأكثر وجود - اختلفت إلى عطاء ثماني عشرة سنة، وكان يبيت في المسجد عشرين سنة، مات رحمة الله سنة خمسين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٢٥)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٤٠٢).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٤٢) عن سعيد بن جبير وابن جريج بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٦/ ٣١١) عن سعيد بن جبير والضحاك بمثله، تفسير ابن كثير(٥/ ٣٨١).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٤٢) من رواية العوفي بمثله، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٦٩) عنه ﵁، قال الطبري: " وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر وآمن منه، فهو مما بعدَه أحرى أن لا يفزَع، وأن من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفزع مما بعده". واستدل الثعلبي لصحة هذا القول بقوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [سورة النمل ٨٧]، وكذلك استدل لصحة هذا القول ابن الجوزي بقوله تعالى ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾، انظر تفسير الطبري(١٨/ ٥٤٢)، الكشف والبيان(٦/ ٣١١)، زاد المسير(٣/ ٢١٥).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٤٢)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٦٩) عنه بمثله، الكشف والبيان(٦/ ٣١١).

(٥) الآية(٥٩) سورة يس.

(٦) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٥٤٢).

قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

قال ابن عباس { ومجاهد ﷺ: السجل: هو الصحيفة تطوى على ما فيها من الكتابة[1]، وقال السدي ﷺ: هو ملك موكل بالصحف، إذا مات الإنسان دفع كتابه إليه فطواه[2] ويُقال: إن السجل كاتب لرسول الله ﷺ[3] ويُقال: هو الرجل بلغة الحبشة[4]، المراد بطي السماء: أن الله تعالى يطويها ثم يفنيها ثم يعيدها ولذلك قال ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ أي: كما بدأناها أول مرة نعيدها إلى الحالة الأولى[5] ويجوز أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾: نعيد الخلق للبعث، كما بدأناه من النطفة[6] ودليل هذا القول قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[7]

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٤٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما من رواية العوفي ورواه كذلك عن مجاهد بمثله. واختار الإمام الطبري هذا القول.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٤٣) عن السدي بأقل منه، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٦٩) عنه بمثله.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٤٣) من طريق يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنهما به. وفيه يزيد بن كعب وهو العوذي. قال ابن حجر في التقريب (ص٦٠٤) مجهول، وفيه كذلك عمرو بن مالك وهو النكري. قال ابن حجر في التقريب (ص٤٢٦) صدوق له أوهام.

قال الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٤٤) عقب هذا القول " ولا يعرف لنبينا ﷺكاتب كان اسمه السجلّ، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه"، وانظر الكشف والبيان(٦/ ٣١١).

(٤) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٠٦).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٤٦) عن ابن عباس رضى الله عنهما من رواية العوفي بنحوه.

(٦) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢١٣)، معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٠٦).

(٧) الآية(٢٩) سورة الأعراف.

وقوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾

نصب على المصدر بمعنى: قد وعدنا هذا وعداً[(١)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾

أي: قادرين على فعل ما نشاء لا خلف لوعدنا وسنفعل ما قلنا[(٢)].

قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

معناه: ولقد كتبنا في زبور داوود عليه السلام من بعد توراة موسى عليه السلام[(٣)] / أن الأرض [٤٠٨/أ] قال بعضهم رحمه الله: أراد به أرض الجنة يرثها عباده المطيعون[(٤)]، كما قال في آية أخرى ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾[(5)] بالواو وأما أرض الدنيا، فيرثها غير الصالحين وقال بعضهم: أراد بالأرض الأرض المقدسة، يرثها أمة محمد ﷺ[(٦)] ويجوز أن يكون المراد بالأرض جميع الأرض في آخر الزمان[(٧)]، كما رُوي في الخبر « زويت لي الأرض، فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زُوِيَ لي منها»[(٨)].

---

(١) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٠٦)، الدر المصون للسمين الحلبي(٨/ ٢١٣).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٠٧).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٤٨)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٧١) كلاهما عن الشعبي بمثله، ورواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٦٤٢).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٤٩) عن ابن عباس رضى الله عنهما و سعيد بن جبير و أبي العالية وعن مجاهد وابن زيد بمثله، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٧٠) عن ابن عباس رضى الله عنهم بمثله.

(٥) آية(٧٤) من سورة الزمر.

(٦) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٥٠) عن ابن عباس رضى الله عنهما من رواية علي بن أبي طلحة بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٦/ ٣١٣) من قول وهب بنحوه، البحر المحيط لأبي حيان(٧/ ٤٧٣).

(٧) ذكره الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٥٠) ولم ينسبه إلى أحد، وذكره الثعلبي في تفسيره (٦/ ٣١٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحة "كتاب الفتن / باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض / ح٢٨٨٩".

وأما الزبور في اللغة: فهو فعول بمعنى مفعول كالرسول والركوب[1]، وقرأ حمزة[2] في الزبور بضم الزاي[3] وهو جمع الجمع وذلك أن يجمع فعول على فعل ثم يسكن العين ثم يجمع فعولا مثل جند وجنود وبرج وبروج والمعنى في هذه القراءة: ولقد كتبنا في كتب الأنبياء صلوات الله عليهم من بعد الذكر في اللوح المحفوظ[4] ويجوز أن يكون الزبور بضم الزاي مصدراً.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾

معناه: إن في هذا القرآن لما [يبلغ][5] به إلى البغية من أخذ به وعمل عليه والبلوغ

---

(١) انظر تهذيب اللغة للأزهري (١٣/ ١٣٥)، وانظر لسان العرب (٤/ ٣١٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٨/ ٢١٣).

(٢) هو حمزة بن حبيب بن عمارة، الإمام الحبر الزيات أحد القراء السبعة، ولد سنة ثمانين وأدرك الصحابة بالسن فيحتمل أن يكون رأى بعضهم، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان الأعمش وحمران بن أعين، وإليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش وكان إماماً حجة ثقة ثبتاً رضي قيما بكتاب الله بصيراً بالفرائض عارفاً بالعربية حافظاً للحديث عابداً خاشعاً زاهداً ورعاً قانتاً لله عديم النظير، وكان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان ويجلب الجوز والجبن إلى الكوفة، مات سنة ست وخمسين ومائة. انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار / المؤلف: أبو عبدالله محمد الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)- الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ -(ص٦٦)، وغاية النهاية في طبقات القراء / المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري (المتوفى: ٨٣٣هـ)-الناشر: مكتبة ابن تيمية -(١/ ٢٦١).

(٣) وخلف كذلك وفتحها غيرهما، السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص٤٣١)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة / المؤلف: عبدالفتاح بن عبدالغني القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ)-الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان-(ص٢١٣)، انظر مفاتيح الغيب(٢٢/ ١٩٢).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٤٧-٥٤٨) عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٦/ ٣١٣) عمن تقدم بمثله. ولعل الأقرب ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ومن قال بقولهما، وهو اختيار الزجاج والطبري " من أن الزبور جميع الكتب: التوراة والإنجيل والقرآن. والمعنى: ولقد كتبنا في الكتب من بعد ذكرنا في السماء ". معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٠٧)، تفسير الطبري(١٨/ ٥٤٨).

(٥) في نسخة الأصل (بلغ)، ولعل الأقرب هو ما أثبته، والتصويب من نسخة(ب).

الوصول والبلاغ سبب الوصول إلى الحق[1] وقيل في معناه: إن في هذا ما يبلغ به إلى رضوان الله تعالى وجنته وجزيل ثوابه[2].

قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨﴾

معناه: وما أرسلناك يا محمد ﷺ إلا نعمة للعالمين، قال عبدالله بن عباس { : كان النبي يرسل، فإن آمن به قومه وإلا عذبوا وأرسل النبي ﷺ فكان كل من كفر به يؤخر إلى القيامة، فهو نعمة على الكافر بأن عوفي مما أصاب الأمم من قبل. وقيل: في وجه النعمة به على الكافر الذي لا يؤمن أنه تعريض للإيمان ولطيف للانتقام من المعاصي[3] وفي تكليف النظر في نبوته تكليف زائد على ما يجب بمجرد العقل، فلا بد فيه من اللطف.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾

معناه: قل لهم يا محمد ﷺ: إنما يوحى إليَّ في القرآن أنما إلهكم إله واحد وهو الله لا شريك له، فهل أنتم يا أهل مكة مخلصون له بالعبادة والتوحيد[4]؟

---

(١) انظر الصحاح(٤/ ١٣١٦)، مادة "بلغ"، انظر مجمل اللغة لابن فارس (ص١٣٥)، انظر مختار الصحاح للرازي (ص٣٩).

(٢) انظر تفسير الطبري(١٨/ ٥٥٠)، الكشف والبيان(٦/ ٣١٣).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٥٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٦/ ٣١٤) من قول ابن عباس رضى الله عنهما " وأنه عليه الصلاة والسلام رحمة للبر والفاجر "، كما ذكر ذلك أيضاً ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢١٨) " قال ابن عباس: هذا عامّ للبَرِّ والفاجر، فمن آمن به تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن كفر به صُرفت عنه العقوبة إلى الموت والقيامة".

وفيه المسعودي وهو عبدالرحمن بن عبدالله. وقد اختلط قبل موته. انظر تقريب التهذيب (ص٣٤٤).

(٤) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٥٥٢).

قوله ﷻ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

معناه: فإن أعرضوا عن قبول قولك، فقل: أعلمتكم بالوحي من الله تعالى على سواء في الإعلام، أي: لم أظهر بعضكم على شيء كتمته عن غيره[(١)]. وهذا دليل على بطلان مذهب أصحاب الرموز[(٢)].

وقيل: على سواء في العلم أني حرب لكم ومخالف لدينكم[(٣)]، أو ليس العذر من أخلاق الأنبياء صلوات الله عليهم وقيل معناه: فقل: آذنتكم؛ لتستووا في الإيمان[(٤)]، وما أدري أقريب أم بعيد ما توعدون به من العذاب؟ إنه يعلم ما يجهر العباد به بعضهم بعضا من القول ويعلم ما تسرون[(5)] به وما أدري لعل تأخير العذاب شدة لكم في التعبد، يظهر ما هو كالسر فيكم من خير أو شر، فيخلص الجزاء بحسب العمل وأصل الفتنة التخليص بالشدة، كتخليص الذهب بشدة النار من كل ما يشوبه من غيره[(٦)]. وقيل: معنى فتنة لكم: اختباراً لكم[(٧)]، أي: بمنزلة الاختبار ومتاع، أي: وبقاء[(٨)] إلى منتهى الأجل.

وقوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾

معناه: قل يا محمد ﷺ: رب احكم بيني وبين الكفار بالحق وربنا الرحمن

----

(١) الكشف والبيان(٦/ ٣١٤).

(٢) سبق تخريجه (ص٧٠).

(٣) انظر غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٤٦)، الكشف والبيان(٦/ ٣١٤).

(٤) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٠٨)، الكشف والبيان(٦/ ٣١٤).

(٥) في نسخة (ب): (يسرون).

(٦) سبق تخريجه(ص٩١).

(٧) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٠٨)، الكشف والبيان (٦/ ٣١٤).

(٨) في نسخة (ب): (يقال) وهو تصحيف.

المستعان، نستعين به على ما يقولون، فإن قيل: ما معنى قل رب احكم بالحق؟ والله ﷻ لا يحكم إلا بالحق[(١)]. قيل معناه: الدعاء لله تعالى[(٢)] بما سيفعله وفي ذلك ظهور رغبة الداعي به؛ لأنه إذا دعا بهذا، ظهرت رغبته في الحق الذي دعا به، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾[(٣)] وعن قتادة أن النبي ﷺ كان إذا شهد قتالاً، قال: « رب احكم بالحق »[(٤)]، أي: افصل بيني وبين المشركين، بما يظهر به الحق للجميع وكان من دعاء الأنبياء صلوات الله عليهم إذا استنصروا على الكفار أن قالوا: رب احكم بالحق[(٥)].

وقرأ[(٦)] عاصم[(٧)] برواية حفص[(٨)] ~ ﴿قَالَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ على لفظ الخبر عن

---

(١) المعنى كما قال الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٥٤) " قل يا محمد: يا رب افصل بيني وبين من كذبني من مشركي قومي وكفر بك، وعبد غيرك، بإحلال عذابك ونقمتك بهم، وذلك هو الحق الذي أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ربه الحكم به، وهو نظير قوله جل ثناؤه ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾".

(٢) انظر تفسير السمرقندي(٢/ ٤٤٦).

(٣) آية(١٩٤) من سورة آل عمران.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٥٤) عن قتادة مرسلاً بنحوه، الكشف والبيان(٦/ ٣١٤).

(٥) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٠٨)، رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٧١) عن قتادة بمثله.

(٦) قرأ حفص عن عاصم: (قال) بألف، وقرأ الباقون: (قُل) بغير ألف. السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص٤٣١-٤٣٢)، تحبير التيسير في القراءات العشر (ص٤٦٧).

(٧) هو عاصم بن بهدلة أبي النجود بفتح النون وضم الجيم وقد غلط من ضم النون، شيخ الإقراء بالكوفة وأحد القراء السبعة، ويقال أبو النجود اسم أبيه لا يعرف له اسم غير ذلك وبهدلة اسم أمه، جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد وكان أحسن الناس صوتًا بالقرآن، مات رحمة الله سنة تسع وعشرين ومائة. انظر: معرفة القراء الكبار (ص٥١)، وغاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٣٤٦).

(٨) هو حفص بن سليمان بن المغيرة الكوفي، أخذ القراءة عرضًا وتلقيناً عن عاصم وكان ربيبه ابن زوجته، ولد سنة تسعين، قال الداني وهو الذي أخذ قراءة عاصم عن الناس تلاوة، ونزل بغداد فأقرأ بها وجاور بمكة فأقرأ أيضًا بها، وقال الذهبي أما القراءة فثقة ثبت ضابط لها بخلاف حاله في الحديث، مات رحمة الله سنة ست وأربعين مائتين. انظر: معرفة القراء الكبار (ص٨٤)، وغاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٢٥٤).

النبي ﷺ[(١)] وقرأ الضحاك ~ ﴿قل رَبِّ[(٢)] أحكم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: هو أحكم الحاكمين، قال: وكيف يجوز أن يُسأل [أن][(٣)] يحكم بالحق وهو لا يحكم إلا به[(٤)]؟ وعن أُبي بن كعب ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة الأنبياء صلوات الله عليهم حاسبه الله تعالى يوم القيامة حسابا يسيراً / وصافحته الأنبياء صلوات الله عليهم وسلَّم عليه كل نبي ذُكر اسمه في القرآن»[(٥)] وبالله التوفيق. [ل٤٠٨/ب]



---

(١) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ص٢٥٢)، حجة القراءات لابن زنجله (ص٤٧١).

(٢) الضحاك يقرأ بإسقاط الألف في (قال) وإثبات الياء في الربّ، ويهمز الألف من أحكم، ويرفع أحكم هكذا {رَبِّي أَحْكَمُ} على أنه خبر للربُ تبارك وتعالى. المحتسب لابن جني(٢/ ٧١)، تفسير الطبري(١٨/ ٥٥٥).

وقد قال الإمام الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٥٥) " وأما الضحاك فإن في القراءة التي ذكرت عنه زيادة حرف على خط المصاحف، ولا ينبغي أن يزاد ذلك فيها، مع صحة معنى القراءة بترك زيادته".

(٣) كأن السياق لا يستقيم إلا بإضافة (أن).

(٤) في الأصل هكذا وفي تفسير السمرقندي (٢/ ٤٤٦) بعد أن ذكر قراءة الضحاك قال " قال: لأنه لا يجوز أن يسأل أن يحكم بالحق، وهو لا يحكم إلا بالحق ".

(٥) هو جزء من الحديث الطويل في بيان فضائل القرآن سورة سورة، سبق تخريجه وبيان حكمه في أخر سورة طه.

سورة الحج

مكية إلا آيات قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ إلى آخر الآيتين وقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ﴾ إلى آخر الآيتين وقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾ إلى آخر السورة، فهؤلاء الآيات مدنيات[1].

وكل شيء في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فهو مدني وكل شيء فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فإنه مكي[2] ومنه مدني ولا تجد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مكياً هكذا رُوي عن عبدالله بن عباس ﴿[3] وأما عدد آي السورة، فهو أربع وسبعون عند الشاميين وخمس عند البصريين وست عند الحجازيين وثمان عند الكوفيين[4].

----

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمة الله تعالى في فتح الباري (٨/ ٤٤٠) " في حديث على وأبي ذر في هذان خصمان فإنها نزلت في أهل بدر وكذا قوله أذن الذين يقاتلون الآية وبعدها الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق فإنها نزلت في الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، فالذي يظهر أن أصلها مكي ونزل منها آيات بالمدينة ولها نظائر والله أعلم"، ذكره السمعاني في تفسيره (٣/ ٤١٦) وقال " وعن ابن عباس في رواية أخرى: أن هذه السورة مدنية إلا آيات فيها نزلت بمكة "، قال ابن عطية رحمة الله في تفسيره (٤/ ١٠٥) " قال الجمهور مختلطة فيها مكي ومدني وهذا هو الأصح والله أعلم لأن الآيات تقتضي ذلك".

(٢) تفسير القرطبي(١٢/ ١).

(٣) حكاه الماوردي في تفسيره (٤/ ٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما من رواية أبي صالح، انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ١٩٠).

(٤) البيان في عدّ آي القرآن للداني (ص١٨٩)، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لابن الجوزي (ص٢٩٤-٢٩٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾

معناه: يا أيها الناس، اخشوا ربكم وأطيعوه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ هول[١] قال علقمة والشعبي رحمهما الله: إن هذه الزلزلة هي الزلزلة التي تكون في الدنيا من أشراط القيامة[٢] ويكون بعدها طلوع الشمس من مغربها، ولذلك، قال: يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وقال الحسن رضي الله عنه: إنها الزلزلة التي يكون بعدها يوم القيامة[٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « يقول الله تعالى لآدم عليه السلام: قم يا آدم، فابعث بعث النار، فيقول: يا رب، وما بعث النار، فيقول عز من قائل: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، فعند ذلك يشيب الصغير وتضع الحامل ما في بطنها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، فقالوا: يا رسول الله ﷺ، أينا ذلك الرجل الذي يبقى، قال: ابشروا، فإني لأرجو أن يكون من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم واحد، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا وحمدنا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبرنا وحمدنا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا

---

(١) تنوير المقباس (ص٢٧٦) وهو من رواية الكلبي.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٥١)، والطبري في تفسيره (١٨/ ٥٥٧) عن علقمة.

ورواه الطبري كذلك في تفسيره (١٨/ ٥٥٧) عن الشعبي، قال الإمام ابن جرير في تفسيره (١٨/ ٥٥٩) " وهذا القول الذي ذكرناه عن علقمة والشعبي ومن ذكرنا ذلك عنه، قول لولا مجيء الصحاح من الأخبار عن رسول الله ﷺ بخلافه، ورسول الله ﷺ أعلم بمعاني وحي الله وتنزيله".

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٣٦١)، وذكره كذلك ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٢١) عن الحسن والسدي، وهو اختيار ابن جرير في تفسيره (١٨/ ٥٥٩).

نصف أهل الجنة، فكبرنا وحمدنا، ثم قال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض »[(١)].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾

معناه: يوم ترون الساعة والزلزلة تشتغل[(٢)] كل مرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام[(٣)] وهذا إنما يكون على وجه التشبيه، إذا أريد بالزلزلة الزلزلة التي تكون في يوم القيامة، فيكون المعنى: أن لو كانت ثم مرضعة لذهلت عن ولدها أو حامل لوضعت حملها ولهذا قال: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ وليس ثم سُكر ولكنهم من شدة ما يمر بهم[(٤)]، يضطربون اضطراب السكران من الشراب وما هم بسكارى من شرب الخمر ولكنهم من شدة الفزع من عذاب الله، يتحيرون، كأنهم سكارى[(٥)] والزلزلة في اللغة: هي شدة الحركة المماثلة ومنه زلزلة الأرض، يُقال: زل قدمه إذا زالت عن الجهة بسرعة ثم ضوعف فقيل: زلزل الله أقدامهم[(٦)]، كما يُقال: دكه ودكدكه وأما الذهول: فهو الذهاب عن الشيء تحيراً ودهشة[(٧)] ويُقرأ ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ[(٨)]﴾ أي: ترى أنت - أيها الإنسان- الناس

----

(١) أخرجة البخاري في صحيحه (كتاب التفسير / باب قوله تعالى ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ / ح٤٧٤١)، وأخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الإيمان/ باب قوله "يقول الله لأدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين / ح٢٢٢) كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- مع تقديم وتأخير.

(٢) تنوير المقباس (ص٢٧٦)، و ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٦)، وكذلك البغوي في تفسيره (٥/ ٣٦١) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٦٤) عن الحسن ~ بمثله، وحكاه الماوردي في تفسيره (٤/ ٦) من قول الحسن ~ تعالى.

(٤) في نسخة (ب): (لهم).

(٥) انظر تفسير الكشف والبيان للثعلبي (٧/ ٦).

(٦) انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ١١٦)، مختار الصحاح (ص١٣٧)، الكشف والبيان للثعلبي(٧/ ٦).

(٧) انظر مادة "ذهل" في تهذيب اللغة للأزهري (٦/ ١٤١)، مجمل اللغة لابن فارس (ص٣٦١-٣٦٢).

(٨) قرأ حمزة والكسائي "سكرى" بفتح السين من غير ألف، وقرأ الباقون "سكارى" بضم السين وبألف بعد ⇐=

سكرى وما هم بسكرى وسكرى بمنزلة جرحى وصرعى وسكارى بمنزلة عطاشى وكسالى[(١)].

قولـه ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾

قال عبدالله بن عباس { : نزلت في النضر بن الحارث[(٢)]، كان يُكذِّب بالقرآن ويزعم أنه من أساطير الأولين[(٣)] والمعنى: ومن الناس من يخاصم في دين الله وكتابه، بلا علم ولا حجة ويتبع كل شيطان متجرد للفساد[(٤)].

= الكاف.

السبعة (ص٤٣٤)، النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/ ٣٢٥).

(١) انظر الكتاب لسيبويه (٣/ ٦٤٦-٦٤٩)، وانظر الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ص٢٥٢)، معاني القراءات للأزهري (٢/ ١٧٥-١٧٦).

(٢) هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبدالدار، من قريش: صاحب لواء المشركين ببدر. كان من شجعان قريش ووجوهها، ومن شياطينها (كما يقول ابن إسحاق). له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في " الحيرة ". وقيل: هو أول من غنى على العود بألحان الفرس. وهو ابن خالة النبي ﷺ، شهد وقعة " بدر " مع مشركي قريش، فأسره المسلمون، وقتلوه بالأثيل (قرب المدينة) بعد انصرافهم من الوقعة. انظر: جمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٢٦)، والأعلام للزركلي(٨/ ٣٣).

(٣) تنوير المقباس (ص٢٧٧)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٦٦) عن ابن جريج بمثله، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٧٤) عن أبي مالك بأقل منه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٧) ولم يعزه لأحد، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٣٦٥) ولم يعزه لأحد، وذكره الرازي في تفسيره (٢٣/ ٢٠٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما.

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤١٠)، تفسير السمرقندي (٢/ ٤٤٩).

وانظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٤/ ٨٤-٨٥) مادة "مرد"، الكليات لأبي البقاء الكفوي (ص٨٧٩).

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾.

معناه: كتب على الشيطان إضلال متوليه وهدايته إياه إلى عذاب السعير[1]، أي: كتب عليه ذلك في كتب / الأنبياء المتقدمين صلوات الله عليهم أجمعين، بما وقع فيه من الإخبار بذلك ويجوز أن يكون الهاء في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ راجعة إلى من يتبع الشيطان، فيقبل منه[2]. [ل٤٠٩/أ]

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ (٧)﴾

معناه: يا أهل مكة، إن كنتم في شك من البعث بعد الموت، فتفكروا في بدء خلقكم، فإن إعادتكم ليست بأشد من ابتداء خلقكم، ثم بيّن ابتداء خلقهم، فقال عز من قائل: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ أي: خلقناكم من آدم عليه السلام وخلقنا آدم عليه السلام من تراب، ثم صيرناه لحماً ودماً[3].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾.

معناه: ثم خلقناكم بعد ذلك من النطفة التي تكون من الذكر والأنثى، ثم جعلنا

---

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٣/ ٣٢) عن قتادة بأقل منه، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٦٦) عن قتادة نحوه، معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤١١)، وحكاه ابن عطية في تفسيره (٤/ ١٠٧) عن قتادة بمثله.

(٢) فيكون راجع إلى لفظه " فكأنه قال كتب على من يتبع الشيطان أنه من تولى الشيطان أضله عن الجنة وهداه إلى النار ". مفاتيح الغيب للرازي (٢٣/ ٢٠٢).

(٣) انظر تنوير المقباس (ص٢٧٧)، انظر تفسير الطبري (١٨/ ٥٦٧).

تلك النطفة علقة وهي قطعة من الدم، ثم جعلنا العلقة مضغة وهي قطعة من اللحم تسمى مضغة؛ لأنها تكون بمقدار ما يمضغ من اللحم[١].

وقوله تعالى: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾.

قال قتادة رضي الله عنه: تامة الخلق وغير تامة الخلق[٢] وقال مجاهد: معناه: مصورة وغير مصورة وهي: السقط[٣].

وقوله تعالى: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾.

معناه: لندلكم بالقرآن على ما نريده[٤] من تصريف مقدورنا في الخلق[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾.

معناه: ونترك في الأرحام ما نشاء من الولد إلى وقت التمام، ثم نخرجكم[٦] من الأرحام أطفالاً وإنما قال: طفلاً ولم يقل: أطفالاً؛ لأنه تعالى لم يخرجهم من أم واحدة ولكنه أخرجهم من أمهات شتى، فكأنه قال: ثم يخرج كل واحد منكم طفلاً[٧].

---

(١) حكاه ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٢٣) من قول ابن قتيبة.

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٣/ ٣٢) عن قتادة رضي الله عنه بمثله، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٦٨) عن قتادة رضي الله عنه بمثله.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٦٨) عن مجاهد رضي الله عنه بمثله، وقد صوب الإمام ابن جرير ~ تعالى هذا القول.

(٤) زاد المسير لابن الجوزي(٣/ ٢٢٣).

(٥) انظر تفسير الثعلبي (٧/ ٨)، تفسير الكشاف للزمخشري(٣/ ١٤٤).

(٦) في نسخة(ب): (يخرجكم).

(٧) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤١٢).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾.

معناه: ثم نترككم إلى وقت كمال عقلكم[١] وقد تقدم تفسير الأشد[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾.

أي: ومنكم من يقبض روحه قبل بلوغ الأشد[٣] ومنكم من يرد إلى أرذل العمر، أي: إلى أهونه وأخسه عند أهله إلى حال الهرم الذي هو حال نقصان القوة والعقل؛ لكيلا يعقل من بعد عقله الأول شيئا، ثم دلهم على إحياء الموتى بدلالة أخرى وهي إحياء الأرض الميتة[٤]، فقال عز من قائل: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ أي: خافية ذات تراب[٥] والهمود: هو الدروس والدثور[٦]

﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ أي: تحركت بالنبات[٧] والاهتزاز شدة الحركة في الجهات[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَرَبَتْ﴾.

معناه: زادت وانتفخت للنبات من ربا يربو إذا زاد[٩]، ومن قرأ ﴿وربـأت[١٠]﴾

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤١٣)، تفسير الطبري (١٨/ ٥٦٩)، الكشف والبيان للثعلبي (٧/ ٨).

(٢) عند الآية (١٥٢) من سورة الأنعام.

(٣) تنوير المقباس (ص٢٧٧).

(٤) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤١٣).

(٥) عند الزجاج في معاني القرآن (٣/ ٤١٣) " جافة ذات تراب".

(٦) تفسير الطبري (١٨/ ٥٧٠).

(٧) تفسير الطبري(١٨/ ٥٧١)، تفسير الكشف والبيان للثعلبي(٧/ ٩).

(٨) انظر: تهذيب اللغة (٥/ ٢٣٠)، مقاييس اللغة (٦/ ٩).

(٩) انظر مادة "ربا" في تهذيب اللغة للأزهري (١٥/ ١٨٠-١٨٣)، مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص٣٤٠).

(١٠) قرأ أبو جعفر "رَبَأت" بالهمز، ورويت عن أبي عمرو ابن العلاء، وقرأ الباقون بحذف الهمزة. ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري(٢/ ٣٢٥)، تفسير البحر المحيط لأبي حيان(٧/ ٤٨٧).

بالهمز معناه: ارتفعت، يقال: ربأت القوم إذا ارتفعت على رابية تحرسهم[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾

معناه: وأخرجت بالماء من كل لون حسن الصورة مونق العين[(٢)] ذلك الأمر الذي وصفناه في تصاريف الخلق على هذه الأحوال وفي إحياء الأرض الميتة؛ ليعلموا أو يقروا[(٣)] أن الله هو الحق، أي: هو المستحق لصفات التعظيم وهو الإله الواحد الذي يقدر على كل شيء[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾.

معناه: ويدلكم على أنه يحيي الموتى، كما أحياهم ابتداء وأنه على كل شيء من الإيجاد والإعدام قادر ويدلكم على أن الساعة كائنة لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور للحساب والجزاء[(٥)].

قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠﴾

معناه: ومن الناس من يجادل، فيناظر؛ ليحق الباطل ويبطل ما دل عليه الدليل، بغير معرفة ولا دليل ولا كتاب مضى فيه حجة ما يقول[(٦)].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ١٩٧)، الصحاح (١/ ٥٢).

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤١٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٧٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما.

(٣) في نسخة (ب): (لتعلموا وتقروا).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤١٣).

(٥) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٥٧٢).

(٦) المصدر السابق.

وقوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ ﴾.

أي: لاوي عنقه[(١)] متكبراً[(٢)]؛ لِيُضِل عن دين الله تعالى، وطاعته له في الدنيا عقوبة بالمذمة والقتل ونذيقه في الآخرة عذاب الحريق[(٣)]، ذلك العقاب[(٤)] بما جنيته على نفسك بكفرك ومعاصيك وأن الله ليس بظلام للعبيد في العذاب، لا يأخذهم بلا جرم منهم[(٥)]. نزلت / هذه الآيات في النضر بن الحارث[(٦)]، وقد قتل يوم بدر صبراً[(٧)]. [ل٤٠٩/ب]

وفي قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ ﴾.

مبالغة في إضافة الخزي إليه؛ لأن ذكر اليدين إنما يستعمل في تحقيق الإضافة. فإن قيل: لمَ قال: ليس بظلام للعبيد على صفة المبالغة وهو لا يظلم مثقال ذرة؟ قيل: إنه تعالى لو فعل أقل قليل الظلم، لكان عظيماً منه؛ لأنه يفعل ما يفعل من غير حاجة إليه، فهو أعظم من كل ظلم فعله فاعله لحاجته إليه؛ لأن حاجته تصغره على مقدار شدتها وضعفها، حتى إنها قد تبلغ إلى حد يخرج من أن يكون ظلماً، كالمضطر إلى أكل

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٧٣) عن مجاهد وقتادة بمثله، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٧٦) عن قتادة بمثله، وذكره عنهما الثعلبي في الكشف والبيان(٧/ ٩).

(٢) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤١٤)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٧٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما ولكنه من رواية علي بن أبي طلحة.

(٣) تنوير المقباس (ص٢٧٧).

(٤) في نسخة (ب): (العذاب).

(٥) تنوير المقباس (ص٢٧٧).

(٦) تفسير الطبري (١٨/ ٥٧٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم(٨/ ٢٤٧٦) عن مجاهد به، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٩) عن الكلبي "المتهم"، وذكره أبوحيان في تفسيره (٧/ ٤٨٧) وعزاه للجمهور.

" وفائدة التكرير المبالغة في الذم " تفسير الرازي (٢٣/ ٢٠٦).

(٧) انظر تنوير المقباس (ص٢٧٧)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٧٤) عن ابن جريج بمثله، وذكره الرازي في تفسيره (٢٣/ ٢٠٧) عن ابن عباس رضى الله عنهما.

الميتة لا يكون ظالماً لنفسه ولو فعل فاعل أقل الظلم على غناه عنه، لكان ظلاماً؛ لأنه اختاره مع غناه عنه[1].

---

(١) والمعلوم أن المراد بنفي المبالغة في قوله تعالى ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ هو نفي الظلم من أصله، وقد قال الشيخ / محمد الأمين في تفسيره أضواء البيان (٧/ ٣١) " وفي هذه الآيات سؤال معروف، وهو أن لفظة (ظلام) فيها صيغة مبالغة، ومعلوم أن نفي المبالغة لا يستلزم نفي الفعل من أصله. والجواب عن هذا الإشكال من أربعة أوجه:

الأول: أن نفي صيغة المبالغة في الآيات المذكورة قد بينت آيات كثيرة أن المراد به نفي الظلم من أصله.

ونفي صيغة المبالغة إذا دلت أدلة منفصلة على أن يراد به نفي أصل الفعل، فلا إشكال لقيام الدليل على المراد.

والآيات الدالة على ذلك كثيرة معروفة، كقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ الآية [٤ \ ٤٠].

الوجه الثاني: أن الله - جل وعلا - نفى ظلمه للعبيد، والعبيد في غاية الكثرة، والظلم المنفي عنهم تستلزم كثرتهم كثرته، فناسب ذلك الإتيان بصيغة المبالغة للدلالة على كثرة المنفي التابعة لكثرة العبيد المنفي عنهم الظلم، إذ لو وقع على كل عبد ظلم، ولو قليلا، كان مجموع ذلك الظلم في غاية الكثرة، كما ترى.

وبذلك تعلم اتجاه التعبير بصيغة المبالغة، وأن المراد بذلك نفي أصل الظلم عن كل عبد من أولئك العبيد، الذين هم في غاية الكثرة، سبحانه وتعالى عن أن يظلم أحدا شيئا، كما بينته الآيات القرآنية المذكورة، وفي الحديث: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي» الحديث.

الوجه الثالث: أن المسوغ لصيغة المبالغة أن عذابه -تعالى- بالغ من العظم والشدة أنه لولا استحقاق المعذبين لذلك العذاب بكفرهم ومعاصيهم - لكان معذبهم به ظلاما بليغ الظلم متفاقمه، سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

وهذا الوجه والذي قبله أشار لهما الزمخشري في سورة «الأنفال».

الوجه الرابع: ما ذكره بعض علماء العربية وبعض المفسرين من أن المراد بالنفي في قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ نفي نسبة الظلم إليه؛ لأن صيغة فعال تستعمل مرادا بها النسبة، فتغني عن ياء النسب".

قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣﴾

قال عبدالله بن عباس { : نزلت هذه الآيات في أناس من بني أسد بن خزيمة(١) أصابتهم سنة شديدة، فأجدبوا فيها، فاحتملوا بالعيال، حتى قدموا على رسول الله ﷺ، فكانوا إذا أعطوا من الصدقة ورزقوا من الأبناء وأصابوا خيراً، اطمأنوا بذلك وفرحوا به وإن أصابهم وجع المدينة وولدت نساؤهم الجواري وتأخرت عنهم الصدقة، قالوا: ما أصابنا مذ كنا على هذا الدين إلا شر، فكان كل ذلك من عدم البصيرة(٢).

----

(١) قبيلة عظيمة من العدنانية، تنتسب الى أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار. وهي ذات بطون كثيرة، منها بنو كاهل، بنو غنم بن دودان بن أسد، بنو ثعلبة بن دودان بن أسد، بنو عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، وفي بني أسد بطون يطول ذكرها.

ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب / المؤلف: أحمد بن علي القلقشندي (المتوفى: ٨٢١هـ) - المحقق: إبراهيم الإبياري، الناشر: دار الكتاب اللبنانين، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠ هـ -(ص٣٧-٣٨)، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة/ المؤلف: عمر بن رضا كحالة الدمشق (المتوفى: ١٤٠٨هـ)- الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤١٤ هـ -(١/ ٢١).

(٢) روى البخاري في صحيحه (كتاب التفسير/ سورة الحج/ باب: قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ /ح٤٧٤٢) نحوه مختصراً عن ابن عباس رضى الله عنهما، وقد رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٧٥-٥٧٧) عن الضحاك قال " كان ناس من قبائل العرب ومن حول المدينة من القرى كانوا يقولون: نأتي محمدا ﷺ، فننظر في شأنه، فإن صادفنا خيرا ثبتنا معه، وإلا لحقنا بمنازلنا وأهلينا. وكانوا يأتونه، فيقولون: نحن على دينك! فإن أصابوا معيشة ونتجوا خيلهم وولدت نساؤهم الغلمان، اطمأنوا وقالوا: هذا دين صدق، وإن تأخر عنهم الرزق، وأزلقت خيولهم، وولدت نساؤهم البنات، قالوا: هذا دين سوء، فانقلبوا على وجوههم".

ونحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما من رواية العوفي، وبنحوه أيضاً عن قتادة.

⇦=

والمعنى - والله أعلم -: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ الطريقة في الدين لا يدخل فيه دخول متمكن فيه[1] ولكن يعبد الله على ضعف في العبادة، كضعف القيام على حَرْف جُرُفٍ، فإن أصابه خير اطمأن به، أي: رضي به، وإن أصابته محنة بضيق المعيشة ونحو ذلك، انقلب على وجهه، أي: رجع إلى دينه الأول وهو الشرك بالله تعالى[2]. خسر في الدنيا العز والغنيمة وفي الآخرة الجنة، ذلك هو الخسران المبين الظاهر.

يدعو من دون الله ما لا يضره، إن ترك عبادته، وما لا ينفعه إن عبده وهي الحجارة التي كانوا يعبدونها، ذلك هو الذهاب البعيد عن الحق والصواب. يدعو لمن ضره أقرب من نفعه، أي: يدعو ما لا نفع له بوجه من الوجوه ومن عادة العرب أنهم يقولون لشيء لا منفعة فيه: ضرره[3] أكثر من نفعه، كما يقولون لشيء لا يكون: هذا بعيدٌ، كما قالوا: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾[4][5].

وقوله تعالى: ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ﴾.

معناه: لبئس الناصر ولبئس الخليط والصاحب المعاشر، وفي الحديث عن النبي ﷺ «إنكن لتكثرن اللعن وتكفرن العشير»[6] يعني: الزوج. فإن قال قائل: لم جاز يدعو

= ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٧٦) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه، وذكر قريباً من هذا اللفظ الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ٩) من غير نسبة لأحد.

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤١٤).

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤١٤).

(٣) في نسخة (ب): (ضره).

(٤) آية (٣) سورة ق.

(٥) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤١٥).

(٦) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الحيض/ باب: ترك الحائض الصوم/ ح٣٠٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بأطول منه، ورواه مسلم في صحيحه (كتاب الإيمان/ باب: كفر العشير/ ح١٥٣) عن ابن عمر رضى الله عنهما بأطول منه.

لمن ضره أقرب من نفعه ولم يجز ضربت لزيداً؟ قيل: قد تكلموا في هذا من وجوه، قال الزجاج ~ : إن ذلك من قوله ذلك هو الضلال البعيد، نصب بيدعو وهو بمعنى: الذي، كأنه قال: الذي هو الضلال البعيد يدعوه[١].

وقوله تعالى: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ كلام مستأنف وخبره ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[٢] على معنى: وما التي بيمينك يا موسى[٣]؟

ويُقال: معنى يدعو في هذه الآية: يقول، والخبر في قوله تعالى ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ محذوف تقديره: يقول لمن ضره أقرب من نفعه إِلَهُهُ[٤].

وقد يذكر الدعاء بمعنى القول كما قال عنترة[٥]:

يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان بئر في لبان الأدهم[٦]

----

(١) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤١٦).

(٢) آية (١٧) سورة طه.

(٣) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤١٥-٤١٦).

(٤) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤١٦)، معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٥٠). فعلى هذا تكون "من" مرفوعة بالابتداء وخبرها محذوف مقدر.

(٥) عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية ابن قراد العبسيّ: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها. وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفسا، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة.

وكان مغرما بابنة عمه " عبلة " فقل أن تخلو له قصيدة من ذكرها. اجتمع في شبابه بإمرئ القيس الشاعر، وشهد حرب داحس والغبراء، وعاش طويلا، وقتله الأسد الرهيص أو جبّار ابن عمرو الطائي. ينسب إليه " ديوان شعر - ط " أكثر ما فيه مصنوع. و " قصة عنترة - ط " خيالية يعدها الإفرنج من بدائع آداب العرب، وقد ترجموها إلى الألمانية والفرنسية، ولم يعرف واضعها. ينظر: الأعلام للزركلي(٥/ ٩١)، معجم المؤلفين / المؤلف: عمر بن رضا كحالة (المتوفى: ١٤٠٨هـ)-الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي -(٨/ ١٤).

(٦) ديوان عنترة بن شداد مطبعة الأداب لصاحبها/ أمين الخوري -بيروت- (ص٨٣)، قال: الخطيب =

ويُقال: إن اللام في قوله تعالى: ﴿يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ﴾ معناها: التأخير كأنه قال يدعو أخير كأنه أخير، كأنه قال: يدعو من والله لضره أقرب من نفعه وإنما قدمت اللام للتمييز والتوكيد، فحقها أن تكون في أول الكلام[(١)] ونظير هذا قولهم عندي لما غيره خير منه، ومعناه: عندي ما لغيره خير منه[(٢)].

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤)﴾

وذلك أنه تعالى لما بين من قبل حال المنافقين الشاكين، بين بهذه حال المؤمنين المخلصين / ووعدهم نعيم الجنة. [ل٤١٠/أ]

قوله ﷻ: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (١٥) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ (١٦)﴾

قيل: إن الهاء في قوله تعالى ﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ﴾ كناية راجعة إلى النبي ﷺ[(٣)] معناه: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن﴾ ينصر الله تعالى محمداً ﷺ، فليطلب سبباً يصل به إلى السماء ثم ليقطع نصر الله تعالى لنبيه ﷺ ولينظر هل يتهيأ له الوصول إلى السماء بحيلة؟ وهل يتهيأ له أن يقطع بذلك نصر الله تعالى عن رسوله ﷺ؟ حتى يحتال في قطعه، فكما لا يمكنه الاحتيال في الوصول إلى السماء، كذا لا تمكنه الحيلة في قطع نصر الله تعالى عن

= التبريزي في شرحه لديوان عنترة (ص١٨٢): " قوله: الأشطان: الحبال، شبه الرماح بها في طولها واستقامتها. وقوله: في لبان الأدهم: يعني فرسه، أي: إذا نظر القوم إلى الرماح قد كثرت وأشرعت في لبان الأدهم نادونني واللبان الصدر.

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤١٥).

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢١٧).

(٣) انظر الطبري (١٨/ ٥٨٠)، الكشف والبيان للثعلبي (٧/ ١١)، واختاره الفراء في معانيه (٢/ ٢١٨)، وكذلك اختاره الزجاج في معانيه (٣/ ٤١٧).

رسول الله ﷺ الذي يأتيه من قبل السماء بإنزال الملائكة(١).

وقيل: إن الهاء راجعة إلى من كان يظن(٢)، كأنه قال: من كان يظن أن لن يرزقه الله(٣)، فليمدد بحبل إلى سقف بيته واضعا ذلك على حلقه مخنِّقاً نفسه؛ ليذهب غيظ نفسه(٤) وهذا مثل ضرب لهذا الجاهل، أي: مثل هذا الذي يظن أن لن يرزقه الله تعالى على سبيل التسخط لما أعطِي، مثل من فعل مثل هذا الفعل بنفسه، هل كان ذلك إلا زائداً في بلائه؟ وهل يذهب خنقه نفسه غيظه في رزقه؟ وإنما ذكر النصرة بمعنى: الرزق؛ لأن العرب تقول: من ينصرني نصره الله، أي: من يعطيني أعطاه الله تعالى(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ﴾ أي: القرآن(٦) على محمد ﷺ دلالات واضحات وأن الله تعالى يهدي إلى النبوة من يريد وقيل: يهدي إلى الدين ويهدي إلى الثواب(٧).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٨٠-٥٨١) عن ابن زيد قريباً من هذا اللفظ، وحكاه الثعلبي في تفسيره (٧/ ١١) عن ابن زيد بمثله.

(٢) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٢).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٨٢) عن مجاهد بمثله، وهو اختيار أبي عبيدة في مجاز القرآن (٢/ ٤٦)، قال الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان(٤/ ٢٨٨) " وهذا القول ظاهر السقوط"، و أما الإمام ابن جرير الطبري ~ تعالى في تفسيره (١٨/ ٥٨٣) فحاول الجمع بين القولين، فقال: " من كان يحسب أن لن يرزق الله محمدا ﷺ وأمته في الدنيا، فيوسع عليهم من فضله فيها، ويرزقهم في الآخرة من سني عطاياه وكرامته، استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم، فليمدد بحبل إلى سماء فوقه "

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢١٨)، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص٢١١-٢١٢)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤١٧).

(٥) مجاز القرآن / المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى: ٢٠٩هـ)-المحقق: محمد فؤاد، الناشر: مكتبة الخانجى - القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ -(٢/ ٤٦)، وانظر تفسير الطبري (١٨/ ٥٨١).

(٦) انظر تفسير البغوي (٥/ ٣٧١)، زاد المسير لابن الجوزي(٣/ ٢٢٧).

(٧) انظر تفسير السمرقندي (٢/ ٤٥٢).

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١٧﴾

معناه: إن الذين آمنوا بمحمد ﷺ والقرآن وجميع أصناف الكفار، إن الله تعالى يفرق بين هذه الفرق الخمس وبين المؤمنين يوم القيامة، بما يضطر إلى العلم بصحة الصحيح وبطلان الباطل، يبيض وجه المحق ويسود وجه المبطل، والفصل: إظهار الحق من النقيضين بما يوجب صحة الحق وفساد الباطل[(١)].

وأما تكرير" أن" في هذه الآية، فهو جائز عند البصريين، يُقال: إن زيداً إن الخير عنده كثير. قال الزجاج ~ إن تدخل على كل ابتداء وخبر تقول إن زيداً هو قائم وإن زيداً إنه قائم[(٢)]، قال جرير[(٣)]:

إن الخليفة إن الله سربله سربال ملك به تزجى الخواتيم[(٤)]

---

(١) انظر تفسير القرطبي (١٢/ ٢٣).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤١٧-٤١٨)، ورد أبو إسحاق على الفراء بهذا القول، واستقبح قوله: لا يجوز إن زيداً إن أخاه منطلق، قال: لأنه لا فرق بين زيد وبين الذين، و" إن" تدخل على كل مبتدأ، فتقول إن زيداً هو منطلق، ثم تأتي بإن فتقول: إن زيدا إنه منطلق. انظر تفسير القرطبي(١٢/ ٢٣).

(٣) هو جرير بن عطيّة بن الخطفى، واسمه حذيفة، والخطفى لقبه أبو حزرة الشاعر- بالحاء المهملة- البصري، ؛ كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن، وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل قدم دمشق غير مرة، وامتدح يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان، وأمره في ذلك مشهور، توفي سنة عشر ومائة. انظر: طبقات فحول الشعراء / المؤلف: محمد بن سلّام الجمحي (المتوفى: ٢٣٢هـ)-المحقق: محمود شاكر، الناشر: دار المدني -(٢/ ٢٩٧)، و تاريخ دمشق / المؤلف: علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)-المحقق: عمرو العمروي، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤١٥ ه -(٧٢/ ٨٦)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / المؤلف: أحمد بن محمد ابن خلكان (المتوفى: ٦٨١هـ)-المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت -(١/ ٣٢١).

(٤) البيت لجرير من قصيدة يمدح بها عبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك بن مروان الأموي، يريد: أن ⇦=

وأما الشهيد: فهو العليم بما شأنه أن يُشَاهد والله تعالى عالم الأشياء غيباً وشهادة؛ لأنه علام الغيوب(١).

قولهﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)﴾(٢)

معناه: ألم تعلم(٣) يا محمد ﷺ أن الله يسجد له من في السماوات من الملائكة ومن في الأرض من الجن والآدميين(٤) من المؤمنين يسجدون لله تعالى على جهة العبادة له؟

وقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾.

قيل : إن هذه الأشياء تسجد لله تعالى بما فيها من دلالة الخضوع التي تدعو العارفين إلى السجود وقد يذكر السجود بمعنى الخضوع بالخلقة(٥)؛ كما قال الشاعر:

بجمع تضِل البُلْق في حجراتِه ... ترى الأكم فيها سجداً للحوافر(٦)

= سلاطين الآفاق يرسلون إليه خواتمهم خوفا منه، فيضاف ملكهم الى ملكه، انظر ديوان جرير (ص ٤٣١) وفيه (يكفي الخليفة)، فيكون غير مناسب للإستشهاد هنا، ويروى "ترجى" بالراء المهملة من الرجاء. وهذه الرواية أكثر من التي ذكرها المصنف. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب / المؤلف: عبدالقادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ)-تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ -(١٠/ ٣٦٧-٣٦٨).

(١) انظر تنوير المقباس (ص٢٧٨).

(٢) آية ١٨ سورة الحج.

(٣) عبر بذلك؛ لأن المراد بالرؤية هنا: الرؤية بالقلب والفعل ومثله قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا﴾ [سورة البقرة٢٤٣].

(٤) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ٢١٩)، وانظر تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٦).

(٥) هذا القول اختاره الزجاج وجوده، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤١٨)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ١٢) وقال: "هذا قول أهل الحقائق".

(٦) هذا البيت لزيد الخيل بن مهلهل الطائي، الفرس المشهور. انظر: ديوان زيد الخيل (ص٦٦)، ويروى =

فجعل الجبال الصغار سجداً للحوافر، وقال مجاهد رضي الله عنه: سجود كل شيء سوى المؤمنين، سجود ظله حين تطلع الشمس وحين تغيب[(١)]، كما قال عز من قائل: ﴿وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[(٢)].

وقال الحسن: كل شيء يسجد لله تعالى، ما دام في موضعه، كما نسجد ما دمنا أحياء ولكنا لا نفقه تسبيحهم، كما قال الله عز وجل ﴿وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[(٣)] فإذا زال عن موضعه، ترك السجود[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾.

معناه: وكثير من الناس من الكفار الذين سيؤمنون من بعد وكثير حق عليه العذاب من الذين لا يؤمنون، يسجدون لله بما يقتضيه عقلهم من الخضوع لله تعالى وإن كفروا بغير ذلك من الأمور[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ﴾.

معناه: ومن يهنه الله تعالى بالشقوة، فما أحد يكرمه بالسعادة[(٦)]. إن الله يفعل ما يشاء؛ لأنه هو المالك للعقوبة والمثوبة.

= "بجيش" بدل " بجمع "، تفسير الطبري (٢/ ١٠٤)، الكامل للمبرد(٢/ ١٤٩).

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٨٦) عن مجاهد بنحوه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١٢) عن مجاهد بمثله.

(٢) آية (١٥) سورة الرعد.

(٣) آية(٤٤) سورة الإسراء.

(٤) قال: الإمام البغوي رحمة الله في تفسيره (٥/ ٣٧٢) عقب ذكر هذا القول " وهذا مذهب حسن موافق لقول أهل السنة "، وقد اختاره الأزهري كما في تهذيب اللغة (٤/ ١٩٧)، ولعل هذا هو الأقرب.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٦)، تفسير السمرقندي (٢/ ٤٥٣).

(٦) انظر تنوير المقباس (ص٢٧٨)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢١٩).

/ قوله ﷻ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [ل٤١٠/ب]

قال مجاهد رضي الله عنه والحسن وعطاء بن أبي رباح رضي الله عنهم: أراد بالخصمين: المؤمنين والكافرين[1].

وقال أبو ذر رضي الله عنه: نزلت هذه الآية في الذين بارزوا يوم بدر، يعني: علياً وحمزة وعبيدة بن الحارث من المؤمنين وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة من الكافرين[2] وعن عبدالله بن عباس { ، أنه قال: هم أهل الكتاب وأهل القرآن[3].

وقوله تعالى: ﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ﴾.

قيل: معناه: اختصموا في دين ربهم، وقال: اختصموا؛ لأن الخصمين جمعان[4] وفي هذه الآية دلالة أن الكفر كله ملة واحدة.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٨٩) عن مجاهد وعطاء بن أبي رباح بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١٣) عن الكلبي "المتهم" ومجاهد وعطاء بن أبي رباح، واختار هذا القول الفراء والزجاج وابن جرير الطبري.

انظر: معاني القرآن للفراء(٢/ ٢١٩)، معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤١٩)، تفسير الطبري (١٨/ ٥٩٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحة (كتاب التفسير/ باب قوله تعالى ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ﴾ / ح٤٧٤٣)، ورواه مسلم في صحيحة (كتاب التفسير/ باب قوله تعالى ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ﴾/ ح٣٠٣٣) عن أبي ذر رضي الله عنه أنه كان يقسم قسماً إن هذه الآية ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ﴾ نزلت في حمزة وصاحبة وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في بدر.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٨٩) عن ابن عباس رضى الله عنهما من رواية العوفيين، تفسير الكشف والبيان(٧/ ١٣).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤١٩).

وقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾.

أي: من نحاس قد أذيب[(١)]، فيجعل على أبدانهم بمنزلة الثياب، يصب من فوق رؤوسهم الحميم وهو الماء الحار الذي قد انتهى حره، يصهر به ما في بطونهم، أي: يذاب بالحميم الذي يصب من فوق روؤسهم ما في بطونهم من الشحوم، حتى تخرج من أدبارهم ويذاب به الجلود أيضا وإن جلودهم تتساقط من حر الحميم[(٢)] والصهر الإذابة، يُقال: صهرت الآنية بالنار أصهرها صهراً[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ﴾.

فالمقامع: جمع المقمعة، وهي مدقة الرأس[(٤)]. رُوي: أن الملائكة يضربون رؤوسهم بأعمدة من حديد، فيهوون في النار سبعين خريفاً[(٥)].

قال مقاتل ﷺ: تضرب الملائكة رأس الكافر بالمقمعة؛ فيثقب رأسه، ثم يصب فيه الحميم الذي قد انتهى حره[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾.[(٧)] كلما رفعتهم النار بلهبها، فحاولوا الخروج منها من غم العذاب، أعيدوا في النار بضرب المقامع وقيل: لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق: هو المحرق كالأليم بمعنى المؤلم هو لأحد الخصمين[(٨)].

---

(١) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤١٩)، ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١٤) من قول سعيد بن جبير بنحوه.

(٢) انظر الكشف والبيان للثعلبي (٧/ ١٤).

(٣) انظر: الصحاح (٢/ ٧١٧)، مجمل اللغة (ص٥٤٣).

(٤) انظر: العين للخليل (١/ ١٨٩)، تهذيب اللغة (١/ ١٩٢).

(٥) ذكره الزمخشري في تفسيره (٣/ ١٥٠) عن الحسن بنحوه، وحكاه ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٢٩) عن الحسن كذلك، وذكره الرازي في تفسيره (٢٣/ ٢١٥) عن الحسن كذلك.

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ١٢٠)، تفسير الطبري (١٨/ ٥٩٢).

(٧) في نسخة (ب)، زيادة عبارة (قيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق) وهو خطأ.

(٨) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٥٩٣)، الكشف والبيان للثعلبي (٧/ ١٥).

ثم قال سبحانه في الخصم الأخر:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾

معناه: إن الله يدخل الذين آمنوا في حال الشدة والرخاء والخوف والأمن وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم بساتين، تجري من تحت أشجارها الأنهار، يحلون في الجنة من أساور من ذهب[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾.

من قرأ بالخفض[2] كان المعنى ويحلون فيها لؤلؤا[3].

وقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

ظاهر المراد: حرم ذلك على الذكور في الدنيا وشوقوا إليه في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾.

معناه: وقد هدوا في الدنيا إلى القول الطيب وهو كلمة التوحيد[4]

---

(١) انظر تفسير السمرقندي (٢/ ٤٥٤).

(٢) قرأ نافع وعاصم "ولؤلؤا" بالنصب، وقرأ الباقون "ولؤلؤٍ" بالخفض، السبعة (ص٤٣٥)، التيسير (ص١٥٦).

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٢٦٨)، حجة القراءات لابن زنجلة (ص٤٧٤).

(٤) تنوير المقباس (ص٢٧٩)، ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ١٥) من رواية الكلبي "المتهم"، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٣٧٦) عن ابن عباس رضى الله عنهما، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٢٩) عن ابن عباس رضى الله عنهما وزاد "والحمد لله"، تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٩٨).

وقوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ فالله تعالى هو الحميد[١] وصراطه طريق الجنة ويجوز أن يكون الحميد نعتاً للصراط[٢]، كما في قوله تعالى ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾[٣] ويُقال في معنى ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾: أرشدوا إلى القول الذي يشتهونه في الآخرة[٤]، مثل قوله تعالى ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾[٦][٧] ونحو ذلك وبالله التوفيق.

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾

معناه: إن الذين كفروا بمحمد ﷺ والقرآن والذين من شأنهم الصد عن طاعة الله وعن الطواف في[٨] المسجد الحرام وهم أبو سفيان وأصحابه الذين صدوا النبي ﷺ عام الحديبية[٩].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً﴾.

معناه: الذي جعلناه لجميع الناس سواء المقيم فيه والنازع إليه من غيره، فليس الذين صدوا عنه بأحق به من غيرهم[١٠] قيل: إن المراد بالمسجد الحرام في هذه الآية

---

(١) ذكره الطبرسي في تفسيره (٧/ ١٤١) وعزاه إلى الحسن بمثله.

(٢) مجمع البيان (٧/ ١٤١).

(٣) آية (٩٥) سورة الواقعة.

(٤) مجمع البيان (٧/ ١٤١).

(٥) آية (٧٣) سورة الزمر.

(٦) آية (٧٤) سورة الزمر.

(٧) ذكره الرازي في تفسيره (٢٣/ ٢١٦) عن ابن عباس رضى الله عنهما من رواية عطاء بنحوه.

(٨) في نسخة (ب): (و).

(٩) انظر تفسير المحرر الوجيز لابن عطية(٤/ ١١٥)، البحر المحيط(٧/ ٤٩٩).

(١٠) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢١)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٢١).

الحرم كله[١]، كما في قوله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[٢] وكان العهد بالحديبية وهي بعيدة من المسجد قريبة من الحرم.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: « إن[٣] مكة حرام بحرام الله تعالى لا يحل بيع رباعها ولا إجارة بيوتها »[٤].

ورُوي: أنها كانت تدعى السوائب[٥] في زمن رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ، فمن/ احتاج سكن ومن استغنى أسكن[٦] وكان عمر رضي الله عنه يقول: يا أهل مكة، لا [ل٤١١/أ]

---

(١) وهذا هو اختيار الفراء والزجاج. انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ١١٥)، معاني القرآن للزجاج(٣/ ٢٢٥)، وأورده الجصاص في أحكام القرآن (٥/ ٦١) معلقاً بصيغة الجزم، عن ابن عباس رضى الله عنهما من رواية سعيد بن جبير به، أخبار مكة للفاكهي (٢/ ١٠٦) تحقيق ابن دهيش، النكت والعيون للماوردي(٣/ ٢٢٥)، انظر تفسير الزمخشري (٣/ ١٥١)، وحكاه ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٢٩) عن ابن عباس رضى الله عنهما من رواية سعيد بن جبير به.

(٢) آية ٧ سورة التوبة.

(٣) سقطت (إن) من نسخة (ب).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (كتاب الحج/ باب: من كان يكره كراء بيوت مكة / ح١٤٦٧٩) قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد به، وأخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٣/ ٢١٧)، كراهية كراء بيوت مكة وإجارتها وبيع رباعها (ح٢٠٥٣) بسنده عن الأعمش بمثله، والأثر مرسل وهو ضعيف.

(٥) السوائب/ جمع سائبة و كان الرجل إذا نذر لقدوم من سفر، أو برء من مرض، أو غير ذلك قال ناقتي سائبة، فلا تمنع من ماء ولا مرعى، ولا تحلب، ولا تركب. وكان الرجل إذا أعتق عبدا فقال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث. وأصله من تسييب الدواب، وهو إرسالها تذهب وتجيء كيف شاءت. انظر النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٣١).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (كتاب الحج/ في بيع رباع مكة / ح١٤٦٩٣) قال: حدثنا عيسى بن يونس، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين، عن عثمان بن أبي سليمان، عن علقمة بن نضلة قال: «كانت رباع مكة في زمان رسول الله ﷺ، وزمان أبي بكر وعمر تسمى السوائب، من احتاج سكن، ومن استغنى أسكن»، وأخرجه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٣٧)، (كتاب المناسك/ باب أجر بيوت مكة/ ح٣١٠٧)، عن ابن أبي شيبه بمثله، قال: الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣/ ٤٥٠)، (كتاب الحج، باب توريث دور مكة) قال: " فيه انقطاع وإرسال".

تتخذوا لدوركم أبواباً؛ لكي ينزل البادي حيث يشاء[١].

ولهذا قال أبو حنيفة ~ : لا يجوز بيع العرصة[٢] ولا إجارتها وكره إجارة بيوتها في أيام المواسم وذلك أن النبي ﷺ لما افتتحها جعل الناس فيها شركاء سواء[٣]. وللإمام عندنا أن لا يقسم الأراضي التي افتتحها، إذا رأى المصلحة في ذلك، كما لم يقسم عمر ﷺ سواد الكوفة وأقر أهلها عليها.

وأما ما رواه الحسن ﷺ أن بيع دور مكة جائز[٤]، فمعناه: بيع البناء وإجارته، كمن بنى بيتاً في ملك غيره، فباع بناءه وقيل: إن المراد بالمسجد الحرام نفس المسجد[٥]، سواء المعتكف والمجاور فيه والباد الذي لا يكون ملازماً للمسجد في حرمته وحق الله تعالى فيه سواء فيه.

وفي قوله تعالى ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾.

دليل أن المراد بالمسجد الحرام كل الحرم[٦]؛ فإن الذنب في الحرم أعظم منه في غيره والإلحاد: هو الشرك بالله تعالى[٧] وقيل: كل ظالم فيه ملحد[١] وعن رسول

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٥/ ١٤٦) عن معمر، عن منصور، عن مجاهد به، وفيه إنقطاع فمجاهد لم يلق عمر ﷺ، ولكنه جاء من طريق أخر أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٣/ ٢١٨)، (كراهية كراء بيوت مكة وإجارتها / ح٢٠٥٦)، عن حسين بن حسن، وعن علي بن غراب جميعاً، عن عبيد الله بن عمر، بنحوه وهذا الطريق حسن فيرتقي بالذي قبله إلى الصحيح لغيره.

(٢) العرصة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء، والجمع العراص والعرصات. انظر : الصحاح (٣/ ١٠٤٤)، معجم مقاييس اللغة (٤/ ٢٦٧-٢٦٩)، مادة "عرص".

(٣) أحكام القرآن للجصاص(٥/ ٦١-٦٢).

(٤) انظر أحكام القرآن للجصاص(٥/ ٦٢).

(٥) روى عن الحسن وقتادة، كما في أحكام القرآن للجصاص(٣/ ١٩٥)، وزاد المسير لابن الجوزي(٣/ ٨).

(٦) سبق تخريجه (ص٢٢٩).

(٧) روى ذلك عن مجاهد وقتادة، تفسير عبدالرزاق(٢/ ٤٠٠)، تفسير الطبري(١٨/ ٦٠٠)، وذكره الثعلبي =

الله ﷺ أنه قال: « احتكار الطعام بمكة إلحاد »[٢] والإلحاد في اللغة: هو ما يكون ميلاً إلى الظلم[٣].

وأما دخول الباء في قوله تعالى ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ فعلى معنى: ومن أراد به فيه بأن يلحد ويظلم وهو مثل قول الشاعر:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثلُ لي ليلى بكل سبيل[٤]

= في تفسيره (٧/ ١٧) عنهما، وحكاه الجصاص في أحكام القرآن(٥/ ٦٣) عن الحسن به.

(١) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٢١)، وانظر أحكام القرآن للجصاص(٥/ ٦٣).

(٢) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه / المؤلف: أبو عبدالله محمد بن إسحاق الفاكهي (المتوفى: ٢٧٢هـ)-المحقق: د. عبدالملك عبدالله دهيش، الناشر: دار خضر - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ ه-(٣/ ٢٧) قال: حدثنا عبدالله بن إسحاق الجوهري، قال: ثنا أبو عاصم، عن جعفر بن يحيى، عن عمه، عمارة بن ثوبان قال: حدثني موسى بن باذان، قال: قلت ليعلى: إن عندك مالا، فأعطنيه نشتري لك به ودكا إذا رخص الودك، وطعاما إذا رخص الطعام قال: وتفعل ذلك يا ابن باذان؟ قال: نعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " احتكار الطعام بمكة إلحاد ". وإسناده ضعيف فيه موسى بن باذان، قال: فيه الحافظ في التقريب (ص٥٥٠) " مجهول ".

وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٠٢) عن حبيب بن أبي ثابت عند قوله تعالى ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ قال: هم المحتكرون الطعام بمكة، وأخرجه البخاري في تاريخه الكبير (٧/ ٢٥٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٨٤) عن يعلى بن أمية ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه، وأخرجه البخاري في تاريخه الكبير(٧/ ٢٥٥) عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: احتكار الطعام بمكة إلحاد بظلم، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٨٤) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: بيع الطعام بمكة إلحاد.

(٣) انظر تهذيب اللغة للأزهري(٤/ ٢٤٤)، تاج العروس(٩/ ١٣٥-١٣٦).

(٤) هذا البيت هو لكثير بن عبدالرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر: شاعر، متيم مشهور. من أهل المدينة وأكثر إقامته بمصر، والبيت من ديوانه (ص١٠٨)، الكامل للمبرد (٣/ ٧٣)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (١٠/ ٣٢٩).

والمعنى في أريد: إرادته لهذا[1].

وقوله تعالى: ﴿نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾.

خبر لما تقدم من الجملتين من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمحمد ﷺ ومن قوله تعالى ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ﴾[2]، ويُقرأ قوله تعالى: ﴿سَوَآءً﴾ بالرفع والنصب[3]، فمن نصب، فالمعنى: جعلناه سواء ومن رفع، فعلى معنى الابتداء والخبر[4].

قوله ﷻ: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦﴾.

معناه: واذكر إذ جعلنا البيت مبوأً لإبراهيم ﵇ وعلامةً وذلك أن البيت في أيام الطوفان كان رفع إلى السماء حين غرَّق الله تعالى الأرض وما عليها وكان من ياقوتة حمراء، فرفعت سحابة على عهد إبراهيم ﵇ بحيال موضع البيت، فعرف البيت، فبناه على أبنيته القديمة[5]، هكذا رُوي عن عبدالله بن

---

(١) حكى النحاس في معانيه (٤/ ٣٩٥) عن الأخفش أنه قال: " والباء زائدة والمعنى ومن يرد فيه إلحاد بظلم" .

قال: أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٥٠٠) بعد ذكره لقول من قال: إن الباء زائدة: (والأولى أن تضمن "يرد" معنى "يتلبس" فيتعدى بالباء)، وقال الحافظ ابن كثير (٥/ ٤١١) " والأجود أنه ضمن الفعل هاهنا معنى "يهم"، ولهذا عداه بالباء، فقال: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾ أي: يهم فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار.

وقوله: ﴿بِظُلۡمٖ﴾ أي: عامداً قاصداً أنه ظلم ليس بمتأول".

(٢) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٢٠) مع تصرف يسير.

(٣) قرأ حفص وحده (سَوَاءً) بالنصب، وقرأ الباقون (سواءٌ) بالرفع. انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/ ٣٢٦)، إتحاف فضلاء البشر (ص٣٩٨).

(٤) الحجة في القراءات السبعة لابن خالويه (ص٢٥٣)، معاني القراءات للأزهري(٢/ ١٧٩).

(٥) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٢٢).

عباس } [١].

وقال السدي ~ : كانت العلامة ريحاً هبت، فكشفت حول البيت[٢] والمبوأ في اللغة: هو البيت الذي يُرجع إليه من قولهم باء فلان إذا رجع ويُقال: بوأت فلاناً بيتاً، أي: أنزلته وبوأت لفلان بيتاً، أي: هيأت له بيتاً[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾.

معناه: قلنا له لا تشرك بي شيئاً في بناء البيت وفي العبادة وطهر بيتي، قيل معناه: طهره من ذبائح المشركين، مما كانوا يطرحون حوله من الدم والفرث[٤] وقيل: طهره من عبادة الأوثان ومن دخول المشركين فيه[٥].

وقوله تعالى: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾.

معناه: الذين يطوفون حوله وأما القائمون والركع السجود: فهم المصلون؛ لأن المصلي يجمع بين القيام والركوع والسجود[٦]، وقيل: أراد بالطائفين: الذين ينتابون من البلاد وأراد بالقائمين المقيمين حوله وأراد بالركع أهل الصلوات من جميع البلدان[٧].

---

(١) تنوير المقباس (ص٢٧٩) بأقل منه، وحكاه الثعلبي في تفسيره (١/ ٢٧٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه، وهو من رواية الكلبي "المتهم". وهو من الإسرائيليات.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٠٤) عنه ~ تعالى، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٨٦) عن السدي بأطول منه. وهو من الإسرائيليات.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٢٢).

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ١٧) وعزاه لابن عيسى بمثله.

والفرث: الروث والفضلات ما دامت في الكرش. انظر: العين (٨/ ٢٢٠)، تاج العروس (٥/ ٣٢١) مادة " فرث ".

(٥) روي عن قتادة كما في تفسير عبدالرزاق (٢/ ٤٠٣)، وتفسير الطبري(١٨/ ٦٠٤)، والنكت والعيون للماوردي (٤/ ١٧).

(٦) روي عن ابن زيد بمثله، كما في تفسير الطبري (١٨/ ٦٠٤).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٠٤) عن عطاء وابن زيد وقتادة بنحوه.

قوله ﷻ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾.

رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: وذلك أن إبراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء البيت، أمره الله تعالى أن ينادى في الناس بالحج، فصعد أبا قبيس[1] ونادى في الناس: ألا إن ربكم قد بنى بيتاً وأمركم أن تحجوه، فحجوه، فلبى معه كل حجر ومدر وكل مؤمن ومؤمنة في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات. قالوا: لبيك اللهم لبيك، فجعل الله تعالى التلبية شعاراً للحج، فكل من حج، فهو ممن أجاب إبراهيم عليه السلام[2].

وقال الحسن رضي الله عنه: قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ أمر لمحمد ﷺ وقد فعل ذلك في حجة الوداع، بأن أعلمهم بخروجه إلى الحج[3].

----

(١) أبو قبيس مصغراً: جبل مشرف بمكة، سمي برجل من مذحج، حداد؛ لأنه أول من بنى فيه، وكان أبو قبيس الجبل هذا يسمى الأمين؛ لأن الركن، أي: الحجر الأسود، كان مستودعاً فيه، كما ذكره أهل السير والتواريخ. ينظر: الصحاح للجوهري(٣/ ٩٦٠)، مختار الصحاح للرازي (ص٢٤٦)، تاج العروس (١٦/ ٣٥١) مادة " ق ب س ".

(٢) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٦٠٦)، الكشف والبيان للثعلبي (٧/ ١٨)، قال: الحافظ ابن كثير رحمة الله تعالى في تفسيره (٥/ ٤١٤) بعد أن أورد نحوه " هذا مضمون ما روي عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وغير واحد من السلف، والله أعلم".

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١٨) عن الحسن، وقال" وزعم الحسن"، والذي عليه جماهير السلف كابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم، وكذلك جماعة المفسرين هو القول الأول، وهو أن المأمور بالتأذين هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾.

معناه: يأتوك مشاة / على أرجلهم وعلى كل جمل مهزول أضمره السفر[1] [ل٤١١/ب] ورجال جمع راجل، نحو صاحبة وصحاب وقائم وقيام[2]، وعن عبدالله بن عباس { ، أنه قال: " ما ندمت على شيء فاتني، إلا أني لم أحج راجلاً، وقد حج الحسن بن علي { [3] خمساً وعشرين حجة ماشياً من المدينة إلى مكة وإن النجائب[4] لتقاد معه"[5].

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

أي: من كل طريق بعيد[6] من بلدان شتى، يُقال: بئر عميقة إذا كانت بعيدة

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٦٠٥).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٢٢)، الكشف والبيان للثعلبي(٧/ ١٨).

(٣) هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم. أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، يكنى أبا محمد. قال محمد بن عمر: ولد الحسن بن علي بن أبي طالب في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وتوفي سنة تسع وأربعين، وقال أبو بكر بن حفص: توفي الحسن بن علي بعد ما مضى من إمارة معاوية عشر سنين، وقد حفظ عن رسول الله وروى عنه أحاديث.

انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٢٥)، الطبقات لخليفة بن خياط (ص٤٠٣)، التاريخ الكبير للبخاري (٢/ ٢٨٦).

(٤) النجائب/ جمع نجيب وهو النجيب من البعير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين، قال الأزهري: هي عتاقها التي يسابق عليها. انظر: الصحاح للجوهري (ص٢٢٢) مادة " نجب "، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٧/ ٤٦٦)، مختار الصحاح للرازي (ص٣٠٤).

(٥) أخرجه البيهقي في سننه (كتاب الحج/ باب: الرجل يجد زاداً وراحلة فيحج ماشياً يحتسب فيه زيادة الأجر / ح٨٦٤٥) عن ابن عباس { بنحوه، وقال الحافظ ابن كثير رحمة الله تعالى في تفسيره (٥/ ٤١٤) " والذي عليه الأكثرون أن الحج راكبا أفضل؛ اقتداء برسول الله ﷺ، فإنه حج راكبا مع كمال قوته، عليه الصلاة والسلام ".

(٦) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٦٠٥)، تفسير ابن كثير (٥/ ٤١٤) وقال عقبه وهو قول " مجاهد، وعطاء، والسدي، وقتادة، ومقاتل بن حيان، والثوري، وغير واحد".

القرار وإنما قال: يأتين؛ لأنه في معنى الجمع[(١)] وقيل معناه: وعلى كل ناقة ضامر.

وقوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾.

أي: ليشهدوا ما ندبهم الله تعالى إليه مما لهم فيه نفع آخرتهم[(٢)]، ويدخل في ذلك منافع الدنيا من التجارة بيعا ورخصة[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾.

قال الحسن وقتادة ﴿ : الأيام المعلومات أيام العشر والمعدودات أيام التشريق[(٤)]، وإنما قيل لهذه المعدودات؛ لأنها قليلة وقيل لتلك معلومات؛ للحرص على علمنا بحسابها[(٥)] من أجل وقت الحج في آخرها[(٦)] وإلى هذا القول ذهب أبو حنيفة ~

----

(١) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٢٢)، معاني القرآن / المؤلف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)-المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى - (٤/ ٣٩٩)، انظر إعراب القرآن للنحاس(٣/ ٦٧).

(٢) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٢٣).

(٣) روى عن مجاهد، كما في تفسير عبدالرزاق(٣/ ٤٠٣)، وتفسير الطبري (١٨/ ٦٠٩)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٨٨)، عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه، قال الإمام ابن جرير الطبري رحمة الله تعالى في تفسيره (١٨/ ٦١٠) " وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بذلك: ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضي الله والتجارة، وذلك أن الله عم لهم منافع جميع ما يشهد له الموسم، ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة، ولم يخصص من ذلك شيئا من منافعهم بخبر ولا عقل، فذلك على العموم في المنافع التي وصفت ".

(٤) رواه عن قتادة عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤٠٥)، والطبري في تفسيره (١٨/ ٦١٠)، وحكاه عن الحسن وقتادة، الزمخشري في تفسيره (٣/ ١٥٣)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٣٣)، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٤١٥) وقال: " وعلقه البخاري عنه بصيغة الجزم به (٤). ويروى مثله عن أبي موسى الأشعري، ومجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، والضحاك، وعطاء الخراساني، وإبراهيم النخعي. وهو مذهب الشافعي، والمشهور عن أحمد بن حنبل"، وقال الثعلبي في تفسيره (٧/ ١٩) "وهو قول أكثر المفسرين".

(٥) في نسخة (ب): (بحسناتها) وهو تصحيف.

(٦) أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٦٧)، الكشف والبيان للثعلبي (٧/ ١٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٢٣٣).

وقال أبو يوسف: الأيام المعلومات أيام النحر وهي ثلاثة أيام والأيام المعدودات أيام التشريق وهي ثلاثة أيام بعد اليوم الأول من أيام النحر، فيكون اليوم الأول من أيام النحر من المعلومات دون المعدودات واليوم الآخر من أيام التشريق من المعدودات دون المعلومات ويومان في وسطها من المعدودات والمعلومات جميعاً[(١)].

وكان يستدل على هذا القول في الأيام المعلومات بهذه الآية، فإنه تعالى قال: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ فاقتضى أن المراد به: التسمية على ما يذبح من هدي المتعة والقران[(٢)].

وأما على قول أبي حنيفة ~ ، فالمراد بالذكر إكثار الذكر في أيام العشر[(٣)] كما رُوي عن ابن عمر { ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من أيام العمل الصالح أفضل فيهن من أيام[(٤)] العشر، فأكثروا فيها التحميد والتكبير والتهليل»[(٥)] وعلى هذا القول

---

(١) منقول بنصه من أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٦٧-٦٩).

(٢) انظر بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع / المؤلف: أبو بكر بن مسعود الكاساني (المتوفى: ٥٨٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ (٢/ ١٥٨)، معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٢٣).

(٣) أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٦٩).

(٤) في نسخة (ب) بزيادة (التشريق).

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده (٩/ ٣٢٣) برقم (٥٤٤٦) قال حدثنا عفان، حدثنا أبو عوانة، حدثنا يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: " ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه من العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل، والتكبير، والتحميد "، وفي إسناده ضعف وذلك لضعف يزيد بن أبي زياد وهو الهاشمي قال ابن حجر في التقريب (ص٦٠١) " ضعيف كبر فتغير وصار يتلقن وكان شيعياً ".

ولكن للحديث شواهد فقد أخرجه البيهقي في "الشعب" (٣٧٥٠) من طريق عفان بن مسلم بنحوه، وأخرجه عبد بن حميد (٨٠٧) عن عمرو بن عون، عن أبي عوانة بنحوه، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)-الناشر: السعادة، ١٣٩٤هـ-(٣/ ٢٦) من طريق محمد بن هارون بن مجمع، عن عمر بن يزيد، عن عبدالوهاب، عن يونس بن عبيد، عن نافع، عن ابن عمر بنحوه.

يكون معنى على ما رزقهم من بهيمة الأنعام لما رزقهم من بهيمة الأنعام، كما قال تعالى ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾[(١)] أي لما هداكم.

وأما قوله تعالى ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾.

قال الحسن ﷺ: وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا ذبحوا، لطخوا بالدم وجه الكعبة وشرَّحُوا اللحم ووضعوه على الحجارة حتى تأكله السباع والطير، وقالوا: لا يحل لنا أن نأكل شيئاً جعلناه لله تعالى، فلما جاء الإسلام، قال الناس: يا رسول الله ﷺ شيء كنا نصنعه في الجاهلية ألا نصنعه الآن، فإنما هو لله تعالى، فقال ﷺ: لا تفعلوا؛ فإن ذلك ليس لله تعالى، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير[(٢)]،[(٣)] والبائس في اللغة: هو الذي به ضر الجوع والفقير الذي لا شيء له[(٤)]، وقيل البائس: الذي يبين عليه أثر البؤس، بأن يمد يده إليك[(5)] وإنما خص الفقير البائس بذلك؛ لأنه أحوج إليه من غيره.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾.

رُوي عن ابن عباس { وابن عمر { : أن التفث المناسك كلها[(٦)] والمراد به

----

(١) آية (١٨٥)سورة البقرة.

(٢) أخرجه الجصاص في أحكام القرآن (٥/ ٧٠) عن الحسن بمثله، وروى عن مجاهد وعطاء نحو ذلك، كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٤١٧).

(٣) في نسخة (ب) بزيادة (قال الحسن رضى الله عنه) وهو خطأ.

(٤) معجم الفروق اللغوية للعسكري (ص٩٠)، تفسير الطبري(١٨/ ٦١١).

(٥) معاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٠٢)، ورواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦١٢) عن عكرمة ومجاهد بمثله.

(٦) رواه ابن أبي شيبه في مصنفه (٣/ ٤٢٩) عنه ﷺ بمثله، و الطبري في تفسيره (١٨/ ٦١٢) عن ابن عمر رضى الله عنهما بمثله.

وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٣٤) بمثله، وابن كثير في تفسيره (٥/ ٤١٧) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه.

هاهنا: رمي الجمار والحلق، ويُقال: قضى التفث في كلام العرب إزالة الشعث[(١)] وفي هذا دليل أن المراد بقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ دماء المتعة والقران؛ لأنه تعالى رتب عليه قضاء التفث والطواف بالبيت ولا دم تترتب عليه هذه الأفعال، إلا دم المتعة والقران، فدلت هذه الآية على جواز الأكل مما يذبح للمتعة والقران[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾.

قال ابن عباس { : أراد به جميع ما نذروا من النذر[(٣)]، وقال مجاهد ~ : أراد به كل نذر في الحج[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾.

أراد بالطواف: طواف الزيارة[(٥)]، بعد التعريف[(٦)] إما في يوم النحر وإما بعده والعتيق القديم؛ لأنه أول بيت وضع للناس[(٧)].

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (١٤/ ١٩٠) مادة " تفث "، ويقول الزجاج في معانيه (٤/ ٤٢٣) " وليس للتفث أصل في اللغة يستند إليه وإنما عرف ذلك من التفسير ".

ولعل المقصود بإزالة التفث في لغة العرب ما ذكره الرازي في تفسيره (٢٣/ ٢٢١-٢٢٢) عن المبرِّد " أنه إزالة الوسخ والقذارة من طول الشعر والأظفار والقلم والحلق من أعمال الحج، ثم سمى أعمال الحج كلها التفث " بتصرف يسير.

(٢) انظر: بدائع الصنائع (٢/ ١٤٦) وما بعده، وأحكام القرآن للجصاص(٥/ ٦٩-٧٤).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦١٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما من رواية علي بن أبي طلحة بلفظ " نحر ما نذروا من البدن "، وكذلك هو في زاد المسبر لابن الجوزي(٣/ ٢٣٤).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦١٤) عن مجاهد بمثله.

(٥) يُسمى طواف الزيارة؛ لأنه يزور البيت بعد الوقوف بعرفة، ويُسمى طواف الإفاضة؛ لأنه يكون بعد الإفاضة من عرفات. تفسير البسيط للواحدي(١٥/ ٣٧٣).

(٦) أي بعد الوقوف بعرفة.

(٧) أورده الزجاج في معانيه (٣/ ٤٢٤) عن الحسن بمثله، ورواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦١٥) عن ابن زيد =

ويُقال: أعتق من أيدي الجبابرة، لم يقصده جبار، إلا أذله الله تعالى[(١)].

وفي الآية دليل جواز الحلق واللبس قبل طواف الزيارة؛ لأن الواو لا توجب الترتيب[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

معناه: ذلك الأمر[(٣)] الذي أمرتم به ومن يعظم حرمات الله باجتناب ما حرم الله تعالى - تعظيماً لله تعالى- فهو خير له في الآخرة، ويُقال الحرمة: ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه[(٤)] وتعظيم الحرمة خير من ترك استعظامه ومن التهاون به.

[ل٤١٢/أ] وقوله تعالى /: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾.

معناه: رخَّصتُ لكم ذبيحة الأنعام، إلا ما يتلى عليكم في كتاب الله تعالى من الميتة والدم وغير ذلك مما بينه الله تعالى في سورة المائدة[(٥)]، ويجوز أن يكون المعنى: وأحلت لكم الأنعام في حال إحرامكم، إلا ما يتلى عليكم من الصيد؛ فإنه يحرم على

= بمثله.

(١) يشير المصنف بهذا إلى ما روي عن ابن الزبير أنه قال: قال رسول الله ﷺ " إنما سمى الله البيت العتيق؛ لأن الله أعتقه من الجبابرة، فلم يظهر عليه جبار قط "، رواه الترمذي في سننه (كتاب التفسير / سورة الحج/ ح٣١٧٠)، والطبري في تفسيره (١٨/ ٦١٤)، كلهم من طريق عبدالله بن صالح كاتب الليث، عن الليث، عن ابن خالد بن مسافر، عن الزهري، عن ابن الزبير، عن عبدالله بن الزبير به.

وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٩٦)، بعبدالله بن صالح كاتب الليث.

(٢) أحكام القرآن للجصاص(٥/ ٧٦).

(٣) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٢٤).

(٤) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٢٤).

(٥) في قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة المائدة: الآية ٣]

المحرم، فيكون هذا الاستثناء من غير الجنس[١].

وقوله تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾.

معناه: اجتنبوا تعظيم الأوثان وأن تذبحوا لها على ما يفعله المشركون، فسماها رجساً استقذاراً لها واستخفافاً بها[٢]، وذلك أن المشركين كانوا ينحرون عليها هداياهم ويصبون عليها الدماء وكانوا مع هذه النجاسات يعظمونها، ويجوز أن يكون سماها: رجساً، للزوم اجتنابها، كاجتناب الأنجاس وأما حرف ﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى ﴿مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ فهو: لتخليص جنس من الأجناس[٣] ويجوز أن يكون المعنى: من عبادة الأوثان.

وقوله تعالى: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾.

معناه: قول الكذب[٤] ومن أعظم وجوه الكذب الكفر بالله ﷻ والكذب على الله ﷻ ويدخل في ذلك شهادة الزور، كما رُوي عن رسول الله ﷺ أنه صلى صلاة الصبح، ثم قال « عدلت شهادة الزور الإشراك بالله تعالى» وتلا هذه الآية[٥].

وعنه ﷺ أنه قال: « شاهد الزور لا تزول قدماه عن مكانها حتى تجب له النار »[٦]

---

(١) لم أقف على من ذكره.

(٢) أورده الأزهري في تهذيب اللغة (١٠/ ٣٠٦-٣٠٧) بنحوه.

(٣) فيكون المعنى: فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن . معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٢٥).

(٤) أورده الأزهري في تهذيب اللغة (١٣/ ١٦٣) بمثله.

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣١/ ١٩٤) برقم (١٨٨٩٨)، وأبو داود في سننه (كتاب القضاء / باب: في شهادة الزور / ح٣٥٩٩)، وابن ماجه في سننه (كتاب الأحكام / باب: شهادة الزور / ح٢٣٧٢)، كلهم من طريق سفيان بن زياد العصفري، عن أبيه، عن حبيب بن النعمان، عن خزيم بن فاتك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ " صلى الصبح فلما انصرف قام قائماً فقال:...... الحديث ". وفيه زياد العصفري وهو مجهول، انظر تهذيب التهذيب (٣/ ٣٩٠).

(٦) سبق تخريجه (ص٥٤).

وقوله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ﴾.

نصب على الحال، معناه: مخلصين لله تعالى مستقيمين على أمر الله تعالى، غير مشركين به في تلبية ولا حج[1].

وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك[2]، ثم عظّم تعالى أمر الشرك في البعد عن الحق، فقال عز من قائل: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾ فتخطفه الطير في الهواء، فتمزقه أو تذهب به الريح في موضع مرتفع إلى منحدر، فيقع على رأسه، فيهلك، أي: كما أن الذي يسقط من السماء لا يملك لنفسه نفعا ولا دفع ضر وكذلك الذي تهوي به الريح في مكان بعيد، فكذا المشرك، لا ينتفع بشيء من أعماله ولا يقدر على شيء منها[3].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾.

معناه: ذلك التباعد والهلاك لمن أشرك بالله ومن لم يعظم مناسك الله تعالى، ويقال: أراد بالشعائر البدن، فمن استعظمها باستسمانها واستحسانها[4]، فإنها من صفاوة القلوب وأضاف التقوى إلى القلب؛ لأن بدء التقوى من القلب[5].

---

(١) أورده الماوردي في تفسيره (٤/ ٢٣) عن الكلبي بمثله.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٩١) عن مقاتل بن حيان بمثله.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٢٥)، مجمع البيان (٧/ ١٥٠).

(٤) رواه ابن أبي شيبه في مصنفه (٣/ ٢٧٥)، والطبري في تفسيره (١٨/ ٦٢١) عن ابن عباس رضى الله عنهما، ومجاهد بمثله.

(٥) ويشهد لهذا قوله عليه الصلاة والسلام " التقوى ها هنا " وأشار إلى صدره، رواه الإمام أحمد في مسنده (١٣/ ١٥٩) برقم (٧٧٢٧)، ومسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة/ باب: تحريم ظلم المسلم/ ح٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ولا شك أن أثر التقوى في القلب يظهر على الجوارح.

قوله ﷻ: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

معناه: لكم في هذه الأنعام منافع، قبل أن تشعروها وتسموها هدياً إلى أن تقلدوها وتسموها هدياً، يُقال: أراد بالمنافع الثواب بذبح الهدايا إلى يوم القيامة(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة، فقال له « ويحك اركبها » فقال: إنها بدنة فقال: « ويحك اركبها »(٢)، وهذا عندنا محمول على أنه ﷺ إنما أباحها لضرورة علمها من الرجل إليها وأذن له في ذلك إلى أن يجد ظهراً غيرها يدل على ذلك أنه لا يجوز أن يؤجرها للركوب(٣).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾.

أراد به: أن منحرها إلى الحرم وعبر عن الحرم بالبيت؛ لأن حرمة الحرم متعلقة بالبيت(٤)، كما قال ﷻ ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾(٥) ومن المعلوم أنه لا يذبح عند البيت.

وقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾.

أي: عبادة في الذبح ويُقال: متعبداً يعبدون الله تعالى فيه(٦)، ويُقال: عيداً؛

---

(١) أورده الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٢) بقوله " قال بعضهم ".

(٢) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الحج / باب: ركوب البدن / ح١٦٨٩)، ورواه مسلم في صحيحه (كتاب الحج/ باب: جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها / ح١٣٢٢) من حديث أبي هريرة ﷺ بنحوه.

(٣) بدائع الصنائع (٢/ ٢٢٥)، أحكام القرآن للجصاص(٥/ ٧٨-٧٩).

(٤) انظر تفسير الطبري(١٨/ ٥٢٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٧/ ٢٢).

(٥) جزء من الآية (٩٥) سورة المائدة.

(٦) معاني القرآن للزجاج (١/ ٢٠٩)، وأورده الأزهري في تهذيب اللغة (٤/ ٣٥٦٢) مادة " نسك " بنحوه.

ليذكروا اسم الله على بهيمة الأنعام عند الذبح[١].

وقوله تعالى: ﴿مَنسَكًا﴾.

يُقرأ بفتح السين وكسرها[٢]، فمن فتحها أخذه من نسك ينسُك، مثل دخل يدخل ويستوي فيه المكان والمصدر ومن كسرها، جعله مكاناً من نَسَكَ يَنْسِك مثل جَلَسَ يَجْلِس[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾.

أي: أخلصوا دينكم وأعمالكم لله وبشر المتواضعين[٤] بالجنة.

واشتقاق المخبت[٥] من الخبت وهو المكان المطمئن[٦].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

نعت المخبتين الذين يخافون الله على أعمالهم، ألا تقبل منهم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾.

معناه: وبشر الصابرين على ما أصابهم من البلايا والشدائد وبشر المقيمين الصلاة والذين مما أعطيناهم من الأموال يتصدقون ويجوز والمقيمين الصلاة، / إلا أنه [ل٤١٢/ب]

-----

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٢٥) عن الكلبي بمثله.

(٢) قرأ حمزة والكسائي بكسر السين، والباقون بفتحها. السبعة لابن مجاهد (ص٤٣٦)، التيسير لأبي عمرو الداني (ص١٥٧).

(٣) معاني القراءات للأزهري (٢/ ١٨١)، حجة القراءات لابن زنجلة (ص٤٧٧).

(٤) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤٠٦)، والطبري في تفسيره (١٨/ ٦٢٨) عن قتادة بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٢) عن ابن عباس { ، وقتادة بمثله.

(٥) في نسخة (ب): (المخبتين).

(٦) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٢٧).

خلاف المصحف وحذفت النون لطول الاسم[١] وإذا سقطت النون، أشبه المضاف، ويُقرأ بنصب الصلاة[٢]، وهو الأصل على نية النون ويُستشهد بهذا البيت خفضاً ونصباً:

الحافظو عورة العشيرة لا يأتيهم من ورائهم وكف[٣]

قوله ﷻ: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

معناه: أن الإبل جعلناها لكم من مناسك الحج وأعلام متعبدات إلى الله تعالى بما في سوقها من البيت وتقليدها بما يُعلم أنها هدي ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ ﴾ في الدنيا وثواب في الآخرة ويقال: أراد بالبدن الإبل والبقر[٤] والبدن جمع البدنة، يُقال: بُدْن وبُدُن، كما يُقال: ثُمْر وثُمُر وتسمى بدنة؛ لأنها تبدّن، أي: تسمن والبدانة الضخامة، يُقال: بدّنْت الناقةَ إذا سمّنْتها[٥].

---

(١) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٢٧).

(٢) هذه قراءة ابن أبي إسحاق، ورويت عن أبي عمرو. المحتسب لابن جني (٢/ ٨٠).

(٣) البيت في ديوان قيس (ص١١٥)، وخزانة الأدب (٤/ ٢٧٢-٢٧٦)، وفيه: " من ورائنا نطف " وفيه " من ورائنا وكف " منسوباً لعمرو بن امرئ القيس، وفي الكتاب لسيبويه (١/ ١٨٥-١٨٦) أنشد البيت ونسبه لرجل من الأنصار وفيه " والحافظو من ورائنا نطف "، وفي لسان العرب (٩/ ٣٦٣) " وكف " منسوباً لعمرو بن امرئ القيس أو قيس بن الخطيم.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٣٠) عن عطاء بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٢) عن عطاء والسدي بمثله.

(٥) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٢٨).

وقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾.

معناه: عند النحر والصواف جمع الصافة وهي: القائمة على ثلاث قوائم قد عُقلت[(١)]، كذلك للنحر[(٢)] وكذا السنة في الإبل، فإن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا ينحرون الإبل معقولة الأيدي اليسرى.

قال الحسن رضي الله عنه في معنى هذه الآية: انحروها خوالص من العيوب، ويقرأ صوافي[(٣)] بالياء وفتحها ومعناه: خوالص لله تعالى، لا يذكر عليها مع اسم الله تعالى غيره[(٤)].

ويُقرأ[(٥)] صوافن[(٦)] من قولهم صفن الفرس، إذا قام على ثلاث قوائم وفي التنزيل ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا﴾.

عبارة عن خروج الروح منها، يُقال للباركة إذا ماتت وانقلبت على جنبها:

---

(١) في نسخة (ب): (عُلفت) وهو تصحيف.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٣٢) عن ابن عباس { ومجاهد بنحوه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٣) عن مجاهد بمثله.

(٣) وهي الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم وسليمان التيمي، ورويت عن الأعرج. انظر: تفسير الطبري(١٨/ ٦٣١)، و المحتسب لابن جني(٢/ ٨١)، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان(٧/ ٥٠٩).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٣٣) عن الحسن بأقل منه، ورواه ابن كثير في تفسيره (٥/ ٤٢٨) عن الحسن وطاووس بنحوه.

(٥) في هامش نسخة الأصل كُتِبَ بخط الناسخ (وهي قراءة ابن مسعود والتي قبلها قراءة الحسن من عين المعاني).

(٦) وهي قراءة ابن مسعود وابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم وأبي جعفر، وعطاء بن أبي رباح والضحاك والكلبي. انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٣١)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٨١).

(٧) آية (٣١) سورة ص.

سقطت لجنبها ولا يجوز الأكل من البدن، إلا بعد خروج الروح منها؛ لأن ما أبين من الحي فهو ميت وأصل الوجوب الوقوع ومنه وجبت الشمس، إذا وقعت في المغيب ووجب الحائط، إذا وقع وكذلك البيع ووجب القلب، إذا وقع فيه فزع[(١)].

وقوله تعالى ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾

قيل: إن القانع هو الذي يقنع بما أعطي أو بما عنده ولا يسأل[(٢)].

والمعتر: هو الذي يتعرض لك؛ لتطعمه من اللحم، يُقال: قنع يقنع قناعة إذا رضي، فهو قنع وعراه واعتراه إذا سأله ويُقال: القانع: هو الذي يسأل[(٣)] والمعتر الذي يتعرض ولا يسأل.

والقنوع في اللغة: هو السؤال، يُقال: قنع الرجل يقنع، إذا سأل[(٤)]، مثل ذهب يذهب، فهو قانع وأنشدوا للشماخ[(٥)]:

لمال المرء يصلحه فيغني ... مفاقره أعف من القنوع[(٦)]

-----

(١) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٢٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (١١/ ١٥١-١٥٢)، ولسان العرب (١/ ٧٩٤) مادة " وجب ".

(٢) أورده الأزهري في تهذيب اللغة (١/ ١٧٢) مادة " قنع " بنحوه، وأورده الجوهري في الصحاح (٣/ ١٢٧٣) بنحوه.

(٣) أورده الأزهري في تهذيب اللغة (١/ ٢٥٩) مادة " قنع " عن أبي زيد النحوي بنحوه، وذكر الزجاج الوجهين في معانيه (٣/ ٤٢٨).

(٤) قاله الفيروز آبادي في القاموس (ص٧٥٦-٧٥٧).

(٥) الشماخ / هو " الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبيانيّ الغطفانيّ: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. وهو من طبقة لبيد والنابغة. كان شديد متون الشعر، ولبيد أسهل منه منطقا. وكان أرجز الناس على البديهة. وتوفي في غزوة موقان. وأخباره كثيرة. قال البغدادي وآخرون: اسمه معقل بن ضرار، والشماخ لقبه ". الأعلام للزركلي(٣/ ١٧٥).

(٦) البيت في ديوانه (ص٥٦) يغني: من الأغناء. والمفاقر: وجوه الفقر. وأعف: من العفة. والقنوع: السؤال. =

أي: من السؤال والقول الأول قول ابن عباس[1] { وقتادة[2] والثاني قول الحسن[3] وسعيد بن جبير[4] { ويُقرأ والمعتري بالياء[5] من قولهم اعتراه، إذا غشيه لحاجته وقال مجاهد رضي الله عنه: القانع جارك الغني والمعتر الذي يعتريك من الناس، أي: يسألك[6] وعلى هذا تقتضي الآية أن المستحب أن يتصدق بالثلث؛ لأن في الآية أمراً بالأكل وإعطاء الغني وإعطاء الفقير السائل.

وقد رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال في لحوم الأضاحي « كلوا وادخروا »[7].

= يعني أن إصلاح المرء مالاً يستغني به أعف له من مسئلة الناس. معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٢٨)، تفسير الطبري (١٨/ ٦٣٨).

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٣٦) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضاً بنحوه.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٣٧) عن قتادة بنحوه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٣) عن قتادة أيضاً بنحوه.

(٣) رواه ابن أبي شيبه في مصنفه (٣/ ٤٢٢) عن الحسن بنحوه، ورواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٣٧-٦٣٨) عن الحسن أيضاً بمثله.

(٤) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤٠٧) عن سعيد بن جبير بنحوه، وراوه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٣٨) عن سعيد بن جبير بأقل منه.

(٥) هي قراءة أبي رجاء وعمرو بن عبيد والحسن، وروى عن أبي رجاء " والمعتر " بتخفيف الراء. المحتسب لابن جني (٢/ ٨٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٢٣)، البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٥١٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٨/ ٢٨٠).

(٦) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٣٩) عن مجاهد بمثله.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الأضاحي / باب: ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها / ح٥٥٦٩) عن سلمة بن الأكوع بأطول منه، وأخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان / باب: بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام، وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء / ح١٩٧١) عن عبدالله بن واقد بأطول منه، وجاء في الصحيح في غير هذين الموضعين بألفاظ متعددة.

وقال تعالى ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾[(١)] وإذا جمعت بين الآية والخبر حصل الثلث للصدقة[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾.

أي: كذلك ذللناها لكم؛ لنصرف العباد فيما يريدون منها بخلاف السباع الممتنعة؛ لكي تشكروا نعم الله تعالى[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا﴾.

معناه: لن يبلغ رضى الله لحومها ولا دماؤها ولكن يبلغه التقوى منكم، فإنهم كانوا يلطخون البيت بدماء الإبل التي كانوا يذبحونها للأصنام، فنهاهم الله تعالى عن ذلك[(٤)] ويُقال: إنما لا يتقبل الله تعالى الدماء واللحوم؛ لأنها فعل الله تعالى ولكن يتقبل الله التقوى التي هي فعل العبد، فيوجب الثواب عليها.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾.

أي: كذلك ذللها لكم؛ لتعظموا الله على ما هداكم لدينه وبشر الموحدين المخلصين بالجنة[(٥)].

قوله ﷻ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾.

معناه: إذا فعلتم ما أمرتم به وخالفتم فعل الجاهلية في نحرهم وإشراكهم بالله

---

(١) آية (٢٨) سورة الحج.

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٣١٩).

(٣) انظر تنوير المقباس (ص٢٨٠).

(٤) تنوير المقباس (ص٢٨٠)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٢٩)، وذكر ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٣٩) نحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما.

(٥) انظر تنوير المقباس (ص٢٨٠).

تعالى، فإن الله تعالى يدفع عن حزبه[1]. إن الله لا يحب كل مظهر للنصيحة مضمر للغش والنفاق كافر بالله تعالى وبنعمته.

قوله ﷻ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ / [ل٤١٣/أ] لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾: إن هذه الآية أول آية نزلت في الإذن بالقتال[2] أذن الله تعالى للمؤمنين المهاجرين أن يقاتلوا كفار مكة بسبب ما ظلموا، بأن أخرجوا من مكة[3].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ وعد لهم بالنصر[4].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ﴾ بدل من الذين يقاتلون[5] أخرجهم أهل مكة من منازلهم، بلا جرم منهم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ معناه: لم يخرجوهم، إلا بأن كانوا يوحدون الله تعالى، فأخرجوهم لتوحيدهم[6].

----

(١) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٢٩).

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤٠٨) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله، ورواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٤٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضاً بمثله.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٤٥) عن مجاهد بمثله.

(٤) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٣٠) بنحوه.

(٥) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٣٠)، تفسير البحر المحيط لأبي حيان(٧/ ٥١٥).

(٦) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢٧)، معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٣٠).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ لهدم في زمن كل نبي ما بُني للصلاة والعبادة نحو الكنائس التي كان يُصلي فيها في شريعة موسى عليه السلام وهي الصلوات المذكورة التي في هذه الآية، كانت اليهود يسمونها بالعبرانية: صلوتا[(١)]، ونحو البيع التي كانوا يصلون فيها في زمن عيسى عليه السلام والمساجد التي كان يصلي فيها المسلمون في زمن نبينا محمد ﷺ[(٢)] وأما الصوامع فهي صوامع الرهبانيين[(٣)] وهذا خبر عن هؤلاء الفِرَق قبل أن يغيروا دينهم ويحرفوا تأويلهم وقيل: أراد بالصلوات الصلوات المعهودة التي للمسلمين وهدمها أيضا إبطالها وإهلاك من يفعلها، كما يُقال: هدم فلان إحسان فلان، إذا قابله بالكفر دون الشكر[(٤)] والأولى أن يستدل بهذه الآية على أن هذه المواضع المذكورة التي يجري فيها ذكر اسم الله تعالى لا يجوز أن تهدم في شريعة نبينا محمد ﷺ على كل من له ذمة أو عهد من الكفار، فأما في دار الحرب، فيجوز هدمها[(٥)] للمسلمين، إذا فتحت دارهم عنوة[(٦)] ولم يقروا عليها بالجزية، كما يجوز هدم سائر دورهم[(٧)] وعن الحسن رضي الله عنه أنه كان يقول في هذه الآية: إن الله يدفع عن هدم مصليات أهل الذمة بالمؤمنين[(٨)].

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٦) عن ابن عباس رضى الله عنهما، وقتادة والضحاك بنحوه.

(٢) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٣١).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٤٧) عن مجاهد وابن زيد بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٥) عن مجاهد والضحاك بمثله.

(٤) ذكره الأخفش في معانى القرآن / المؤلف: أبو الحسن المجاشعي، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ)-تحقيق: الدكتورة هدى قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - (٢/ ٤٥١) بنحوه.

(٥) في نسخة (ب): (عدمها) وهو تصحيف.

(٦) عنوة: أي قسراً وقهراً. يُقال فتحت هذه البلدة عنوة أي فتحت بالقتال قوتل أهلها حتى غلبوا عليها. انظر: تهذيب اللغة (٣/ ١٣٤)، لسان العرب (١٥/ ١٠١).

(٧) أحكام القرآن للجصاص(٣/ ٣٢٠).

(٨) أورده الجصاص في أحكام القرآن (٣/ ٣٢٠) عن الحسن بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٦) عن الحسن بمثله.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾

معناه: لينصرن الله تعالى من ينصر دينه. إن الله لقوي على أخذ الأعداء عزيز منيع بالنقمة منهم[١].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾

نعت للذين ينصرون[٢] دين الله تعالى[٣]، أي: هم الذين إن مكنهم الله في الأرض، لم يعملوا ما عمله من قبلهم ولكن أقاموا الصلاة المكتوبة وآتوا الزكاة المفروضة وأمروا بالحق ونهوا عن الباطل وإنما وصف الله الحق بأنه معروف والباطل بأنه منكر؛ لأن الحق يعرف بصحته والباطل لا صحة له.

وقوله تعالى ﴿: وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾

معناه: أنه يبطل كل ملك سوى ملكه. وفي هذه الآية دلالة واضحة على صحة إمامة الخلفاء الأربعة الراشدين، بإخبار الله تعالى أنهم إن مكنوا أقاموا مفروض الله تعالى عليهم وقد مكنوا في الأرض، فوجب أن يكونوا أئمة قائمين بأمر الله تعالى، منتهين عن زواجره ونواهيه، ومعنى التمكين: هو التمكين من إنفاذ الأمر والنهي ولا يدخل معاوية في جملة هؤلاء؛ لأنه تعالى إنما وصف المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق بهذه الصفة وكان معاوية من الطلقاء[٤] دون المهاجرين[٥] وبالله التوفيق.

---

(١) انظر تفسير مقاتل(٣/ ١٣٠).

(٢) سقطت من نسخة (ب): (ينصرون).

(٣) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٣١).

(٤) سبق تخريجه (ص٦٨).

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله– في منهاج السنة النبوية (٤/ ٣٨١) –في فصل طعن الرافضي على معاوية ﷺ–: " قال الرافضي (إنه الطليق) فهذا ليس نعت ذم فإن الطلقاء هم مسلمة الفتح الذين أسلموا عام فتح مكة وأطلقهم النبي ﷺ وكانوا نحواً من ألفي رجل وفيهم من صار من خيار المسلمين كالحارث بن هشام وسهل بن عمرو وصفوان بن أمية..... إلى أن قال: ومعاوية ممن حسن إسلامه باتفاق أهل ⇐=

قولهﷻ: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾

في الآية تسلية للنبي ﷺ والمعنى وإن يكذبوك قومك، فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد هوداً وثمود صالحاً وقوم إبراهيم وقوم لوط لوطاً وأصحاب مدين شعيباً وقوم فرعون موسى، فأمهلت للكافرين، ثم أخذتهم بالعقوبة[1]، فكيف كان إنكاري عليهم! حتى بادوا وخرَّبتُ قراهم، فأبدلتهم بالنعمة نقمة وبالكثرة قلة وبالحياة هلاكاً[2]. كم من قرية أهلكتها بالعذاب بظلمهم، فهي ساقطة على سقوفها وذلك أن السقف يقع قبل الحيطان، ثم تقع الحيطان عليه، يُقال: خوت الدار خواء ممدود، فهي

= العلم ولهذا ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه موضع أخيه يزيد بن أبي سفيان لما مات أخوه يزيد بالشام وكان يزيد بن أبي سفيان من خيار الناس وكان أحد الأمراء الذين بعثهم أبو بكر وعمر لفتح الشام يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل ابن حسنة وعمرو بن العاص مع أبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد، فلما توفي يزيد بن أبي سفيان ولى عمر مكانه أخاه معاوية وعمر لم يكن تأخذه في الله لومة لائم وليس هو ممن يحابى في الولاية ولا كان ممن يحب أبا سفيان أباه بل كان من أعظم الناس عداوة لأبيه أبي سفيان قبل الإسلام حتى أنه لما جاء به العباس يوم فتح مكة كان عمر حريصاً على قتله حتى جرى بينه وبين العباس نوع من المخاشنة بسبب بغض عمر لأبي سفيان فتولية عمر لابنه معاوية ليس لها سبب دنيوي ولولا استحقاقه للإمارة لما أمره، ثم إنه بقى في الشام عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة ورعيته من أشد الناس محبة له وموافقة له وهو من أعظم الناس إحساناً إليهم وتأليفا لقلوبهم حتى أنهم قاتلوا معه على بن أبي طالب وصابروا عسكره حتى قاوموهم وغلبوهم وعلى أفضل منه وأعلى درجة وهو أولى بالحق منه باتفاق الناس وعسكر معاوية يعلمون أن علياً أفضل منه وأحق بالأمر ولا ينكر ذلك منهم إلا معاند أو من أعمى الهوى قلبه ".

(١) انظر تفسير الطبري(١٨/ ٦٥٢)، وتفسير الثعلبي(٧/ ٢٦).

(٢) تفسير الطبري(١٨/ ٦٥٢).

خاوية وخوى جوف الإنسان من الطعام خوى مقصور، فهو خوٍ[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ﴾ معناه: وكم من بئر عطلها أربابها وكم من قصر مجصَّص عطلوه[(٢)] والتعطيل: إبطال العمل بالشيء والشيد الجص والنورة[(٣)] وكل ما بُنِيَ بهما أو بأحدهما، فهو مشيد[(٤)] ويجوز أن يكون / معنى المشيّد: الرفيع[(٥)]، يُقال: شاد البناء وأشاده إذا رفعه وشاده إذا طلاه بالشيد. [ل٤١٣/ب]

قوله ﷻ: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾

معناه: أفلم يسر هؤلاء المكذبون؛ لينظروا آثار المشركين المهلكين، فيعقلوا بقلوبهم ويسمعوا بآذانهم؟

وقوله تعالى فتكون جواب الجحد أو هو منصوب على الصرف؛ لأن تقديره قد ساروا في الأرض فلم يكن لهم قلوب فلما صرف قوله تعالى فلم تكن لهم إلى قوله تعالى؛ فتكون لهم نصبا على الصرف[(٦)] والهاء في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا﴾ هاء عماداً[(٧)] وهو

---

(١) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٣٢)، وأورده النحاس في معانيه (٤/ ٤٢٠) بنحوه، وانظر تفسير الطبري (١٨/ ٦٥٢).

(٢) مجمع البيان (٧/ ١٥٩).

(٣) النُورة بالضم / الهناءُ، وهو الحجر يُحرق ويسوّى منه الكلس. تاج العروس للزبيدي (١٤/ ٣٠٧) مادة " نور ".

(٤) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٣٢).

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٦) عن قتادة والضحاك ومقاتل بمثله.

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢٨)، المجتبى من مشكل إعراب القرآن / المؤلف: أ. د. أحمد بن محمد الخراط، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-(٢/ ٧٥٣).

(٧) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢٨)، تفسير الطبري(١٨/ ٦٥٨).

إضمار على شرطه التفسير[١]. المعنى: فإن الأبصار لا تعمى، أي: يرون بأبصارهم ولكن تعمى قلوبهم التي في الصدور بذهابها عن إدراك الحق بما يؤدي إليه الدليل وفي الآية دليل أن العقل في القلب، بخلاف ما قاله الفلاسفة والأطباء: أن محل العقل الدماغ؛ لأن العقل لو لم يكن في القلب، لم يوصف القلب بأن يعمى، كما لا يوصف بذلك اليد والرجل[٢].

وأما إضافة القلب إلى المصدر فعلى وجه التأكيد[٣]، كما في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾[٤] ويجوز أن يكون لنفي اللبس؛ لأن فيه اشتراكاً لقلب النَّخلة

----

(١) ذكرناه سابقاً عند الآية (٩٧) من سورة الأنبياء.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله – في مجموع الفتاوى (٩/ ٣٠٣-٣٠٤):

" وأما قوله: أين مسكن العقل فيه؟ فالعقل قائم بنفس الإنسان التي تعقل وأما من البدن فهو متعلق بقلبه، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ وقيل لابن عباس: بماذا نلت العلم: قال: " بلسان سئول وقلب عقول " لكن لفظ " القلب " قد يراد به المضغة الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من البدن التي جوفها علقة سوداء كما في الصحيحين عن النبي ﷺ ((إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد)). وقد يراد بالقلب باطن الإنسان مطلقاً؛ فإن قلب الشيء باطنه كقلب الحنطة واللوزة والجوزة ونحو ذلك ومنه سمي القليب قليبا؛ لأنه أخرج قلبه وهو باطنه وعلى هذا فإذا أريد بالقلب هذا فالعقل متعلق بدماغه أيضا ولهذا قيل: إن العقل في الدماغ. كما يقوله كثير من الأطباء ونقل ذلك عن الإمام أحمد ويقول طائفة من أصحابه: إن أصل العقل في القلب فإذا كمل انتهى إلى الدماغ. والتحقيق أن الروح التي هي النفس لها تعلق بهذا وهذا وما يتصف من العقل به يتعلق بهذا وهذا لكن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ ومبدأ الإرادة في القلب. والعقل يراد به العلم ويراد به العمل فالعلم والعمل الاختياري أصله الإرادة وأصل الإرادة في القلب والمريد لا يكون مريداً إلا بعد تصور المراد، فلا بد أن يكون القلب متصوراً، فيكون منه هذا وهذا ويبتدئ ذلك من الدماغ وآثاره صاعدة إلى الدماغ، فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء وكلا القولين له وجه صحيح. وهذا مقدار ما وسعته هذه الأوراق والله أعلم ".

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢٨)، معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٣٢).

(٤) آية (١٦٧) سورة آل عمران.

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم﴾[1] بأن القول قد يكون بغير الفم بالإشارة.

قوله ﷻ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨)﴾

معناه: أنهم يستعجلونك يا محمد ﷺ، كما قالوا: فأسقط علينا كسفاً، وقالوا: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ ولن يخلف الله وعده. لن يؤخر العذاب عن الأجل الذي وقته لنزول العذاب وذكر الوعد؛ لأنه أعم للوعد والوعيد[2].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾

معناه: وإن يوماً من أيام العذاب في الثقل والاستطالة، كألف سنة مما تعدون[3]، فكيف تستعجلون بالعذاب؟ لولا أنهم جهال وهذا كقولهم أيام الهموم طوال وأيام السرور قصار[4]، ويُقال معناه: وإن يوماً عند الله تعالى وألف سنة في قدرته واحد، فليس تأخير العذاب عنهم، إلا تفضلاً من الله تعالى عليهم[5].

وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨)﴾ إلى آخر الآية ظاهر المراد.

----

(١) آية (١٦٧) سورة آل عمران.

(٢) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٦٥٨).

(٣) أورده الأخفش في معانيه (٢/ ٤٥٢) بنحوه.

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٨) وعزاه لأهل المعاني.

(٥) أورده الزجاج في معانيه (٣/ ٤٣٣) بنحوه.

قوله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾

معناه: قل لهم: يا أهل مكة، إنما أنا لكم رسول مخوف بالنار لمن عصى الله تعالى، مفقه بلغة لكم تعرفونها، فالذين صدقوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم في الدنيا وثواب حسن في الجنة والذين أسرعوا في تكذيب آياتنا وإبطال الدين، مغالبين لله تعالى، أولئك أصحاب الجحيم[1] والمعاجزة هي: المسابقة إلى الفوت، يُقال: عجزني وأعجزني، أي: فاتني[2] وقال قتادة ؓ: ظنوا أنهم يعجزون الله تعالى ولن يعجزوه[3].

قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾

ورُوي عن عبدالله بن عباس[4] ؓ وسعيد بن جبير[5] والضحاك[6] وغيرهم[7]، أنهم قالوا: إن الشيطان أتى رسول الله ﷺ في صورة جبريل ؑ وهو

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٩) بمثله من غير نسبه.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري(١/ ٢١٩)، وانظر مختار الصحاح للرازي (ص٢٠٠).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٦١)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٩) كلاهما عن قتادة بمثله.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٦٦) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه.

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٦٦) عن سعيد بن جبير بأقل منه، وأخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٠) عن سعيد بن جبير بنحوه. [ل٤١٤/أ]

(٦) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٦٦) عن الضحاك بنحوه.

(٧) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٦٣-٦٦٤) عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس وأبي العالية ⇐=

قائم في الصلاة عند الكعبة، يقرأ سورة النجم، حتى إذا انتهى إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى، فلما سمعها المشركون أعجبهم ذلك، فلما انتهى إلى آخر السورة، سجد وسجد معه المسلمون و المشركون إلا الوليد بن المغيرة، فإنه لم يقدر على السجود؛ لكبره، فقال: ائتوني بكف من تراب، فأتوا به، فوضعه على كفه، ثم سجد على كفه، فلما نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ/ ذكر له رسول الله ﷺ، فقال: ما جئتك بهذا وما أنزل الله تعالى هذا عليك قط، فقال: أتاني شيء في مثل صورتك، فألقاه عليَّ فأنزل[1] الله تعالى قوله ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ الآية وهذا حديث أنكر أهل العلم إجراءه على ظاهره[2] وقالوا: كيف يجوز أن يجعل

= بنحوه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٠١-٢٥٠٢) عن أبي العالية وقتادة والسدي بنحوه.

(١) أسباب النزول للواحدي (ص٥٠٤-٥٠٦)

(٢) بل هذا الحديث وهذه القصة موضوعةٌ مكذوبةٌ لا تصح، وقد جزم بوضعها وعدم صحتها أكابر العلماء، ومن العلماء الذين حكموا بالوضع على هذه القصة المكذوبة:

ابن العربي في أحكام القرآن(٣/ ٣٠٥-٣٠٧)، والقرطبي في تفسيره (١٢/ ٨٠-٨٤)، والعيني في عمدة القاري (٧/ ٩٩-١٠١)، وأبو شهبة في الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير(ص٣١٤-٣٢٣)، ولمن أراد مزيد إطلاع فلينظر بحثا قيما للعلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق) فقد سرد جميع الروايات وبين ضعفها وسرد أقوال المحدثين والعلماء المحققين في رد هذه القصة.

ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ وقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾، وهو خبر باطل مصنوع، ولو صح لرواه واحد من أصحاب الكتب المعتبرة، والمسانيد المشتهرة، ولكن كل ذلك لم يكن وقد اضطربوا في ألفاظه اضطرابا كبيراً، وزادوا فيه ونقصوا، وكل ذلك دليل على بطلانه.

وقد أبطل الإمام الرازي في تفسيره هذه القصة وحكم عليها بالوضع وأطال في ذلك وذكر الأدلة من القرآن والسنة والمعقول بكلام نفيس . انظر : تفسير الرازي (٢٣/ ٢٣٧-٢٣٨) .

الله تعالى للشيطان على رسوله ﷺ هذا السلطان أو يختار لرسالته من لا يميز بين وحي الله تعالى وبين وسواس الشيطان؟ ومن المعلوم أن من نسب الرسول ﷺ إلى تعمد ما يرجع إلى تعظيم الأصنام، فقد كفر ومن نسبه إلى أنه جرى ذلك على لسانه على سبيل السهو، أدى ذلك إلى التنفير عن الإيمان وإلى وقوع الخلل في القرآن، فدل أنه لا يجوز إجراء هذا الحديث على ظاهره ويحتمل أن الشيطان ألقى في تلاوة النبي ﷺ ما لم يتلُه وخيّل إلى من يسمع تلاوته من الذين كانوا بالبعد منه، أنه جرى على لسانه وكان ذلك فتنة للسامعين وكان النبي ﷺ معصوماً من أن يجري على لسانه ما لم ينزله تعالى أو كان الذي ألقي في تلاوته من شياطين الإنس وإن كان من شياطين الجن، فمثل ذلك جائز في زمن الأنبياء صلوات الله عليهم؛ لضرب من التدبير، كما قلناه فيما تقدم في قوله: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[(١)] ويُحتمل أن النبي ﷺ كان يقرأ القرآن، فألقى الشيطان في قراءته ما يكون غلطاً في القراءة مثل ما يقع من الغلط في الآيات المتشابهة التي يقع في مثلها الغلط نحو قصة موسى عليه السلام وفرعون وغير ذلك[(٢)] ومثل هذا السهو مما لا يعرى عنه البشر[(٣)].

---

(١) جزء من الآية (٤٨) سورة الأنفال.

(٢) وهذه الإحتمالات التي ذكرها المؤلف منقوله بنصها من أحكام القرآن (٥/ ٨٤) مع تقديم وتأخير.

(٣) وهذه الأقاويل يجب تنزيه رسول الله ﷺ منها وقد ثبت بطلان هذه القصة سنداً ومتناً، قال جمال الدين القاسمي في تفسيره (٧/ ٢٦١-٢٦٤) نقلاً عن الأستاذ محمد عبده " ولا يخفى على أحد من أهل النظر، في هذا الدين القويم، أنه قد قرر عصمة الرسل كافة من الزلل في التبليغ، والزيغ عن الوجهة التي وجه الله وجوههم نحوها من قول أو عمل. وخص خاتمهم محمداً ﷺ فوق ذلك بمزايا فصلت في ثنايا الكتاب العزيز. وعصمة الرسل في التبليغ عن الله، أصل من أصول الإسلام. شهد به الكتاب وأيدته السنة، وأجمعت عليه الأمة..... إلى أن قال فلو صح ما قال أولئك المفسرون لكان المعنى: أن جميع الأنبياء والمرسلين قد سلط الشيطان عليهم فخلط في الوحي المنزل إليهم. ولكنه بعد هذا الخلط ينسخ الله كلام الشيطان ويحكم الله آياته إلخ، وهذا من أقبح ما يتصور متصور في اختصاص الله تعالى لأنبيائه، واختيارهم من خاصة أوليائه! فلندع هذا الهذيان ".

وقد يذكر التمني ويراد به القراءة[1] كما قال الشاعر:

تمنـــى كتـــاب الله أول ليلـــه وآخـره لاقـى حمـام المقـادر[2]

وذهب بعض المفسرين رحمهم الله إلى أن أصح ذلك اللفظ الذي رُوي عن عبدالله بن عباس { ، أنه جرى على لسان رسول الله ﷺ كان ذلك على وجه التعيير والزجر، كأنه قال: أهي الغرانيق العلا منها الشفاعة ترتجى[3]؟ وفي السورة ما يبين ذلك وهو قوله تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾[4]. وقيل: أراد بالغرانيق الملائكة[5] وظنوا أنه أراد به الأصنام والغرنوق في اللغة: الحسن الجميل، يُقال: شاب غُرْنُوق وغِرْانَق إذا كان ممتلئا رياً[6] وذهب بعضهم إلى أن المراد بالتمني الإرادة، كما رُوي عن مجاهد رضي الله عنه أنه قال كان النبي ﷺ يتمنى أن ينزل عليه الوحي بسرعة من غير تأخير، فنسخ الله تعالى ذلك بأن عرفه بأن إنزال الوحي إنما يكون بحسب المصالح في الحوادث والنوازل[7]، ويُقال معناه: كان يتفكر في تأويل القرآن في اللفظ المحتمل،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب التفسير / سورة الحج / "٦/ ٩٧") عن ابن عباس رضى الله عنهما تعليقاً، ورواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٦٧) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه.

(٢) سبق تخريجه (ص٧٥).

(٣) ذكره السمرقندي في تفسيره (٢/ ٤٦٦) بقوله " قال بعضهم ".

(٤) جزء من الآية (٢٣) سورة النجم.

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٣٥) عن الحسن بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٠) عن الحسن ثم قال عقب ذلك " وهذا قول ليس بالقوي ولا بالمرضى؛ لقوله: فينسخ الله ما يلقي الشيطان، أي: يبطله ويذهبه ثم يحكم الله آياته، فيثبتها والله عليم حكيم"، وذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ٨٥) عن الحسن بمثله.

(٦) أورده الأزهري في تهذيب اللغة (٨/ ١٩٠) بنحوه، وأورده ابن فارس في مقاييس اللغة (٤/ ٤٣٢) بنحوه، وذكر نحوه ابن سيده في المخصص (٣/ ١٣٧).

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٣/ ٢٤٠) عن مجاهد بمثله.

فيلقي الشيطان في جملته ما لم يرده الله تعالى[١]، فبين جل ذكره أنه ينسخ ذلك بالإبطال ويحكم ما أراده بأدلته وآياته.

وقوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾

بأن ثبته ﷺ[٢] ثم يحكم الله آياته أن يرجع إلى الصواب والله عليم بمصالح عباده حكيم في تدبيره[٣].

وقوله تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾

معناه: ليجعل ما يلقي الشيطان في قراءته تشديد في التعبد للذين في قلوبهم شك والقاسية قلوبهم وهم المشركون[٤] وكان معنى التشديد في التعبد أن النبي ﷺ كان إذا ذهب من آية إلى آية، غلطاً، كما يقع لسائر الناس، كان يرجع، فكان المنافقون يقولون: إنه قد رجع من قوله وعن قراءته وكان عليهم أن يعلموا أن الغلط يجوز على الأنبياء صلوات الله عليهم، كما يجوز على سائر البشر[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾

معناه: وإن الكافرين لفي مباينة بعيدة عن الحق[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾

معناه: وليعلم المؤمنون برجوعك إلى الصواب، أن ذلك حق من ربك، فتخضع

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ٩٢).

(٢) في نسخة (ب): بزيادة (قلبه).

(٣) تفسير الحداد(٤/ ٤٣٨).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٦٩) عن ابن جريج بمثله، وانظر النكت والعيون للماوردي (٤/ ٣٦)، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٣٩٥) من غير نسبه لأحد.

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ٨٦) نقلاً عن الثعلبي.

(٦) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٣٦) وعزاه ليحيى بن سلام.

وتذل له قلوبهم[(١)] وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى دين يرضاه الله تعالى وفي الآية دليل أن كل نبي رسول؛ لأن الله تعالى أخبر أنه أرسلهم جميعاً وقال في آية أخرى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ ﴾[(٢)] وقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ وقال جل ذكره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ والنبي: هو الذي ارتفع أمره بالرسالة وذهب بعضهم إلى أن معنى قوله ولا نبي ولا مُحدَّث[(٣)] ليس برسول[(٤)(٥)].

----

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٣٩٦) بمعناه، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٤٦) بمثله من غير نسبة لأحد.

(٢) جزء من الآية (٩٤) سورة الأعراف.

(٣) المحدث/ هو الملهم " والملهم هو الذي يلقى في نفسه الشيء، فيخبر به حدسا وفراسة، وهو نوع يختص به الله ﷻ من يشاء من عباده الذين اصطفى، مثل عمر، كأنهم حدثوا بشيء فقالوه ". النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٥٠) مادة "حدث "، لسان العرب لابن منظور (٢/ ١٣٤) مادة " حدث ".

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢٩).

(٥) قال مكي بن أبي طالب في تفسيره الهداية إلى بلوغ النهاية (٧/ ٤٩١٦) " وقد استدل بعض الناس على أن كل نبي رسول بهذه الآية".

قال الشيخ الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان(٥/ ٢٩٠): " وآية الحج هذه - أي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ - تبين أن ما أشهر على ألسنة أهل العلم، من أن النبي هو من أوحي إليه وحي، ولم يؤمر بتبليغه، وأن الرسول هو النبي الذي أوحي إليه، وأمر بتبليغ ما أوحي إليه غير صحيح، لأن قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾. يدل على أن كلا منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير واستظهر بعضهم أن النبي الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته، وأن النبي المرسل الذي هو غير الرسول، هو من لم ينزل عليه كتاب وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة، كما بينه تعالى بقوله ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ "

وقال الشيخ عبدالرزاق عفيفي: " والفرق بين النبي والرسول: أن الرسول: من بعثه الله إلى قوم، وأنزل عليه كتاباً، أو لم ينزل عليه كتاباً لكن أوحى إليه بحكم لم يكن في شريعة من قبله. والنبي: من أمره الله أن يدعو إلى شريعة سابقة دون أن ينزل عليه كتاباً، أو يوحي إليه بحكم جديد ناسخ أو غير ناسخ، وعلى

ويُروى عن النبي ﷺ «لم تكن أمة إلا وفيهم مكلم، فإن يكن في هذه الأمة، فهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه»[(١)].

/قوله عز وجل: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ [ل٤١٤/ب]

معناه: ولا يزال الذين كفروا في شك من القرآن[(٢)]، حتى تأتيهم الساعة بأشراطها فجأة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم وهو يوم الحشر والجزاء[(٣)] وسمي ذلك اليوم: عقيماً؛ لأنه لا مثل له في عظم أمره ويُقال: أراد بيوم عقيم: يوم بدر[(٤)] والريح العقيم: هي التي لا تأتي بسحاب ممطر والعجوز العقيم هي التي لا تلد والرجل العقيم هو الذي لا يولد له[(٥)] ومن ذلك سمي اليوم الذي لا خير فيه للكفار: عقيماً[(٦)] ويوم بدر أعقم كثيراً من النساء.

= ذلك، فكل رسول نبي، ولا عكس، وقيل: هما مترادفان، والأول أصح ". فتاوى ورسائل الشيخ عبدالرزاق عفيفي (ص١٧٠). والمسألة اجتهادية ليس فيها نص.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب المناقب / باب: مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه/ ح٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يك في أمتي أحد، فإنه عمر»، وأخرجه مسلم في صحيحه (كتاب فضائل الصحابة / باب: من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه/ ح٢٣٩٨) من حديث عائشة رضى الله عنها بمثله.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٧١)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣١) كلاهما عن ابن جريج بمثله.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٧١-٦٧٢)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣١) عن عكرمة والضحاك بمعناه.

(٤) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤١٠) عن قتادة بمثله، ورواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٧٢) عن قتادة ومجاهد وسعيد بن جبير بمثله.

(٥) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٣٤).

(٦) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٣٤).

وقوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ أراد به: يوم القيامة، لا يظهر فيه الأمر إلا لله تعالى، يقضي بين المؤمنين والكافرين بإدخال المؤمنين جنات النعيم ولأهل الكفر العذاب المهين[١].

قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾

معناه: والذين خرجوا من ديارهم وأوطانهم في طاعة الله تعالى عن بغض منهم للمشركين الذين كانوا يؤذونهم بمكة ثم استشهدوا بعد خروجهم أو ماتوا حتف أنوفهم، ليرزقنهم الله تعالى من نعيم الجنة[٢] وليدخلنهم مدخلاً يرضونه وهو المنازل التي أعدها الله تعالى لهم فيها، لا يبغون عنها حولا وأن الله تعالى لعليم بمصالح عباده حليم، لا يعجل بعقوبة أعدائه[٣].

قوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾

قيل: إن أول هذه الآيات نزلت في قوم من المشركين، لقوا جماعة من المسلمين، فقاتلوهم في الشهر الحرام بعد أن نهاهم المسلمون عن ذلك، فأبوا، فقاتلهم

---

(١) أورده القرطبي في تفسيره (١٢/ ٨٨) بنحوه.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٣٩٦) بمثله من غير نسبه، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٤٧) من قول السدي بمثله.

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٣٩٧)، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٤٧)، وذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ٨٨-٨٩) بنحوه من غير نسبة لأحد.

المسلمين[١]، فنصروا عليهم[٢] ومعنى الآية: ذلك الأمر الذي قصصناه عليكم[٣] ومن عاقب بالقتال بمثل ما عوقب به بالقتال في الشهر الحرام والحرم ثم بغي على الدافع، لينصرنه الله تعالى على من بغى عليه؛ إن الله لعفو متجاوز عمن تاب غفور لمن مات على التوبة وسمي الأول عقوبة؛ لأنه في مقابلة الثاني فسماه باسم الثاني، كما يُقال: الجزاء بالجزاء[٤] ويجوز أن يكون المراد بقوله: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ ومن كافأ بأخذ الدية من قاتل وليه ثم بغى على القاتل بعد أخذ الدية منه، لينصرنه الله تعالى على من بغى عليه بالأمر بقتل قاتله[٥].

وأما قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ ﴾

فمعناه: نصرته للمبغي عليه لقدرته على إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل[٦] الإيلاج: هو الإدخال بالإكراه[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾

معناه: سميع لمن دعاه من خلقه بصير بهم، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم[٨].

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٣٩٧) عن الحسن بأقل منه.

(٢) سبب النزول في تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٣٥) بنحوه، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٠٣- ٢٥٠٤) عن مقاتل بنحوه مرسلاً، وذكره السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول (ص١٣٦-١٣٧) عن مقاتل بنحوه، ومقاتل كذَّاب كما في التقريب لابن حجر (ص٥٤٥).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٣٥)، تفسير البغوي (٥/ ٣٩٧).

(٤) أورده الزجاج في معانيه (٣/ ٤٣٥) بنحوه.

(٥) كأن المصنف ~ أراد بهذا أن الآية مدنية، فتكون في القصاص والجراحات، كما ذهب إليه الضحاك. تفسير الرازي(٢٣/ ٢٤٥).

(٦) انظر تفسير الطبري(١٨/ ٦٧٥)، تفسير الثعلبي(٧/ ٣٢).

(٧) انظر الصحاح (١/ ٣٤٧) مادة " ولج "، مجمل اللغة لابن فارس (ص٩٣٧).

(٨) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٤٨) بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾

معناه: ذلك الذي ذكره من صنعه وقدرته[1] بأن الله ذو الحق في قوله تعالى وفعله وأن الله هو المختص بأن كل شيء سواه تحت قدرته وكل شي سواه يصغر مقداره عن معني صفته؛ لأنه القادر الذي لايعجزه شيء العالم الذي لا يخفي عليه شي[2].

قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾

معناه: ألم تعلم؟ ويُقال: ألم تشاهد؟ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي: المطر[3]، فتصبح الأرض ذات خضرة بالنبات[4] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراج الخفيات[5] ﴿خَبِيرٌ﴾ بما يصلح للعباد ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً[6] ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن إيمان الخلق وطاعتهم ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المحمود في أفعاله[7].

---

(١) تنوير المقباس (ص٢٨٢).

(٢) انظر مجمع البيان (٧/ ١٦٧).

(٣) تنوير المقباس (ص٢٨٣)، تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٣٦)، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٤٨) من غير نسبة لأحد.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان(٣/ ١٣٦)، ذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٣٩٧)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٤٨) من غير نسبة لأحد.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان(٣/ ١٣٦).

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان(٣/ ١٣٦).

(٧) تنوير المقباس (ص٢٨٣).

قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾

معناه: ألم تعلم أن الله ذلل لكم ما في الأرض؟ بأن مكنكم من الإنتفاع بها وجعل السفن تجرى في البحر بأمره[1] وذكر/ التسخير بلفظ الأمر؛ لأن لفظ الأمر أدل [ل٤١٥/أ] على القدرة، فإن قولك أمر، فكان أبلغ في الدلالة على القدرة من قولك فعل، فكان[2] قوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ معناه: يمسكها من الوقوع بما يحدث فيها أمراً لسكون الدائم حالاً بعد حال؛ لأن الشيء الثقيل إذا لم يكن تحته عماد يقله ولا فوقه شيء يعلقه، فإنه لا يستقر في مكانه[3]، إلا بأن يحدث فيه سكون حالاً بعد حال. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ معناه إلا بإرادته[4]. إن الله متفضل على عباده منعم عليهم[5].

وقوله تعالى جل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾

معناه: أحياكم في بطون أمهاتكم ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم ثم يبعثكم بعد الموت[6]. إن الإنسان لجحود بما يظهر من الآيات التي تدعوا إلى الحق[7] وهذه الآية لا تنفي عذاب القبر؛ لأنه تعالى وإن لم يذكره في هذه الآية، فقد ذكره في آيات كثيرة[8].

---

(١) أورده الزجاج في معانيه (٣/ ٤٣٧) بنحوه.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٣٠).

(٣) انظر تفسير الرازي(٢٣/ ٢٤٨).

(٤) تفسير الحداد(٤/ ٤٤١).

(٥) تفسير الحداد (٤/ ٤٤١).

(٦) تفسير الطبري(١٨/ ٦٧٨)، تفسير الثعلبي (٧/ ٣٣).

(٧) تفسير الثعلبي(٧/ ٣٣)، تفسير الحداد (٤/ ٤٤١).

(٨) مثل قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ (غافر:٤٦)

قوله ﷻ: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾

معناه: لكل أهل دين جعلنا موضعاً ميعاداً لعمل، خيرهم يألفونه ويعملون الخير فيه[1] والمنسك جميع العبادات التي أمر الله تعالى بها[2]، كما رُوى في حديث البراء بن عازب أن النبي ﷺ خرج يوم الأضحى وقال: « إن أول نسكنا في يومنا هذا الصلاة ثم الذبح»[3] ويُقال: أراد بالمنسك في هذه الآية المذبح الذي يتقربون فيه بذبائحهم إلى الله ﷻ، كما جعل منى منحر للناس؛ لأن النُسك إذا أُطلق أريد به الذبح على جهة القربة[4]، كما قال تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[5] ويستدل بهذه الآية على وجوب الأضحية على قول أبي حنيفة ومحمد { ؛ لأن فيه إيجاب الدم ابتداء على جهة العبادة به، وليس ذلك إلا الأضحية[6].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ﴾

معناه: النهي عن المنازعة بعد ظهور ما يُوجب نسخ شرائع الأمم المتقدمة[7] وهذا كما يُقال: لا يخاصمنك فلان في هذا أبداً، أي: لا تخاصمه في هذا الأمر؛ لأن

----

(١) انظر تفسير الثعلبي (٧/ ٣٣)، تفسير الرازي (٢٣/ ٢٤٩).

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٨٥)، تفسير الثعلبي (٧/ ٣٣)، تفسير الرازي (٢٣/ ٢٤٩).

(٣) سبق تخريجه (ص٥٥).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٧٩) عن مجاهد وقتادة بنحوه، وذكره الجصاص في أحكام القرآن (٥/ ٨٥) بمثله من غير نسبه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٣) عن مجاهد وقتادة بنحوه. وصوَّب ابن جرير في تفسيره (١٨/ ٦٧٩) هذا القول.

(٥) جزء من الآية (١٩٦) سورة البقرة.

(٦) بدائع الصنائع (٥/ ٦٣)، أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٨٥).

(٧) انظر تفسير الرازي (٢٣/ ٢٤٩).

المخاصمة إنما تكون بين اثنين[1]. وقوله تعالى: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: على دلالة مستقيمة وإن جادلوك بمثل هذا القول على [سبيل المراء][2] والتعنت، كما يفعله السفهاء، فقل: الله أعلم بما تعملون، أي: ادفعهم بمثل هذا القول ولا تجادل إلا لتبين الحق، كما قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3] وهذا أدب حسن ينبغي أن يتأدب به كل أحد[4]. وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي: هو الذي يقضي بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون من الدين. والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين إلى نقيض ما ذهب إليه الآخر[5].

وقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾

معناه: ألم تعلم يا محمد ﷺ، أن الله يعلم أعمال أهل السماء والأرض وأسرارهم؟ إن ذلك مكتوب في الكتاب الذي كتبه الله تعالى لملائكته؛ ليعلموه، لا لأنه كتبه؛ ليعلمه بنفسه؛ لأنه إذا كتبه هو لابد أن يكون عالماً به قبل أن يكتبه[6].

وقوله تعالى ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ معناه: إن كتابة ذلك على الله يسير[7].

---

(١) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٣٧)، تفسير الحداد(٤/ ٤٤٢).

(٢) كأن هنا سقط ولا يستقيم الكلام إلا بإضافتها، علماً أن التصويب من تفسير الحداد (٤/ ٤٤٢).

(٣) جزء من الآية (١٢٥) سورة النحل.

(٤) تفسير الثعلبي (٧/ ٣٣).

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٣) بمثله.

(٦) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٦٨١).

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٣) بنحوه، وانظر تفسير الحداد (٤/ ٤٤٢).

وقوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ معناه: ويعبدون من دونه من الأصنام ما لم ينزل به كتاباً ولا حجة وما ليس لهم به بيان يعلمونه[١]، من غير كتاب نحو العلم بوجوب شكر المنعم وحمد المحسن وذم المسيء ومالظالمين من ناصر، يدفع عذاب الله تعالى عنهم، وتسمى الحجة سلطاناً؛ لأنه يتسلط بها على إبطال إنكار المنكر[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾ معناه: وإذا تقرأ عليهم آياتنا واضحات، تعرف في وجوههم الإنكار لها، يكادون يثبون بالمؤمنين؛ ليؤذوهم[٣]، والسطو في اللغة: هو الأخذ بالشدة[٤] وإظهار الحال الحالية للإخافة ومنه الخوف من سطوات الله تعالى[٥] ونقماته.

قال أبو طالب[٦]:

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١٣٧)، وانظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٣٦)، وانظر تفسير الطبري(١٨/ ٦٨٢)، وذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ٩٥) من غير نسبه.

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢٣٥)، تاج العروس (١٩/ ٣٧٤).

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٣) بنحوه، تفسير الحداد(٤/ ٤٤٣).

(٤) انظر كتاب العين للخليل (٧/ ٢٧٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣/ ٢٠) مادة " سطا ".

(٥) انظر الصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٧٦)، ولسان العرب لابن منظور(١٤/ ٣٨٤)، تفسير القرطبي (١٢/ ٩٦).

(٦) هو أبو طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي، عمّ رسول الله ﷺ شقيق أبيه، أمّها فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية، اشتهر بكنيته، واسمه عبد مناف على المشهور. كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء الأباة. كان أبو طالب يحمي النبي ﷺ من عداوة قريش، ويرد أذاها عنه. توفي أبو طالب في السنة العاشرة من النبوة عن بضع وثمانين سنة. انظر: طبقات فحول الشعراء (١/ ٢٤٤-٢٤٥)، و الإصابة في تمييز الصحابة / المؤلف: أحمد بن علي بن حجر (المتوفى: ٨٥٢هـ)-تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ -(٧/ ١٩٦-٢٠٣)، ومعجم أعلام شعراء المدح النبوي لمحمد درنيقة (ص٥٤-٥٥).

والله لا تسطوا عليك جموعهم حتى أوسد في التراب دفينا[١]

[ل٤١٥/ب] / وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ﴾

معناه: قل: أفأخبركم بشر عليكم من غيظكم على التالي لآيات الله تعالى وهو النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير صاروا إليه[٢] ويُقال: إن قوله تعالى: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ﴾ إشارة إلى كلام مضمر وذلك أن الكفار قالوا: والله ما رأينا قوماً أقل حظاً منكم يا أصحاب محمد ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ﴾ أي: بشر مما قلتم النار من دخلها، فحاله شر من حالنا[٣] ويجوز خفض النار في الإعراب على البدل من قوله تعالى: ﴿بِشَرٍّ ۗ﴾ ويجوز النصب على معنى: أعني النار أعرفكم شراً من ذلكم[٤].

---

(١) لم أقف عليه باللفظ الذي ذكره المصنف، وهو في ديوان أبي طالب (ص٩١)، وخزانه الأدب للبغدادي (٣/ ٢٩٦) بلفظ:

وَالله لن يصلوا إِلَيْك بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أُوَسَّد فِي التُّرَاب دَفِينا

والمعنى: أقسم لك يا بن أخي أنهم لن يصلوا إليك حتى أموت.

(٢) ذكره تفسير الثعلبي (٧/ ٣٣) بنحوه، وذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ٩٦) بنحوه من غير نسبه لأحد.

(٣) انظر تفسير مقاتل (٣/ ١٣٨)، وذكره الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٨٤) بقوله " وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقول... وذكر نحوه.

(٤) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٣٨)، تفسير القرطبي (١٢/ ٩٦).

قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾

معناه: يا أهل مكة[1]، بين مثل آلهتكم، فاستمعوا له إن الذين تعبدون من دون الله لن يقدروا أن يخلقوا ذباباً ولو اجتمع العابد والمعبود[2] على ذلك ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ مما جعلوه للأصنام، لا يقدروا أن يستنقذون منه، ضعف الطالب من الأصنام والمطلوب من الذباب[3] وذلك أن المشركين كانوا خرجوا في عيد لهم بأصنامهم وصبيانهم، فتقرب ابن لعقبة بن أبي معيط إلى بعض الأصنام، فجعلوا يسجدون له وهو مغشي بالحلي والحلل، فجاء ذباب حتى رفع شظية من تلك الزينة، فطار بها في الهواء، فأراهم الله تعالى العبرة في ضعفهم وضعف معبودهم، فلا أحد أضعف ممن لا يمكنه الاستنقاذ من الضعيف[4].

ومن قرأ "إن الذين يدعون" بالياء[5] أراد به الكفار وجعل النداء في أول الآية

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١٣٨).

(٢) ذكره أبو حيان في تفسيره (٧/ ٥٣٨) عن الضحاك بمثله.

(٣) تفسير مقاتل(٣/ ١٣٩)، ورواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٨٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٤) عن ابن زيد وابن كيسان بمثله، وذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ٩٧) بمثله من غير نسبه لأحد.

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤٠٠) عن ابن زيد بنحوه، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٥٠) عن ابن جريج بنحوه.

(٥) قرأ الجمهور تدعون بالتاء. وقرأ الحسن ويعقوب وهارون والخفاف ومحبوب عن أبي عمرو بالياء. انظر: تحبير التيسير في القراءات العشر لابن الجزري (ص٤٧٣)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص٤٠١)، تفسير البحر المحيط (٧/ ٥٣٧).

للمسلمين. وقوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته[١]، حيث عدلوا به لمن لا يقدر أن يخلق ذباباً أو يستنقذ من ذباب يذهب بشيء منه، يُقال: قدرت الشيء بالتخفيف إذا عرفت مقداره[٢]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ أي لا يمتنع عليه فعل شيء ولا يقدر أحد على مغالبته.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾

معناه: الله يختار من الملائكة رسلاً، فيبعثه إلى خلقه ومن الناس أيضاً، فأطيعوهم واحذروا معصيتهم[٣]. إن الله سميع لمقالتكم[٤]، بصير بأعمالكم وضمائركم، يعلم ما بين أيدي ملائكته ورسله قبل أن يخلقهم وما خلفهم، أي: ما يكون بعد[٥] وإلى الله ترجع عاقبة الأمور في الآخرة[٦].

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١٣٩)، وانظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٣٨)، وتفسير الطبري(١٨/ ٦٨٦)، تفسير الثعلبي (٧/ ٣٤).

(٢) انظر تهذيب اللغة للأزهري (٩/ ٣٨)، وانظر تاج العروس (١٣/ ٣٨١).

(٣) انظر تفسير الطبري(١٨/ ٦٨٧)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٤) بنحوه من غير نسبه.

(٤) تفسير مقاتل(٣/ ١٣٩).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ١٣٩)، تفسير الطبري(١٨/ ٦٨٧)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٥) بمثله من غير نسبه.

(٦) تفسير مقاتل(٣/ ١٣٩)، تفسير الطبري (١٨/ ٦٨٧).

وقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

معناه: يا أيها الذين آمنوا، اركعوا واسجدوا في الصلاة[(١)] واعبدوا ربكم بجميع العبادات وافعلوا الخير من أنواع البر، مثل صلة الرحم وبر الوالدين وما يشاكل ذلك[(٢)]؛ لتكونوا على رجاء الفلاح[(٣)].

رُوى: أنهم كانوا في أول الإسلام يسجدون بغير ركوع حتى نزلت هذه الآية[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾

معناه: جاهدوا المشركين ولا تخافوا في الله لومة لائم[(٥)]، وقيل: حق الجهاد أنه « كلمة عدل عند سلطان جائر »[(٦)] وقال الحسن ﷺ: هو أن تؤدي جميع ما أمرك الله

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١٣٩)، تفسير الطبري(١٨/ ٦٨٧-٦٨٨)، وانظر تفسير البغوي (٥/ ٤٠١).

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤٠١)، والزمخشري في تفسيره (٣/ ١٧٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله، تفسير البحر المحيط(٧/ ٥٣٩).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٣٩).

(٤) أورده الفراء في معانيه (٢/ ٢٣١) بمثله، وذكره الزمخشري في تفسيره (٣/ ١٧٢) بمثله من غير نسبه، وذكره أبو حيان في تفسيره (٧/ ٥٣٩) بنحوه من غير نسبه لأحد.

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٨٨) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه (كتاب الملاحم / باب: الأمر والنهي / ح٤٣٤٤) قال حدثنا محمد بن عبادة الواسطي، حدثنا يزيد يعني ابن هارون، أخبرنا إسرائيل، حدثنا محمد بن جحادة، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: ((أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، أو أمير جائر))، وأخرجه ابن ماجة في سننه (كتاب الفتن / باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر / ⇐=

تعالى به وتجنب جميع ما نهاك الله تعالى عنه وترك رغبة الدنيا لرهبة الآخرة[(١)]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ أي: اختاركم لدينه[(٢)] وجهاد أعداء الله تعالى والاجتباء: اختيار الشيء لما فيه من الصلاح، يُقال: الحق يجتبى، والباطل يتقى[(٣)] وفي الآية دليل على بطلان طعن الطاعنين على أصحاب النبي ﷺ لأنه إن كان يدخل في هذه الآية أحدٌ بعد أصحاب النبي ﷺ فلا شك أن أصحاب النبي ﷺ داخلون في هذه الآية؛ لأن هذه الآية نزلت فيهم، فمن طعن فيهم، كان طاعناً في اجتباء الله تعالى والله تعالى لا يخطيء في اجتبائه[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾

معناه: ما جعل عليكم في شرائع دينكم من ضيق[(٥)]، لا مخرج منه وذلك أن منه ما يُتخلص منه بالتوبة ومنه ما يُتخلص منه برد المظلمة وليس في دين الإسلام ما لا سبيل إلى الخلاص من العقاب به[(٦)].

= ح٤٠١١)، وأخرجه الترمذي في سننه (كتاب الفتن / باب: ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر / ح٢١٧٤) كلاهما قالا: حدثنا إسرائيل، قال: حدثنا محمد بن جحادة، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري فذكره.

وفيه عطية العوفي، قال عنه الذهبي في ميزان الإعتدال (٣/ ٧٩) " ضعيف وكان عطية يتشيع، وكان يدلس عن الكلبي " فعليه يكون إسناده ضعيف جدًا.

(١) تفسير الحداد (٤/ ٤٤٥).

(٢) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٣٩)، تفسير الطبري (١٨/ ٦٨٩)، تفسير الثعلبي (٧/ ٣٦).

(٣) تفسير الحداد (٤/ ٤٤٦).

(٤) منقول بنصه من أحكام القرآن للجصاص(٥/ ٩٠).

(٥) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٤٠)، ورواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٨٩) عن ابن عباس رضى الله عنهما وأبي العالية والحسن بمثله.

(٦) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٩١) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمعناه، وذكره الجصاص في أحكام القرآن (٥/ ٩٠) بمثله من غير نسبه، تفسير الثعلبي (٧/ ٣٦).

[ل٤١٦/أ] / وهذا كقوله ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾

معناه: ارضوا واتبعوا ملته[2]، ويُقال: معناه: وسع عليكم في الدين كملة أبيكم إبراهيم، إلا أنه لما حذف حرف الجر، نصب الملة[3] وإنما قال: ملة أبيكم إبراهيم؛ لأنها داخلة في ملة نبينا محمد ﷺ[4] وإنما قال: ملة أبيكم إبراهيم وإن لم يكن جميعهم يرجع نسبه إلى إبراهيم عليه السلام؛ لأن حرمة إبراهيم عليه السلام على المسلمين كحرمة الوالد على الولد[5]، كما قال تعالى: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ قال عبدالله بن عباس ومجاهد رضي الله عنهم: معناه: الله تعالى[7] سماكم المسلمين[8] من قبل القرآن وفي هذا القرآن[9]، كما رُوي في الخبر: أنه تعالى أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: يبعث بعدك نبي ﷺ فيكون قومه مسلمين[10]. ويُقال: معنى قوله تعالى ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾: أن إبراهيم عليه السلام سماكم المسلمين، كما قال

---

(١) جزء من آية (٢٨٦) سورة البقرة.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج(٣/ ٤٤٠).

(٣) أورده الفراء في معانيه (٢/ ٢٣١) بمثله، تفسير الطبري (١٨/ ٦٩١)، تفسير الثعلبي (٧/ ٣٦).

(٤) تفسير الثعلبي (٧/ ٣٦).

(٥) ذكره الجصاص (٥/ ٩٠) عن الحسن بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٦) عن الحسن بمثله.

(٦) جزء من الآية (٦) سورة الأحزاب.

(٧) في نسخة (ب): بزيادة (هو).

(٨) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٤٠)، ورواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٩١) عن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٦) بمثله ثم قال: " هذا قول أكثر المفسرين ".

(٩) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٩٢) عن مجاهد بمثله، وذكره الجصاص في أحكام القرآن (٥/ ٩٠) عن مجاهد بمثله.

(١٠) لم أقف على من ذكره فيما بين يدي من المصادر.

في دعائه: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[(١)][(٢)].

وقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ معناه: ليكون شهيداً عليكم بطاعة من أطاع في تبليغه وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بأعمالهم فيما بلغتموهم من كتاب ربهم تعالى وسنة نبيهم ﷺ[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ معناه: واعتصموا بدين الله[(٤)]، ويقال: واعتصموا بنعم الله تعالى عن معاصيه والاعتصام: هو الامتناع عن شيء بشيء. وقوله تعالى: ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ معناه: هو ربكم وحافظكم، فنعم الحافظ لكم ونعم الناصر[(٥)].

---

(١) جزء من الآية (١٢٨) سورة البقرة.

(٢) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٤٠)، ورواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٩٢) عن ابن زيد بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٦) عن ابن زيد بمثله، قال ابن جرير ~ في تفسيره (١٨/ ٦٩٢) " ولا وجه لما قال ابن زيد من ذلك؛ لأنه معلوم أن إبراهيم لم يسم أمة محمد مسلمين في القرآن؛ لأن القرآن أنزل من بعده بدهر طويل، وقد قال الله تعالى ذكره ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ ولكن الذي سمانا مسلمين من قبل نزول القرآن، وفي القرآن، الله الذي لم يزل ولا يزال "، وقال الشنقيطي في أضواء البيان (٥/ ٧٥٠) " وفي هذه الآيات قرينتان تدلان على أن قول عبدالرحمن بن زيد بن أسلم غير صواب.

إحداهما: أن الله قال هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا، أي: القرآن، ومعلوم أن إبراهيم لم يسمهم المسلمين في القرآن، لنزوله بعد وفاته بأزمان طويلة كما نبه على هذا ابن جرير.

القرينة الثانية: أن الأفعال كلها في السياق المذكور راجعة إلى الله، لا إلى إبراهيم فقوله هو اجتباكم، أي: الله وما جعل عليكم في الدين من حرج، أي: الله هو سماكم المسلمين أي: الله ".

(٣) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤١١) عن قتادة بمثله، ورواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٩٣) عن قتادة بنحوه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٦) بمثله من غير نسبه لأحد.

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٦) عن الحسن بمثله، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤٠٤) عن الحسن بمثله.

(٥) انظر تفسير مقاتل (٣/ ١٤٠)، وانظر تفسير البغوي (٥/ ٤٠٤).

وفي الحديث: « إن الله تعالى أعطى هذه الأمة ثلاثة أشياء لم يعطها إلا الأنبياء صلوات الله عليهم: جعلت شهيدة على سائر الأمم والشهادة لكل نبي على أمته ويُقال للنبي ﷺ: [اذهب][1] فلا حرج عليك وقيل لهذه الأمة ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2] ويُقال للنبي ﷺ: سل، تعط وقيل لهذه الأمة ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3] »[4]. وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « من قرأ سورة الحج، أعطي من الأجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي »[5] وبالله التوفيق.

---

(١) في النسختين (سل تعط)، ولعل الأقرب ما أثبته، كما في تفسير عبدالرزاق (٢/ ٤١١)، وتفسير الطبري (١٨/ ٦٩٣).

(٢) جزء من الآية (٧٨) سورة الحج.

(٣) جزء من الآية (٦٠) سورة غافر.

(٤) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤١١) عن قتادة بمثله، ورواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٩٣) عن قتادة بمثله، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٤٠).

(٥) سبق تخريجه وبيان حكمه في أخر سورة طه فأغنى عن إعادته هنا.

سورة المؤمنون

سورة المؤمنين مكية كلها[(١)] وهي مائة وثماني عشرة آية عند الكوفيين وتسع عشرة آية عند غيرهم[(٢)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾

معناه: قد فاز ونجا وسعد المصدقون بالله تعالى وبرسوله ﷺ[(٣)] الذين هم في صلاتهم خاشعون متواضعون[(٤)] خائفون[(٥)] ويُقال ساكنون[(٦)] بالقلب والجوارح،

---

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٢/ ٢٥٦) وقال: " هو قول الأكثر ".
انظر: البيان في عد آي القرآن (ص١٩١)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٥٣).

(٢) البيان في عد آي القرآن للداني (ص١٩١)، تفسير مقاتل (٣/ ١٥١).

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٠) عن سعيد بن جبير بمثله، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤٠٨) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ١٥٢)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٨) عن مقاتل بنحوه.

(٥) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤١٢)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٩) عن الحسن بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٨) عن الحسن وقتادة بمثله.

(٦) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٨) عن مجاهد والزهري بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٨) عن عمرو بن دينار بمثله.

فلا يلتفتون يميناً ولا شمالاً[١]، كما رُوى عن النبي ﷺ: أنه رأى رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة، فقال ﷺ: « أما إنه لو خشع قلبه، لخشعت جوارحه »[٢]، وعنه ﷺ أنه كان إذا وقف في صلاته، « رفع بصره إلى السماء، فلما نزلت هذه الآية في الصلاة جعل نظره إلى موضع سجوده »[٣] وحقيقة الخشوع: هو جمع الهمة؛ لتدبر الأفعال والأذكار[٤]، وعن الحسن ﷺ أنه كان يقول إن الخاشعين هم الذين لا يرفعون أيديهم في الصلاة إلا في التكبيرة الأولى[٥] وأما حرف قد: فهو في اللغة لتزيين

----

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤١٢)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٨) عن علي ﷺ بنحوه، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤٠٨) عن علي ﷺ وسعيد بن جبير بنحوه.

(٢) قال المناوي في فيض القدير(٥/ ٣١٩) " أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن صالح بن محمد عن سليمان بن عمرو عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة ﷺ قال: "رأى رسول الله ﷺ رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فذكره... " قال الزين العراقي في شرح الترمذي: وسليمان بن عمرو وهو أبو داود النخعي متفق على ضعفه وإنما يعرف هذا عن ابن المسيب وقال في المغني: سنده ضعيف والمعروف أنه من قول سعيد ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه وفيه رجل لم يسم وقال ولده: فيه سليمان بن عمرو مجمع على ضعفه وقال الزيلعي: قال ابن عدي: أجمعوا على أنه يضع الحديث ".

(٣) رواه عبدالرزاق في المصنف (٢/ ٢٥٤)، ورواه ابن أبي شيبه في مصنفه (٢/ ٤٨)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٨) كلهم من طريق هشيم، عن ابن عون، عن ابن سيرين، قال: «كان رسول الله ﷺ مما ينظر إلى الشيء في الصلاة، فيرفع بصره» حتى نزلت آية، إن لم تكن هذه فلا أدري ما هي ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ قال: «فوضع النبي ﷺ رأسه»، قال الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٦) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد فقد قيل عنه مرسلا ولم يخرجاه "، وقال البيهقي في السنن الكبير (٢/ ٤٠١) وروي ذلك عن أبي زيد سعيد بن أوس، عن ابن عون، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة موصولاً، والصحيح هو المرسل " فعليه الحديث مرسل وهو ضعيف.

(٤) تفسير الثعلبي (٧/ ٣٩).

(٥) ذكره السمرقندي في تفسيره (٢/ ٤٧٣) عن الحسن بمثله، وقد ذكر الإمام الطبري في تفسيره (١٩/ ٩) هذا الأقوال ثم قال " ولم يكن الله تعالى ذكره دل على أن مراده من ذلك معنى دون معنى في عقل ولا خبر، كان معلوما أن معنى مراده من ذلك العموم. وإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام ما وصفت من قبل، من أنه: والذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته، وإذا تذلل لله فيها العبد رؤيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه وشغله بفرضه وتركه ما أمر بتركه فيها ".

الكلام وتحسينه[1] ويُقال: لتقريب الحال الماضية إلى الحال الآتية[2]، وأما اللغو الذي يعرضون عنه فهو/: كل ما لا فائدة فيه[3] ومنه قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ ويجوز أن يكون معنى اللغو: كل لعب ولهو ومعصية، فإنها مطرحة وملغاة[4]. [ل/٤١٦ب]

وذلك معنى قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[5] أي: شغلهم الجد فيما أمرهم الله تعالى به عن كل باطل[6]. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ قيل: معناه: مؤدون[7] ويصح في الكلام فعلت الصلاة وفعلت الزكاة وكذلك في كل ما يحسن فيه أتيت وآتيت؛ لأن الإتيان والإيتاء فعل - وإن قل استعماله في هذا - ويقرب من هذا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾[8] ولو صدرت فعله لم يكن إلا فعلت الوعد وهو صحيح ولكن قل استعماله والمفعول على صحته المعنى[9]. وقيل في معنى

---

(١) تفسير الحداد (٥/ ٥).

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني / المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن بن المرادي (المتوفى: ٧٤٩هـ)- المحقق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ -(ص٢٥٥)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب / المؤلف: عبدالله بن يوسف ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)-المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥ ه-(١/ ٢٢٨).

(٣) تفسير الثعلبي (٧/ ٣٩).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج (٤/ ٦)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٠) عن الحسن بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٩) عن الحسن بنحوه.

(٥) جزء من الآية (٧٢) سورة الفرقان.

(٦) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٦)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٠) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه.

(٧) تفسير الثعلبي(٧/ ٣٩)، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤٠٩) من غير نسبه لأحد.

(٨) جزء من الآية (٥) سورة الإسراء.

(٩) لم أقف على من ذكره فيما بين يدي من المصادر.

الآية: والذين هم لأمر زكاتهم فاعلون[1]، أي: لا يتملكون الأموال، إلا ليؤدوا زكاتها ويضعوها في مواضعها[٢]؛ لأنهم إذا لم يفعلوا ذلك، فالزكاة باقية عليهم وقيل في معناه: والذين هم للعمل الصالح فاعلون[٣] ويدخل في هذا كل فعل يزكوا به الإنسان ويحمد عليه، كما يُقال: ما أعطى الله أحداً نعمة إلا أوجب عليه فيها زكاة وزكاة العلم النشر والتعليم وزكاة الجاه إغاثة الملهوف وزكاة القوة إعانة المظلوم والضعيف[٤].

وقوله ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ أي: يحفظونها عن الحرام[5].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ معناه: يلامون في إطلاق ما حُظر عليهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم[٦] من الولائد[٧]؛ فإنهم لا يلامون على ما أحل الله تعالى لهم[٨].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ معناه: فمن طلب طريقاً سوى ما أحل الله تعالى[٩] من النساء الأربع أو ما ملكت اليمين[١٠]، فأولئك هم المتجاوزون من الحلال إلى الحرام[١١].

---

(١) انظر تفسير الحداد (٥/ ٧).

(٢) انظر تفسير مقاتل (٣/ ١٥٢).

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (١٠/ ١٧٥) مادة " زكا "، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤٠٩) بمثله ولم ينسبه.

(٤) تفسير الحداد (٥/ ٧).

(٥) انظر تنوير المقباس (ص٢٨٥)، وأورده الزجاج في معانيه (٤/ ٦) بنحوه.

(٦) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٦)، وذكره الثعلبي (٧/ ٤١) بمثله ولم ينسبه.

(٧) الولائد / جمع الوَليدُ وهي الصبية والأمة. الصحاح(٢/ ٥٥٤).

(٨) تفسير مقاتل (٣/ ١٥٢)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٦)، تفسير الثعلبي (٧/ ٤١).

(٩) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٧).

(١٠) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٦)، تفسير الحداد (٥/ ٧).

(١١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١١) عن ابن زيد بمثله، تفسير الثعلبي(٧/ ٣٩)، تفسير الحداد (٥/ ٧).

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ معناه: والذين هم لما ائتمنوا عليه فيما بينهم وبين ربهم[1] وفيما بينهم وبين الناس حافظون، حتى يؤدوها على وجهها[2].

والرعي في اللغة: هو القيام على إصلاح ما يتولاه الراعي[3]، كما رُوى في الخبر « كلكم راع ومسئول عن رعيته »[4] وأما العهد المذكور في الآية، فيشتمل على طاعة الله تعالى التي يجب الوفاء بها وعلى جميع العقود والأيمان والنذور[5].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ معناه: أنهم يواظبون على الصلوات ويجتهدون في إقامتها لمواقيتها[6] بفرائضها وسننها وأذانها وليس في هذا إعادة ذكر ما تقدم من الخشوع في الصلاة؛ لأنه لا يُفهم[7] من الخشوع المحافظة ولا من المحافظة الخشوع.

وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ معناه: أهل هذه الصفة التي ذكرها الله تعالى من أول السورة إلى ما ها هنا[8] الوارثون، الذين يرثون مساكنهم ومساكن

---

(١) تنوير المقباس (ص٢٨٥)، تفسير الحداد (٥/ ٧).

(٢) تنوير المقباس (ص٢٨٥)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٣٩) بنحوه ولم ينسبه، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤١٠) بنحوه ولم ينسبه.

(٣) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الجمعة / باب: الجمعة في القرى والمدن / ح٨٩٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الإمارة / باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم / ح١٨٢٩) كلاهما عن ابن عمر رضى الله عنهما بأطول منه.

(٥) تفسير الحداد (٥/ ٨).

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ١٥٢)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٢) عن مسروق بمثله، معاني القرآن للزجاج(٤/ ٧).

(٧) في نسخة (ب): (لا تفهم).

(٨) تنوير المقباس (ص٢٨٥).

إخوانهم التي كانت لهم في الجنة لو أطاعوا الله تعالى[(١)] والفردوس في اللغة: هو البستان الجامع للأجناس من الكروم وغيرها[(٢)].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: « لقد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى آخر الآيات العشر »[(٣)].

قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

معناه: ولقد خلقنا آدم ﵇ من سلالة سُلّت من طين[(٤)]، ثم خلقنا ولده من

---

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤١٣)، والطبري في تفسيره (١٩/ ١٢) عن أبي هريرة ﷺ بمثله.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٣) عن مجاهد بنحوه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٠) بمثله ولم ينسبه.

(٣) رواه عبدالرزاق في المصنف (٣/ ٣٨٣)، ورواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٥١) برقم (٢٢٣) كلاهما من طريق يونس بن سليم الصنعاني، عن الزهري، عن عروة، عن عبدالرحمن بن عبدالقاري قال: سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: كان إذا نزل على النبي ﷺ الوحي سمع عند وجهه كدوي النحل، فنزل عليه فمكثنا ساعة، فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: «اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا» ثم قال: «أنزل علي عشر آيات، من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ علينا ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حتى ختم العشر»

وفيه يونس بن سليم الصنعاني قال عنه ابن حجر في التقريب (ص٦١٣) " مجهول ".

وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (كتاب قيام الليل وتطوع النهار / باب: رفع اليدين في الدعاء / ح١٤٤٣) ثم قال ((هذا حديث منكر، لا نعلم أحدا رواه غير يونس بن سليم ويونس بن سليم لا نعرفه)).

(٤) تفسير مقاتل(٣/ ١٥٣)، ورواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤١٤)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٤) كلاهما عن قتادة بمثله.

نطفة في قرار مكين، أي: في موضع حريز إلى أجل معلوم[(١)] ويُقال: أراد بالإنسان جنس الإنسان[(٢)]، كما قال جل ذكره: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾[(٣)] وأراد بالسلالة: المني[(٤)] يُسمى سلالة؛ لأنه يُسَل من أصلاب الرجال وترائب النساء ثم يكون قراره في أرحام الأمهات[(٥)] وكل ما بني على فعَاله أريد به القليل نحو الفضاله والقلامه[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ أي: صيرناه دماً منعقداً ثم صيرنا الدم لحماً، بلا عظم والمضغة: هي القطعة اليسيرة من اللحم، تسمى: مضغة؛ لأنها تمضغ في دفعة، كاللقمة[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ معناه: خلقنا في المضغة عظاماً[(٨)] ويُقال: حولنا المضغة عظاماً، ثم ألبسنا / العظام لحماً؛ ليكون أبهى في المنظر وليكون [ل٤١٧/أ]

---

(١) انظر الطبري (١٩/ ١٦)، وذكره الثعلبي (٧/ ٤٢) بمثله ولم ينسبه.

(٢) ذكره السمرقندي في تفسيره (٢/ ٤٧٥) عن الكلبي بنحوه.

(٣) الآية (١) و(٢) من سورة العصر.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٤-١٥) عن مجاهد بمثله، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤١١) عن عكرمة بنحوه، قال الإمام الطبري في تفسيره (١٩/ ١٥) بعد أن ذلك القولين " وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم، وهي صفة مائه، وآدم هو الطين؛ لأنه خلق منه. وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية؛ لدلالة قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ على أن ذلك كذلك؛ لأنه معلوم أنه لم يصر في قرار مكين إلا بعد خلقه في صلب الفحل، ومن بعد تحوله من صلبه صار في قرار مكين؛ والعرب تسمي ولد الرجل ونطفته: سليله وسلالته؛ لأنهما مسلولان منه ".

(٥) تهذيب اللغة للأزهري (١٢/ ٢٠٦) مادة " سل "، وذكره السمرقندي في تفسيره (٢/ ٤٧٥) نقلاً عن القتبي بنحوه.

(٦) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٨)، وذكره السمرقندي (٢/ ٤٧٥) نقلاً عن الزجاج بمثله.

(٧) انظر تفسير الطبري(١٩/ ١٦)، وانظر تفسير الحداد (٥/ ٩).

(٨) انظر تفسير الطبري(١٩/ ١٦).

اللحم وقاية للعظم[١]، ثم أنشأناه خلقاً آخر، بأن جعلنا فيه الروح بعد أن لم يكن[٢] وجعلناه ذكراً أو أنثى[٣] وأعطيناه الفهم والتمييز[٤]؛ ليأخذ ثدي أمه عند الحاجة، فيرتضع وتبكي[٥] إذا تضرر بشيء[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ معناه: دام لم يزل ولا يزال أحسن المحولين من حال إلى حال[٧] والتبارك في اللغة: هو الثبوت[٨] ويُقال: معنى فتبارك الله: دام نعم الله تعالى على خلقه، من البركة وهي النمو والزيادة والإفضال[٩].

وقوله تعالى: ﴿أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ لا يقتضي أن يكون معه خالق آخر[١٠]، كما قال تعالى ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾[١١] ويُقال: معنى أحسن

---

(١) انظر تنوير المقباس (ص٢٨٥)، وانظر تفسير الطبري(١٩/ ١٧)، تفسير الحداد (٥/ ١٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٧)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٢)، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤١٢) كلهم عن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والشعبي وعكرمة والضحاك وأبو العالية. وهو ما رجحه الإما الطبري في تفسيره (١٩/ ١٨).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٩)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٢) بمثله ولم ينسبه، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤١٢) عن الحسن بمثله.

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٢) بنحوه ولم ينسبه.

(٥) في نسخة (ب): (ويبكي).

(٦) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٨)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٢) كلاهما عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه، تفسير الحداد (٥/ ١٠).

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٢) بنحوه ولم ينسبه، تفسير الحداد (٥/ ١١).

(٨) انظر جمهرة اللغة لابن دريد (١/ ٣٢٥)، تفسير الثعلبي (٧/ ٤٢).

(٩) انظر جمهرة اللغة لابن دريد (١/ ٣٢٥)، وأورده الأزهري في تهذيب اللغة (١٠/ ١٣٠) بنحوه.

(١٠) تفسير الحداد (٥/ ١١).

(١١) الآية (٢٤) سورة الفرقان.

الخالقين: أي أحسن المقدرين[1]؛ لأن الخلق: هو التقدير، كما قال تعالى مخبراً عن عيسى عليه السلام[2]. ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ﴾[3] أي: أقدر لكم من الطين.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ معناه: ثم إنكم بعد الحياة والخلق الحسن والصورة الحسنة لميتون عند انقضاء آجالكم[4] ثم إنكم يوم القيامة تبعثون من قبوركم للجزاء والحساب[5]. بين الله تعالى بهذه الآيات كمال قدرته على العباد، حيث نقلهم من حال إلى حال وبين أنه خلقهم للآخرة، التي هي دار الجزاء.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۢ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

معناه: ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات[6] وسميت طرائق؛ لأن كل شيء فوق شيء، فهو طريقة[7]، يُقال: طارقت نعلي، إذا ركبت جلداً على جلد[8]، كأنه تعالى قال: خلقت الإنسان مقلباً له بين الأحوال المقدم ذكرها وخلقت فوق رؤوسكم هذه

---

(١) تهذيب اللغة (٧/ ١٦)، تفسير الثعلبي (٧/ ٤٢).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٩) عن ابن جريج بنحوه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٢) عن ابن جريج بنحوه.

(٣) الآية (٤٩) سورة آل عمران.

(٤) تفسير الحداد (٥/ ١٢).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ١٥٣)، وانظر تفسير الطبري (١٩/ ١٩).

(٦) تفسير مقاتل(٣/ ١٥٣)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٠) عن ابن زيد بمثله.

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٥٦)، تفسير الطبري(١٩/ ٢٠)، تفسير الثعلبي (٧/ ٤٣).

(٨) تهذيب اللغة(٩/ ١١)، تفسير الحداد (٥/ ١٢).

السماوات بعضها فوق بعض ويُقال: سميت السماوات طرائق؛ لأنها طرق الملائكة[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ معناه: وما كنا عن حفظ السماوات وعن إنزال المطر على العباد وقت الحاجة غافلين[(٢)] ولو جازت الغفلة علينا، لتساقطت السماوات بعضها على بعض[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أراد به المطر أنزله من السحاب بقدر الحاجة إليه على ما توجبه الحكمة[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ معناه: جعلنا سكناه ومستقره في الأرض مثل العيون والرَكايا[(٥)] والغدران[(٦)(٧)].

وعن النبي ﷺ أنه قال: «أربعة أنهار من الجنة دجلة والفرات وسيحان وجيحان»[(٨)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ﴾ معناه: وإنا لنقدر على إذهابه من الأرض

----

(١) تفسير الثعلبي(٧/ ٤٣)، تفسير الحداد (٥/ ١٢).

(٢) معاني القرآن للزجاج(٤/ ٩)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٣) عن الحسن بنحوه.

(٣) انظر تفسير الطبري(١٩/ ٢٠)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٣) بقوله " قال أهل المعاني "، تفسير الحداد (٥/ ١٢).

(٤) انظر تفسير مقاتل (٣/ ١٥٣)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٠) عن ابن جريج بنحوه.

(٥) الرَكايا / جمع ومفردها رَكِيَّةُ وهي البئر. والرَكوَةُ التي للماء. الصحاح (٦/ ٢٣٦١).

(٦) الغدران / جمع غدير، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل. الصحاح (٢/ ٧٦٦-٧٦٧) مادة " غدر ".

(٧) تنوير المقباس (ص٢٨٥)، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤١٣) بنحوه ولم ينسبه.

(٨) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها / باب: ما في الدنيا من أنهار الجنة / ح ٢٨٣٩) عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((سيحان وجيحان، والفرات والنيل كل من أنهار الجنة)).

ومن السماء[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ﴾ أي: أخرجنا لكم بذلك المطر بساتين من نخيل وكرم وإنما خصّها بالذكر؛ لأنها أشرف الثمار وعامة ثمار الحجاز التمر والعنب[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿لَّكُمۡ فِيهَا﴾ أي: في البساتين فواكه كثيرة سوى النخيل والأعناب ومنها تأكلون، بإباحة الله تعالى لكم[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ﴾ معناه: وأنبتنا لكم بذلك المطر شجرة وهي الزيتونه[(٤)]، تخرج من طور سيناء[(٥)] من جبل سيناء[(٦)]، قيل: أن معنى سيناء البركة، كأنه قال: من جبل البركة عن ابن عباس ومجاهد ﭫ[(٧)] ويُقال: أنه اسم مشتق من السنا وهو الحسن[(٨)] وقد اختلفوا في المراد بالطور، قيل: هو الجبل الذي

---

(١) انظر تفسير مقاتل(٣/ ١٥٣).

(٢) تفسير الطبري(١٩/ ٢١)، تفسير الثعلبي(٧/ ٤٣).

(٣) انظر تفسير الطبري(١٩/ ٢١)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٣) بنحوه ولم ينسبه، تفسير الحداد(٥/ ١٣).

(٤) انظر تفسير الطبري(١٩/ ٢١)، تفسير الثعلبي(٧/ ٤٤).

(٥) هو جبل بيت المقدس، ممتدّ ما بين مصر وأيلة، وهو الذي نودى منه موسى ﭒ. انظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع / المؤلف: أبو عبيد عبدالله البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، الناشر: عالم الكتب- (٣/ ٨٩٧)، معجم البلدان (٤/ ٤٨).

(٦) معاني القرآن للزجاج(٤/ ١٠)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٢) عن قتادة بنحوه.

(٧) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢١-٢٢)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٤) كلاهما عن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد بمثله.

(٨) تفسير مقاتل(٣/ ١٥٤)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٢) عن قتادة والضحاك بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٤) عن قتادة والحسن والضحاك بمثله، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤١٤) عن قتادة بمثله.

ناجى موسى عليه السلام ربه ﷻ عنده[(١)] ويُقال: إن أصل شجرة الزيتون من ذلك الجبل[(٢)] وقال بعضهم رحمهم الله: هو جبل بالشام كثير الأشجار والثمار[(٣)]، ويُقال: إن الطور جبل وسيناء حجارة[(٤)]، وقال القتبي ~ : سيناء اسم لتلك البقعة، فهو اسم بقعة بعينها لا ينصرف[(٥)].

ويُقرأ سيناء بالفتح[(٦)] للسين على وزن صحراء ويقرأ بكسرها[(٧)] على

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما وابن زيد بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٤) عن ابن زيد بمثله.

(٢) تفسير مقاتل(٣/ ١٥٤)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٤) عن مقاتل بمثله.

(٣) انظر تنوير المقباس (ص٢٨٥)، ورواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤١٤) عن الكلبي بنحوه.

(٤) معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٠)، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤١٤) عن مجاهد بمثله.

(٥) أورده الزجاج في معانيه (٤/ ١٠) بمثله ولم ينسه، وذكره ابن عطية في تفسيره (٤/ ١٤٠) بمثله ولم ينسبه. وقد ذكر الإمام الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٢) هذه الأقوال ثم قال " والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إن سيناء اسم أضيف إليه الطور يعرف به، كما قيل: جبلا طيئ، فأضيفا إلى طيئ، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال: معناه: جبل مبارك، أو كما قال من قال: معناه حسن، لكان الطور منونا، وكان قوله سيناء من نعته، على أن سيناء بمعنى: مبارك وحسن، غير معروف في كلام العرب، فيجعل ذلك من نعت الجبل، ولكن القول في ذلك إن شاء الله كما قال ابن عباس رضى الله عنهما، من أنه جبل عرف بذلك، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى ﷺ، وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سيناء: معنى مبارك ".

(٦) قرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى ﴿سَيْنَآءَ﴾ مفتوحة السين ممدودة. السبعة في القراءات/ المؤلف: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ) -المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ - (ص٤٤٥)، تحبير التيسير في القراءات العشر / المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) - المحقق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، الناشر: دار الفرقان - الأردن / عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - (ص٤٧٤).

(٧) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﭽسِيناء ﭼ مكسورة السين ممدودة. السبعة لابن مجاهد (ص٤٤٤)، تحبير التيسير لابن الجزري (ص٤٧٤).

وزن فعلا[١].

وقوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ معناه: تنبت بثمار فيها الدهن، كما يُقال: جاءني فلان بالسيف، أي: ومعه السيف[٢] ومن قرأ تُنبت بضم التاء[٣]، فيجوز أن يكون معناه: معنى الأول، يُقال: نبت الشيء وأنبت بمعنى واحد[٤].

قال الشاعر:

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم   قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل[٥]

ويجوز أن يكون معناه: تنبت ثمرها بالدهن[٦] وقال الحسن ﷺ: هي أشجار

----

(١) معاني القرآن للزجاج(٤/ ١٠).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٠)، تفسير الطبري(١٩/ ٢٣)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٤) بنحوه ولم ينسبه.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو " تُنبِتُ " بضم التاء وكسر الباء، وقرأ الباقون " تَنبُتُ " بفتح التاء وضم الباء. السبعة (ص٤٤٥)، تحبير التيسير لابن الجزري (ص٤٧٤).

(٤) معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٠)، معاني القراءات للأزهري (٢/ ١٨٩)، تفسير الطبري(١٩/ ٢٣)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٤) بمثله ولم ينسبه. واختار الإمام الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٣) هذا القول.

(٥) هذا البيت لزهير بن أبي سُلمى، واسم أبي سُلمى ربيعة بن رياح المزني. من قصيدة يمدح بها سنان بن أبي حارثة المُري، وهذا البيت في " ديوان زهير " وفيه: (بها) مكان (لهم)، و (نبت) مكان (أنبت). جمهرة اللغة لابن دريد (١/ ٢٥٧)، لسان العرب (١٣/ ٣٤٣).

وقد قال الشنتمري في " شرحه لديوان زهير " (ص٤١-٤٢) " قوله: رأيت ذوي الحاجات يعني الفقراء والمحتاجين. والقطين: أهل الرجل وحشمه، والقطين أيضاً: الساكن في الدار النازل فيها، وأراد هنا الساكن. يعني أن الفقراء يلزمون بيوت هؤلاء القوم يعيشون من أموالهم حتى يَخصِب الناس وينبت البقل ".

(٦) انظر معاني القراءات للأزهري (٢/ ١٨٩)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٤) عن ابن أبي نجيح بمثله.

خلق الله تعالى في عيدانها الدهن(1) وقوله تعالى ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ أراد به الزيت(٢) وهو أدام يصبغ به الخبز، يُقال: صِبْغ وصِبَاغ، كما يُقال: دِبْغ ودِبَاغ ولِبْس ولِبَاس(٣).

قوله ﷻ ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم / مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [ل٤١٧/ب]

معناه: وإن لكم في الأنعام لعظة ودلالة على وحدانيتنا لو اعتبرتم واستدللتم(٤) والأنعام الإبل والبقر والغنم(5) سميت أنعاماً؛ للين مشيها خلاف الحافر في وطئها(٦) ومنه امرأة ناعمة، إذا كانت لينه وسميت الدلالة: عبرة؛ لأنها كالمعبر إلى الشيء والطريق إليه(٧).

وقوله تعالى: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ أراد به: اللبن(٨)، فإن الله تعالى لما أعطى العباد ألبان الأنعام بإجرائها في ضروعها وتمكينهم من غير حظر لها، كأنه قد سقاهم إياها وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ معناه: من الأولاد والأوبار والأصواف والأشعار(٩)، ومنها -أي ومن لحومها- تأكلون(١٠).

---

(١) لم أقف عليه فيما بين يدي من المصادر.

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٣٣)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٤) عن ابن عباس { بمثله.

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٥٤)، وأورده الأزهري في تهذيب اللغة (٨/ ٦٢-٦٣) مادة "صبغ" بنحوه.

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٤) بنحوه ولم ينسبه، تفسير الحداد (٥/ ١٤).

(٥) تفسير مقاتل(٣/ ١٥٤).

(٦) في نسخة (ب): (طيها) وهو تصحيف.

(٧) انظر تفسير الطبري(١٩/ ٢٤)، تفسير الثعلبي(٧/ ٤٤).

(٨) تفسير مقاتل (٣/ ١٥٤).

(٩) تفسير مقاتل (٣/ ١٥٤)، وانظر تنوير المقباس (ص٢٨٥).

(١٠) انظر تفسير الطبري(١٩/ ٢٤)، وأورده ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٦٠) بنحوه ولم ينسبه.

وقوله تعالى ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ معناه: تحملون على الإبل في البر وعلى السفن في البحر[(١)]، يُقال: إن الله تعالى جعل للناس مركبين: مركباً ليناً ليابس البر ومركباً يابساً للين البحر[(٢)].

قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (٢٥) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦)﴾

معناه: ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه؛ ليدعوهم إلى عبادتنا[(٣)]، فقال: ياقوم، اعبدوا الله، أي: اعبدوه ولا تعبدوا غيره؛ فإنه لا تجوز العبادة لمن ليس بإله ولا إله سواه سبحانه، ألا تتقون عبادة غيره[(٤)]؟ فقال الأشراف والرؤساء[(٥)] منهم لسفهائهم: ما هذا الذي يدعوكم إلى التوحيد إلا أدمي[(٦)] مثلكم يريد أن يتقدم عليكم بدعوى النبوة[(٧)]، ولو شاء الله تعالى أن يرسل إلينا رسولاً من عنده، لأرسل ملائكة من عنده، ما سمعنا بمثل هذه الدعوة في أبائنا الأولين وما أُرسل بشر إلى أبائنا الأولين[(٨)].

---

(١) تنوير المقباس (ص٢٨٥-٢٨٦)، وانظر تفسير الطبري(١٩/ ٢٤)، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤١٥) بنحوه ولم ينسبه.

(٢) تفسير الحداد (٥/ ١٤).

(٣) تفسير الحداد(٥/ ١٤).

(٤) تنوير المقباس (ص٢٨٦)، تفسير مقاتل(٣/ ١٥٤)، وانظر تفسير الطبري(١٩/ ٢٥)، تفسير الحداد(٥/ ١٤).

(٥) تنوير المقباس (ص٢٨٦)، تفسير مقاتل(٣/ ١٥٤).

(٦) تنوير المقباس (ص٢٨٦).

(٧) تنوير المقباس(ص٢٨٦)، تفسير الحداد (٥/ ١٤).

(٨) تفسير مقاتل(٣/ ١٥٤)، وانظر تفسير الطبري(١٩/ ٢٥)، وتفسير الثعلبي(٧/ ٤٥).

وقوله تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ﴾ معناه: قالوا: ما هو[١] -يريدون نوحاً - إلا رجل به جُنُون[٢]، فانتظروا، حتى يموت، فنستريح منه[٣] أو أنتظروا، حتى ندين بأمره. قال نوح حين أيس من إيمانهم: رب انصرني، أي: أعني عليهم بتكذيبهم إياي وجحدهم نبوتي[٤].

قوله ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٢٧) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٢٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠)﴾

معناه: وأرسلنا إليه جبريل وأمرناه أن يعلمه صنعة الفلك؛ ليصنعها بمرأى منا[٥] واتخذها بحضرته.

فذلك قوله ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ أي: بأمرنا[٦] ومن أمر أوليائنا، ويُقال: معنى قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بحيث نراها، كما يرى الرأي من عِبادِنا بعينه، فجعل الرؤية كناية عن العلم؛ لأن الشيء إنما يصير معلوماً لنا في الشاهد بالعين[٧].

---

(١) تفسير الثعلبي (٧/ ٤٥).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٤/ ١١)، تنوير المقباس (ص٢٨٦)، تفسير مقاتل(٣/ ١٥٥)، تفسير الطبري(١٩/ ٢٦).

(٣) تنوير المقباس (ص٢٨٦)، تفسير مقاتل(٣/ ١٥٥)، تفسير البغوي(٥/ ٤١٥)، تفسير الحداد(٥/ ١٥).

(٤) انظر تنوير المقباس (ص٢٨٦)، وتفسير الثعلبي(٧/ ٤٥)، تفسير الحداد(٥/ ١٥).

(٥) تنوير المقباس (ص٢٨٦)، تفسير الطبري(١٩/ ٢٦)، وذكره البغوي في تفسيره (٤/ ١٧٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله.

(٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٦) عن مجاهد بمثله، زاد المسير لابن الجوزي(٢/ ٣٧١)، البحر المحيط لأبي حيان(٦/ ١٤٩).

(٧) انظر تفسير القرطبي (٩/ ٣٠)، وذكر هذا القول أبوحيان في تفسيره (٦/ ١٤٩) وضعفه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ معناه: فإذا جاء أمرنا بنجاتك وإهلاكهم ونبع الماء من تنور الخابزة[١]، قيل: إن تنور الخابزة كان في أعلى موضع من دار نوح عليه السلام[٢]، فجعل الله تعالى إخراج الماء من موضع النار مع مابين الماء والنار من التباين معجزة له عليه السلام وعلامة لمعرفة مجيء وقت هلاك القوم[٣].

وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن معنى قوله تعالى: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: طلع الفجر[٤] وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡلُكۡ فِيهَا﴾ أي: احمل في السفينه من كل حيوان ذكراً وأنثى[٥]، كما رُوى: « أن الله تعالى حشر إليه جميع الحيوان، حتى أخذ من كل جنس زوجاً »[٦] ويُقرأ[٧]: (من كُلٍ) بتنوين اللام وعلى هذه القراءة يكون الفعل واقعاً على زوجين،

---

(١) أورده الزجاج في معانيه (٣/ ٥١)، تنوير المقباس (ص٢٨٦)، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٥٢) عن الكلبي بمثله، وذكره السمعاني (٢/ ٤٢٨) عن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وجماعة وقال " هو قول الأكثر "، وقد رجح هذا الإمام الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢١) فقال: " وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله: (التنور)، قول من قال: "هو التنور الذي يخبز فيه"؛ لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك، فيسلم لها. وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به، لإفهامهم معنى ما خاطبهم به "، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٢٠) " هذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف " واستظهره رحمه الله.

(٢) تفسير مقاتل(٣/ ١٥٥)، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٢/ ٣٧٣) عن مقاتل بمثله.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٨) عن مطرف بن عبدالله بن الشخير بمثله، تفسير السمعاني(٢/ ٤٢٨).

(٤) تنوير المقباس (ص٢٨٦)، ورواه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٨)، وذكره البغوي في تفسيره (٤/ ١٧٦) عن علي رضي الله عنه بمثله.

(٥) تفسير مقاتل(٣/ ١٥٥)، تنوير المقباس (ص٢٨٦)، وذكره البغوي في تفسيره (٤/ ١٧٦) ولم ينسبه، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٢/ ٣٧٣) ولم ينسبه.

(٦) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ١٧٦) ولم ينسبه، تفسير الحداد(٥/ ١٥).

(٧) قرأ حفص عن عاصم ﴿فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ﴾ منوناً، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم ﴿زَوۡجَيۡنِ﴾ بلا تنوين. السبعة لابن مجاهد (ص٤٤٥)، حجة القراءات لابن زنجله (ص٤٨٦)، التيسير لأبي عمرو الداني (ص١٢٤).

فأمَّا في القراءة الأولى فالفعل واقع على اثنين(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَهۡلَكَ﴾ معناه: واحمل فيها أهلك(٢)، إلا من سبق عليه القول، أي: إلا من حق عليه العذاب منهم بكفره وهو ابنه: كنعان، وامرأته: واعِلَه(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾

أي: لا تسألني نجاة الذين ظلموا من أهلك(٤)؛ إنهم مغرقون مع الأجانب.

وقوله تعالى/: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ﴾ [ل٤١٨/أ]

معناه: فإذا استقر بك وبمن معك الفلك في الماء، فقل: الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين(٥) وذلك أن الله تعالى كان عرَّفه أنه ينجيه بذلك ومن معه، فأُمر بركوب السفينة، فقال: الحمد لله الذي نجانا وكانت السفينة تسير بين(٦) السماء والماء، بقدرة الله ﷻ(٧) ويجوز أن يكون معنى الاستواء في هذه الآية:

---

(١) الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٣٢٨)، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٦١) نقلاً عن أبي علي الفارسي، تفسير الحداد(٥/ ١٥).

(٢) تنوير المقباس (ص٢٨٦).

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ١٧٧) ولم ينسبه، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٢/ ٣٧٣) عن الضحاك بمثله، وذكره أبو حيان في تفسيره (٦/ ١٤٩) ولم ينسبه.

(٤) معاني القرآن للزجاج(٣/ ٥٠)، وانظر تفسير الطبري(١٩/ ٢٧).

(٥) تفسير مقاتل(٣/ ١٥٥)، تفسير الطبري(١٩/ ٢٧)، تفسير الثعلبي(٧/ ٤٦).

(٦) في نسخة (ب): (من) وهو خطأ.

(٧) قال الحافظ ابن كثير ~ تعالى في تفسيره (٤/ ٣٢٣) عند قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾ أي: السفينة سائرة بهم على وجه الماء، الذي قد طبق جميع الأرض، حتى طفت على رءوس الجبال، وارتفع عليها بخمسة عشر ذراعا، وقيل: بثمانين ميلا وهذه السفينة على وجه الماء سائرة بإذن الله وتحت كنفه وعنايته وحراسته وامتنانه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾ (الحاقة:١١-١٢)، وقال تعالى: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ (القمر:١٣-١٥).

العلو[1]؛ لأن السفينة كانت عظيمة العلو، يرتقي إليها على ما رُوِّينا في صفتها عن ابن عباس { [2].

وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ قال بعضهم رحمه الله: أنزلني من السفينة موضعاً مباركاً[3] وقال بعضهم رحمه الله: أراد به الإنزال في السفينة[4] ومن يركبها، يكون خلاصه مما جرى على قومه من الهلاك وهذا أقرب؛ لأنه إنما أُمر بهذا الدعاء في حال استوائه على السفينة، فاقتضى أن السفينة هي المنزل دون منزل آخر[5] والمَنزل بفتح الميم اسم لكل مكان نزلت فيه، والمُنزل بضم الميم يكون مصدراً بمعنى: الإنزال

----

(١) أورده أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/ ٥٧) بمثله.

(٢) يشير المصنف - ~ تعالى- إلى الأثر الذي جاء في خبر السفينة ووصفها، حيث رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٥)، ورواه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣١١-٣١٢) قال: " حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن مفضل بن فضالة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، قال: قال الحواريون لعيسى ابن مريم:.... وذكره بطوله.

قال: الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣١٩) " وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير أثراً غريباً، من حديث علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما " وذكره.

وفيه " المفضل بن فضالة بن أبي أمية القرشي " ((منكر الحديث))كما قال الحافظ المزي في تهذيب الكمال في أسماء الرجال / المؤلف: يوسف بن عبدالرحمن المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)-المحقق: د. بشار معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ ه-(٢٨/ ٤١٣-٤١٥).

وفيه أيضاً "علي بن زيد بن جدعان " ((ضعيف)) كما قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٧/ ٣٢٢-٣٢٣). وهذا خبر لا شك أنه من بقية أخبار بني إسرائيل وأشباههم، لا يبلغ أن يكون شيئاً.

(٣) تفسير الطبري(١٩/ ٢٨)، تفسير الثعلبي(٧/ ٤٦)، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٥٣) عن مجاهد بمثله، تفسير الحداد(٥/ ١٦).

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٥٣) بنحوه ولم ينسبه، تفسير البغوي(٥/ ٤١٦)، وذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٢٠) بنحوه ولم ينسبه.

(٥) ذكره الرازي في تفسيره (٢٣/ ٢٧٤) بمثله واختاره، وذكره كذلك ابن عادل في تفسيره اللباب في علوم الكتاب (١٤/ ٢٠١) واختاره أيضاً، تفسير الحداد(٥/ ١٦).

ويكون بمعنى: المكان[١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾

أي: أنت خير المنزلين في الدنيا والآخرة[٢] وهذا اللفظ سنة لكل من أراد أن ينزل منزلاً[٣] وإنما قال ذلك؛ لأنه ما من أحد يضيف غيره يقدر على أن يكفيه كل حاجة ويدفع عنه كل آفة، إلا الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ﴾

معناه: إن فيما سبق ذكره لدلالاتٍ واضحات على وحدانيتنا وكمال قدرتنا[٤]، وما كنا إلا مُبتَلِين[٥] بإرسال الرسل إليهم، كي نرى طاعة المطيعين ومعصية العاصين[٦].

قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾

معناه: ثم خلقنا من بعد هلاك قوم نوح - عليه السلام - قوماً آخرين من قومه، فأرسلنا فيهم رسولاً منهم[٧]، أراد به هوداً - عليه السلام -[٨] فإنَّ أول نبي بعد نوح هود -

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٤/ ١١)، الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٢٩٣-٢٩٤) مع تقديم وتأخير، وانظر الكشف لمكي بن أبي طالب (٢/ ١٢٨).

(٢) تنوير المقباس (ص٢٨٦)، تفسير الحداد(٥/ ١٦).

(٣) انظر تفسير الحداد (٥/ ١٦). قال القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٢٠) " وبالجملة فالآية تعليم من الله ﷻ لعباده إذا ركبوا وإذا نزلوا أن يقولوا هذا، بل وإذا دخلوا بيوتهم وسلموا قالوا هذا ".

(٤) انظر تنوير المقباس (ص٢٨٦)، وانظر تفسير الحداد (٥/ ١٦).

(٥) تفسير الثعلبي(٧/ ٤٦)، تفسير الحداد(٥/ ١٦).

(٦) تفسير الحداد(٥/ ١٦).

(٧) تنوير المقباس (ص٢٨٦)، وانظر تفسير الطبري(١٩/ ٢٨)، تفسير الحداد (٥/ ١٦).

(٨) تفسير مقاتل(٣/ ١٥٦)، تفسير الثعلبي(٧/ ٤٦)، تفسير البغوي(٥/ ٤١٦)، تفسير الحداد (٥/ ١٦).

عليه السلام -[(١)] قال لهم: اعبدوا الله إلى أخر الآية.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

معناه: وقال الأشراف والرؤساء من قومه الذين جحدوا بالبعث والنشور ومتعناهم في الحياة الدنيا وأعطيناهم من نعيم العيش[(٢)]: ما هذا - يعنون هوداً عليه السلام[(٣)] - إلا أدمي مثلكم، يأكل من الطعام الذى تأكلون منه ويشرب من الذي تشربون منه، فليس هو أولى بالرسالة ولئن أطعتم أدمياً مثلكم، إنكم إذا لمغبونون[(٤)] وهذا القول منهم دليل غاية جهلهم، حيث عبدوا أصناماً، لا تضر ولا تنفع ولم يَعُدّوا ذلك خسراناً والأصنام أجسام مثلهم، بل دونهم ثم عدُّوا عبادة الله تعالى وطاعة هود - عليه السلام - خُسّراناً[(٥)]، قالوا: أيعدكم أنكم إذا متم وصرتم تراباً وعظاماً بالية أن تخرجوا من قبوركم[(٦)]، هيهات هيهات، أي: بعداً لما تُخَوّفون به من البعث بعد الموت[(٧)] وهذه كلمة استنكار واستبعاد وهي بمنزلة الأصوات وليست مشتقة من الفعل نحو صَه

---

(١) تفسير الحداد(٥/ ١٦)، ولعل المصنف ~ أراد بذلك أنه أول نبي يكون من نسل نوحٍ عليه الصلاة والسلام.

(٢) تفسير مقاتل(٣/ ١٥٦)، وانظر تفسير الطبري(١٩/ ٢٨).

(٣) تفسير مقاتل(٣/ ١٥٦).

(٤) انظر تنوير المقباس (ص٢٨٦-٢٨٧)، وانظر تفسير الطبري(١٩/ ٢٨).

(٥) تفسير الحداد(٥/ ١٧).

(٦) تنوير المقباس (ص٢٨٧)، وانظر تفسير الطبري(١٩/ ٢٩)، وانظر تفسير الثعلبي(٧/ ٤٦).

(٧) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤١٦)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٠) كلاهما عن قتادة بمثله.

ومَه[١]، إلا أن الغالب على هذه الأصوات الأمر والنهى، يُقال: هيهات هيهات ما قلت ويراد به البعد لقولك[٢] ويُقرأ هذا الحرف بسبع قراءات بالنصب والكسر والرفع والتنوين وغير التنوين والسكون[٣].

وأما قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ فمعناه: قالوا: ما هذه الحياة الدنيا إلا التى نحن فيها نموت ونحيى، أي: يموت قوم ويحي قوم آخرون[٤] وما نحن بمبعوثين بعد الموت وفي هذا أيضا بيان جهلهم؛ لأنهم إن كانوا مقرين بأن الله تعالى هو الذي أنشأهم هو القادر على النشأة الأولى وقادر على النشأة الثانية وإن كانوا يزعمون أن ذلك حصل طبعاً واتفاقاً، فلا يمتنع / أن يحصل ثانياً اتفاقاً. [ل٤١٨/ب]

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ﴾

معناه: ما هود - عليه السلام - إلا رجل، اختلق على الله كذباً[٥] بأنه رسول من الله تعالى إلينا وأنا نبعث وما نحن بمصدقين له بالرسالة، قال هود - عليه السلام -: يا رب، أعني عليهم بتكذيبهم إياي[٦] قال الله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ على تكذيبهم[٧]، فأخذتهم الصيحة بالحق، قيل: إنها كانت صوت جبريل - عليه السلام - صاح

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٢).

(٢) معاني القرآن للزجاج(٤/ ١٣-١٤).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٢)، وأورده الأزهري في تهذيب اللغة (٦/ ٢٥٦) نقلاً عن ابن الأنباري، المحتسب لابن جني (٢/ ٩٠-٩١)، تفسير الماوردي(٢/ ٤٨٠).

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٢/ ٤١٧) بمثله ولم ينسبه، وأورده ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٦٢) بمثله ولم ينسبه، تفسير الحداد(٥/ ١٨).

(٥) تنوير المقباس (ص٢٨٧)، تفسير الطبري(١٩/ ٣٢)، تفسير الحداد(٥/ ١٨).

(٦) تفسير الطبري(١٩/ ٣٢)، تفسير الحداد(٥/ ١٨).

(٧) تنوير المقباس (ص٢٨٧)، وانظر تفسير الطبري(١٩/ ٣٢)، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤١٨) بنحوه ولم ينسبه.

بهم صيحة واحدة، فماتوا جميعاً(١).

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾ أي: صيرناهم بعد الهلاك(٢)، كغثاء السيل وهو ما يكون على وجه السيل من القصب والحطب والأشجار الخاوية البالية(٣) المتفتتة، إذا جرى السيل، رأيت ذلك مخالطاً زبد السيل(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَبُعْدًا﴾ أي: بُعداً من رحمة الله تعالى(٥) للقوم الكافرين(٦).

قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾

معناه: ثم جعلنا من بعد هلاك قوم هود - عليه السلام - أهل أعصار آخرين، فسكنوا ديارهم إلى أن أُهلكوا بالتكذيب، لا تموت أمة قبل أجلها المضروب لها ولا يتأخر موعدهم عنه(٧). قيل: إن المراد بالأجل: أجل العذاب(٨)، أي: لا تعذب أمة قبل مجيء وقت العذاب ولا يهلك الله قوماً علم أن فيهم أو في من يكون من نسلهم أن يؤمن.

----

(١) تنوير المقباس (ص٢٨٧)، وانظر تفسير مقاتل(٣/ ١٥٧)، تفسير الحداد(٥/ ١٨).

(٢) انظر تفسير الطبري(١٩/ ٣٢)، تفسير البغوي (٥/ ٤١٨).

(٣) تفسير مقاتل(٣/ ١٥٧)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٣) عن مجاهد وابن جريج وقتادة بنحوه.

(٤) انظر القاموس المحيط (ص١٣١٧)، تاج العروس (٣٩/ ١٤١) مادة " غثو "، معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٣).

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٥٤) بمثله ونسبه لابن عيسى، تفسير الحداد (٥/ ١٨).

(٦) تنوير المقباس (ص٢٨٧)، تفسير الطبري(١٩/ ٣٣)، تفسير الحداد(٥/ ١٨).

(٧) انظر تنوير المقباس (ص٢٨٧)، وانظر تفسير الطبري(١٩/ ٣٣)، تفسير الحداد(٥/ ١٨).

(٨) تفسير مقاتل(٢/ ٣٥)، تفسير السمرقندي (٢/ ٢٧٩).

قوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾

معناه: ثم أرسلنا رسلنا متواترين بعضهم على أثر بعض(١)، كلما جاء قوماً رسولهم، كذبوا رسولهم، فاتبعنا بعضهم بعضاً في الهلاك والتعذيب(٢)، كما أتبع بعضهم بعضاً في الإنكار والتكذيب وجعلناهم أسماراً لمن بعدهم، يُتحدث بأمرهم وشأنهم(٣) ويُتمثل بهم في الشر ولا يُقال في الخير جعله حديثاً(٤) قال الله تعالى: في سورة سبأ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾(٥) والأحاديث: جمع أحدوثة وهي: الحديث العجيب(٦).

وقوله تعالى: ﴿تَتْرَا﴾يُقرأ بالتنوين وغير التنوين(٧)، فمن قرأه بالتنوين، فمعناه: وتراً أبدل التاء من الواو، كما قالوا: يولج وهو من ولج وأصله وولج(٨).

ومن قرأ بغير التنوين، فإنما جعلها فعلاً بألف التأنيث من المتراترة وهي

----

(١) تفسير مقاتل(٣/ ١٥٧)، مجاز القرآن لأبي عبيدة(٢/ ٥٩)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما، وابن زيد بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٧) بمثله ولم ينسبه.

(٢) تفسير مقاتل(٣/ ١٥٧)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٤) عن ابن عباس ومجاهد بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٧) بمثله ولم ينسبه.

(٣) تفسير مقاتل(٣/ ١٥٧)، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤١٨) بنحوه ولم ينسبه.

(٤) هو قول أبي عبيدة كما في مجاز القرآن(٢/ ٥٩)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٧) عن الأخفش بمثله، وذكره كذلك البغوي في تفسيره (٥/ ٤١٩) نقلاً عن الأخفش بمثله.

(٥) الآية (١٩) سورة سبأ.

(٦) انظر تهذيب اللغة (٤/ ٢٣٤)، مختار الصحاح (ص٦٨) مادة " حدث ".

(٧) قرأ ابن كثير وأبو عمرو چ تتراً چ: منونة، وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائى چ تترا چ بلا تنوين. السبعة (ص٤٤٦)، التيسير (ص١٥٩).

(٨) معاني القرآن للزجاج(٤/ ١٤)، معاني القراءات للأزهري(٢/ ١٩٠)، وانظر تفسير البغوي (٥/ ٤١٨).

المتتابعة[1]. يُقال: واترت الخبر، إذا اتْبعت بعضه بعضاً وبين الخبرين هُنَيهة[2].

وأصل هذا كله الوِتْر وهو الفرد، فيكون المعنى: جعلنا كل واحد من الرسل بعد صاحبه فرداً فرداً[3].

قوله ﷻ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾

أكثرها ظاهر المعنى والعالي: هو القاهر الغالب[4] كما قال تعالى ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[5] وكان قوم موسى وهارون عليهما السلام يطيعون[6] القبط طاعة العبد للمولى[7]، فمن ذلك قالوا: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾.

قوله ﷻ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾

معناه: أعطيناه التوراة[8]؛ ليهتدوا بها من الضلالة[9].

---

(١) معاني القراءات للأزهري (٢/ ١٩٠)، الحجة لأبي علي الفارسي(٥/ ٢٩٥)، حجة القراءات لابن زنجلة (ص٤٨٧).

(٢) أورده الزجاج في معانيه (٤/ ١٤) عن الأصمعي بمثله، وذكره الأزهري في تهذيب اللغة (١٤/ ٢٢٢) عن الأصمعي بمثله، مادة " تترى ".

(٣) معاني القرآن للزجاج(٤/ ١٤)، تهذيب اللغة (١٤/ ٢٢٢) مادة " تترى ".

(٤) انظر: تهذيب اللغة (٣/ ١٨٨)، و الصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٣٥)، و لسان العرب(١٥/ ٨٣-٨٥).

(٥) الآية (٤) سورة القصص.

(٦) تنوير المقباس (ص٢٨٧)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٨) بنحوه ولم ينسبه، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٥٥) بمثله ونسبه لابن عيسى، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤١٩) بنحوه ولم ينسبه.

(٧) يقول أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/ ٥٩) " كل من دان لملك هو عابد له، ومنه سمي أهل الحيرة العُبَّاد ".

(٨) تنوير المقباس (ص٢٨٧)، تفسير مقاتل(٣/ ١٥٨)، وانظر تفسير الطبري(١٩/ ٣٦)، وتفسير الثعلبي(٧/ ٤٨).

(٩) تنوير المقباس (ص٢٨٧)، تفسير مقاتل (٣/ ١٥٨).

قوله ﷻ ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾

معناه: جعلنا ولادة عيسي ﵇ - من غير أب-[1] دلاله على التوحيد والبعث[2] ولم يقل آيتين؛ لأن معني الآية فيهما واحد[3] ونفس الإعجاز ظهر فيهما لأنه ظهر على يدهما.

وقوله تعالى ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ﴾

معناه: ضممناهما إلى بقعة مرتفعة ذات استواء واستقرار وماء جار ظاهر[4] واختلفوا في هذه البقعة قال قتادة[5] ﵁: أريد بها بيت المقدس وهو أرفع موضع إلى الأرض وأقرب موضع إلى السماء[6] وقال أبوهريرة[7] ﵁: هي رملة بأرض

-----

(١) معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٤)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٦) عن قتادة بنحوه، تفسير الثعلبي(٧/ ٤٨).

(٢) انظر الطبري(١٩/ ٣٦)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٨) بمعناه ولم ينسبه.

(٣) معاني القرآن للزجاج(٤/ ١٤)، تفسير الثعلبي (٧/ ٤٨).

(٤) معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٤-١٥)، تنوير المقباس (ص٢٨٧)، وانظر تفسير الطبري(١٩/ ٣٦)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٤٩)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/ ١٩٦) مادة " ربا ".

(٥) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤١٦) بمثله عنه، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٨) بمثله عنه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٩) بمثله عنه.

(٦) معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٤).

(٧) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤١٧) بمثله عنه، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٧) قال حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا صفوان بن عيسى، قال: حدثنا بشر بن رافع، قال: حدثني ابن عم لأبي هريرة، يقال له: أبو عبدالله، قال: قال لنا أبو هريرة: الزموا هذه الرملة من فلسطين، فإنها الربوة التي قال الله: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾.

وفي سنده بشر بن رافع قال: عنه ابن حجر في التقريب (ص١٢٣) " ضعيف الحديث ". وفيه كذلك أبو عبدالله الدوسي ابن عم أبي هريرة ﵁، قال: عنه الذهبي في المغني (٢/ ٧٩٥) " لايعرف ".

وتعقب الإمام الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٨) هذا القول " بأن الرملة لا ماء بها معين "

فلسطين[(١)]، وروى الحسن وسعيد بن المسيب[(٢)] رضي الله عنه هي دمشق.

وأما المعين، قيل: أنه مفعول من العين[(٣)] وأصله معيون من قولهم عانت الركية تعين، إذا سالت بالماء وعنتها أعينها، أي: أسلتها ونظيره ثوب مخيط[(٤)] وقيل: إن المعين فعيل من الإمعان وهو: الإسراع[(٥)].

قوله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ / فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۢ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [ل٤١٩/أ]

قيل: إن الخطاب في أول هذه الآيات خطاب للنبي ﷺ،[(٦)] إلا أنه ذكر بلفظ الجماعة، لما في هذا الخطاب من تضمين أن الرسل جميعاً أمروا بهذا الخطاب[(٧)] وقيل لهم: كلوا من الطيبات، أي: من الحلال[(٨)] واعملوا صالحاً والعمل الصالح أن يكون

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤١٩) عن السدي بمثله.

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤١٦) بمثله عنه، والطبري في تفسيره (١٩/ ٣٧) بمثله عنه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٩) بمثله عنه.

قال الإمام الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٨) بعد ذكره للأقوال " وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك: أنها مكان مرتفع ذو استواء، وماء ظاهر ".

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٣٧).

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٥٤).

(٥) انظر لسان العرب (١٣/ ٤٠٩) مادة " معن ".

(٦) في هامش نسخة الأصل كُتِبَ بخط الناسخ (وقيل الخطاب لعيسى، وقيل لجميع الرُسل أي قولنا للرسل ذلك من عين المعاني).

(٧) معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٣٧)، ومعاني القرآن للزجاج(٤/ ١٥)، تفسير مقاتل (٣/ ١٥٨) بأقل منه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٩) عن الحسن ومجاهد بمثله. ولعل الأقرب أن الخطاب لجميع الرسل، كما قال الرازي في تفسيره (٢٣/ ٢٨١) " بأنه أوفق للفظ الآية ".

(٨) تنوير المقباس (ص٢٨٧)، تفسير مقاتل(٣/ ١٥٨)، معاني القرآن للزجاج(٤/ ١٥)، تفسير الثعلبي(٧/ ٤٩).

على وفق الأمر.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ بيان السبب الداعي إلى إصلاح العمل وذلك؛ لأن العاقل إذا عمل لمن يعلم أنه يعلم عمله وأنه يجازيه على ما يعلم من عمله، أصلح العمل.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: « إن الله تعالى طيب لايقبل إلا طيباً وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال عز من قائل: ﴿يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ وقال تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[١] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب يارب مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له »[٢] ويُروي عن عيسي عليه السلام أنه كان يأكل من غزل أمه[٣] وكان نبينا ﷺ يقول: « جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الصغار والذل على من خالفني »[٤] فيبين أن رزقه من الغنيمة

----

(١) الآية (١٧٢) سورة البقرة.

(٢) رواه مسلم في صحيحة (٢/ ٧٠٣) " كتاب الزكاة / باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها / ح١٠١٥ " من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) معاني القرآن للزجاج(٤/ ١٥)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٠) عن عمرو بن شرحبيل بمثله، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٩) عن عمرو بن شرحبيل بمثله، قال ابن عطية في تفسيره (٤/ ١٤٦) " والمشهور أنه كان يأكل من بقل البرية ".

(٤) هو طرف من حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٩/ ١٢٣) برقم (٥١١٤) قال: حدثنا محمد بن يزيد يعني الواسطي، أخبرنا ابن ثوبان، عن حسان بن عطية، عن أبي منيب الجرشي، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ((بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة، والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم)). وفيه أبي مُنِيب الجُرَشي، قال عنه ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٩٨) " وأبو منيب لا يعرف اسمه "، وفي الإسناد أيضاً عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان قال عنه ابن حجر في التقريب (ص٣٣٧) " صدوق يخطىء ورمي بالقدر وتغير بأخرة " وعليه فالإسناد ضعيف؛ لأن فيه من هو مجهول ومن هو مختلط.

" و الحديث فيه إشارة إلى فضل الرمح وإلى حل الغنائم لهذه الأمة وإلى أن رزق النبي ﷺ جعل فيها لا في
=⇦

وأطيب الطيبات الغنيمة[1].

وقوله تعالى﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾قيل في معناه: دينكم ودين من قبلكم واحد[2]، وقيل: جماعتكم وجماعة من قبلكم جماعة واحدة[3]، كلكم عباد الله تعالى ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ﴾فاتقوا عذابي وافعلوا ما أمرتكم به واتركوا مانهيتكم عنه وفي هذا بيان أن إعتقاد جميع الرسل وأممهم واحد فيما يرجع إلى معرفة الرب وعبادته واتقاء معاصيه وأما شرائع الأنبياء - عليهم السلام- تختلف باختلاف مصالح العباد، كما يُقال في الحائض والطاهرة من النساء: أن دينهن واحد وإن إفترقت حالهما في التعبد بالصلاة والصوم[4].

وقوله تعالى ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ ﴾

معناه: فرقوا أمر الله تعالى بينهم، فجعلوا دينهم في الحيض[5] أدياناً مختلفة، وهذا كما يُقال: تصدق، أي: أعطي الصدقة ويُقال معني تقطعوا: تفرقوا أمرهم فرقاً فرقاً[6].

= غيرها من المكاسب ولهذا قال بعض العلماء إنها أفضل المكاسب ". انظر فتح الباري لابن حجر (٦/ ٩٨).

(١) معاني القرآن للزجاج(٤/ ١٥). لقوله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ (الأنفال: ٦٩)

(٢) تنوير المقباس (ص٢٨٨)، وانظر تفسير مقاتل(٣/ ١٥٨)، معاني القرآن للزجاج(٤/ ١٥)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤١) عن ابن جريج بمثله، وذكره ابن كثير في تفسيره (٥/ ٣٧١) عن مجاهد وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم بمثله.

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٥٧) حكاية عن ابن عيسى بمثله، وذكره البيضاوي في تفسيره (٤/ ٨٩) بمثله ولم ينسبه.

(٤) تفسير الرازي(٢٣/ ٢٨١).

(٥) سقطت (الحيض): من نسخة (ب).

(٦) تنوير المقباس (ص٢٨٨)، تفسير الرازي(٢٣/ ٢٨١).

وقوله تعالى﴿زُبُرًا﴾ من قرأ بضم الباء[(١)] جمع زبور ومعناه: كتباً[(٢)] مختلفة دانوا بها وكفروا بما سواها، كاليهود ءامنوا بالتوراة وكفروا بالإنجيل والقرآن. والنصارى ءامنوا بالإنجيل وكفروا بالقرآن[(٣)]، ومن قرأ بنصب الباء، فهو جمع زبره[(٤)] ومعناه: قطعاً وجماعات[(٥)] ومنه قوله تعالى ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾[(٦)] أي: قطع الحديد[(٧)].

وقوله تعالى ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾

معناه: كل طائفة بما عندهم من الاعتقاد معجبون[(٨)]، فاتركهم في ضلالتهم[(٩)] وجهالتهم[(١٠)] إلى أن تأتيهم بما وعدوا به من العذاب[(١١)]، ويُقال: إلى أن يموتوا،

----

(١) قرأ " زبُراً " بضم الباء نافع. المحرر الوجيز(٤/ ١٤٧)، تفسير القرطبي(١٢/ ١٣٠).

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤١٧) عن قتادة بمثله، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٢) عن مجاهد وقتادة بمثله، معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٦)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٩) عن مجاهد وقتادة بمثله.

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٤١).

(٤) وهي قراءة الأعمش وأبي عمرو بخلاف عنه. انظر: إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري (٢/ ١٥٩)، تفسير القرطبي (١٢/ ١٣٠)، تفسير البحر المحيط (٧/ ٤٦٥).

(٥) تفسير مقاتل(٣/ ١٥٩)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٦)، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤٢٠) بنحوه ولم ينسبه.

(٦) الآية (٩٦) سورة الكهف.

(٧) انظر معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٣٨)، ومعاني القرآن للزجاج(٤/ ١٦)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٤٩) بمثله ولم ينسبه.

(٨) تنوير المقباس (ص٢٨٨)، معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٣٨)، تفسير الثعلبي(٧/ ٤٩).

(٩) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤١٧) عن قتادة بمثله، وذكره الثعلبي (٧/ ٤٩) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله.

(١٠) تنوير المقباس (ص٢٨٨)، معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٣٨).

(١١) معاني القرآن للزجاج(٤/ ١٦).

فيظهر لهم الحق من الباطل عند المعاينة في القيامة[(١)].

قوله ﷻ: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾

معناه: أيظنون إمدادنا إياهم بالمال والبنين مسارعة منا لهم في الخيرات لكرامتهم علينا ومنزلتهم عندنا؟ بل لا يشعرون أن ذلك استدراج لهم وإملاء إلى حين[(٢)].

قوله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾

أي: من خشية عذاب ربهم[(٣)] مشفقون، أي: حذرون وإنما أضاف الخشية إلى نفسه تعظيماً لشأن العذاب.

قوله ﷻ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾

فقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾

أي: يصدقون ولا يشركون به غيره[(٤)] والذين يعطون ما أعطوا من المال ويعملون ما عملوا من الصالحات وقلوبهم وجلة، أي: فَزِعَة[(٥)]، أنهم إذا صاروا إلى الآخرة لم يقبل ذلك منهم؛ لتقصير وجد منهم[(٦)].

---

(١) ذكره الرازي في تفسيره (٢٣/ ٢٨٢) بنحوه ولم ينسبه.

(٢) انظر تفسير مقاتل (٣/ ١٥٩)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٦)، تفسير الثعلبي(٧/ ٤٩).

(٣) تنوير المقباس (ص٢٨٨)، تفسير مقاتل(٣/ ١٥٩)، وذكره الرازي في تفسيره (٢٣/ ٢٨٣) عن الكلبي ومقاتل بمثله.

(٤) انظر تنوير المقباس (ص٢٨٨)، تفسير مقاتل(٣/ ١٥٩).

(٥) انظر تنوير المقباس (ص٢٨٨)، ورواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤١٨)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٤٥) عن قتادة بمثله، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤٢١) عن الحسن بمثله.

(٦) تنوير المقباس (ص٢٨٨)، وانظر معاني القرآن للزجاج(٤/ ١٧)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما، ومجاهد، والحسن بنحوه.

أهل هذه الصفة هم الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون، أي: من أجل مسارعتهم في الخيرات سابقون في الجنة[١]، ويجوز أن يكون معنى لها: إليها[٢] كما في قوله ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[٣]، أي: إليها. قال الحسن رضي الله عنه: لقد أدركت أقواماً كانوا على حسناتهم ألا تقبل منهم أشفق منكم على سيئاتكم ألا تغفر لكم[٤].

قوله عز وجل ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

معناه: ولا نكلف نفساً إلا مقدار طاقتها[٥] وعند ملائكتنا المقربين / كتاب [ل٤١٩/ب] يشهد لكم وعليكم بالحق، يريد به صحائف الأعمال[٦] وإنما قال ذلك - وإن كان الله تعالى لم يزل عالماً به - ليكون أبلغ في التنبيه والتحذير ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم[٧].

----

(١) النكت والعيون(٤/ ٥٩)، الدر المصون للسمين الحلبي(٨/ ٣٥٣).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٧)، وانظر تفسير الطبري(١٩/ ٤٧-٤٨)، تفسير الثعلبي(٧/ ٥١). واختار الإمام الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٨) قول ابن عباس رضى الله عنهما، قال: " وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله ابن عباس، من أنه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم في الخيرات، ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها، وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام؛ لأن ذلك أظهر معنييه، وأنه لا حاجة بنا إذا وجهنا تأويل الكلام إلى ذلك، إلى تحويل معنى "اللام" التي في قوله: ﴿لَهَا سَابِقُونَ﴾ إلى غير معناها الأغلب عليها ".

(٣) الآية (٥) سورة الزلزلة.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٥) عن الحسن بمعناه، وذكره ابن أبي زمنين في تفسيره (٣/ ٢٠٤) عن الحسن بمثله، وانظر تفسير القرطبي(١٢/ ١٣٢).

(٥) تنوير المقباس (ص٢٨٨)، تفسير مقاتل(٣/ ١٦٠).

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٥١) بنحوه ولم ينسبه، ثم قال: " وهو أليق بظاهر الآية ".

(٧) تنوير المقباس (ص٢٨٨)، تفسير الثعلبي(٧/ ٥١).

وقوله ﷻ ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾

معناه: بل قلوب أهل مكة في غفلة(١) من هذا الذي تقدم ذكره من أعمال البر(٢) ولهم أعمال، أي: خطايا سوي ذلك هم لتلك الخطايا عاملون(٣) ويجوز أن يكون قوله ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ إشارة إلى الكتاب الذي ينطق بالحق، أي: بل قلوبهم في غمرة من ذلك الكتاب وأعمالهم التي عملوها محصاة فيه(٤) ولهم أعمال من دون ما هم عليه لابد من أن يعملوها(٥) وهو ما سبق في علم الله أنهم يعملونها.

والغمرة: هي الغطاء الذي قد غمر القلوب وغلب عليها(٦)، ويُقال: الغمرة الغفلة(٧) التي تغطي القلوب وقوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ﴾ أي: منعميهم(٨) بالعذاب، أي: بالقتل يوم بدر(٩) وبما يرون من العذاب وقت المعاينة.

﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ أي: يضجون ويصرخون(١٠) بالتوبة وقوله ﴿لَا تَجْأَرُوا

---

(١) تنوير المقباس (ص٢٨٨)، تفسير مقاتل (٣/ ١٦٠)، تفسير الثعلبي(٧/ ٥١).

(٢) معاني القرآن للزجاج(٤/ ١٧).

(٣) تفسير مقاتل(٣/ ١٦٠)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٥١) بنحوه ولم ينسبه، وذكره أيضاً البغوي في تفسيره (٥/ ٤٢٢) بمعناه ولم ينسبه.

(٤) انظر تنوير المقباس (ص٢٨٨)، معاني القرآن للزجاج(٤/ ١٧-١٨).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ١٦٠)، معاني القرآن للزجاج(٤/ ١٨)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٩) عن مجاهد بمثله، تفسير الثعلبي(٧/ ٥١).

(٦) معاني القرآن للزجاج(٢/ ٢٧٢)، وانظر تهذيب اللغة (٨/ ١٢٧) مادة " غمر "، والصحاح (٢/ ٧٧٢)، ولسان العرب(٥/ ٢٩).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ١٦٠).

(٨) تفسير ابن كثير(٥/ ٤٨٢).

(٩) تفسير مقاتل (٣/ ١٦١)، ورواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤١٨) عن قتادة بنحوه، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٥٠) عن مجاهد بمعناه.

(١٠) انظر تفسير مقاتل (٣/ ١٦١)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٨)، وذكره الأزهري في تهذيب اللغة (١١/ ١٢١) مادة " جأر" عن السدي بمعناه.

﴿ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ وعيد لهم، كالاستهزاء مثل قوله ﴿لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ﴾[1] والجُؤار: رفع صوت المتضرع، كما يجأر الثور[2].

وقوله ﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: دلالاتي تقرأ عليكم في الدنيا[3] ﴿فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ﴾ أي: تولون مدبرين والنكوص: هو الرجوع قهقرى وهو أقبح أنواع المشي وأقرب إلى الهلاك وأشبه بصنع الجهال[4].

قوله ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ﴾ أي: متعظمين ببيت الله الكعبة[5]، وقيل: بحرم الله[6] أي: لا يظهر عليكم أحد.

وقوله ﴿سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ﴾ أي: سماراً تهجرون القرآن والنبي ﷺ[7] والهَجْر: هَجْر

---

(١) جزء من الآية (١٣) سورة الأنبياء.

(٢) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (١١/ ١٢١-١٢٢) مادة " جأر " عن الليث بنحوه، تفسير الثعلبي(٧/ ٥١).

(٣) انظر تنوير المقباس (ص٢٨٨).

(٤) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٥٥)، وأورده الزجاج في معانية (٤/ ١٨) بأقل منه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٥٢) بأقل منه ولم ينسبه.

(٥) تنوير المقباس (ص٢٨٨)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٣٩)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٥٥)، معاني القرآن للزجاج(٤/ ١٨).

(٦) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤١٩) عن قتادة بمثله، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٥٣) عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة بنحوه.

وذكر الزمخشري في تفسيره (٣/ ١٩٤)، وكذلك السمين الحلبي في تفسيره (٨/ ٣٥٨) وجهاً أخر وهو أن الكناية في " به" تعود للقرآن و " مستكبرين " ضُمِّن معنى مكذبين فعدى بالباء، وهو مناسب للسياق قبلها ﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ﴾.

(٧) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤١٩)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٥٥-٥٦) عن الحسن بنحوه، تفسير الثعلبي (٧/ ٥٢).

الحق بالإعراض عنه[(١)]، وقد يُقال: هَجَرَ المريض إذا هذى في كلامه[(٢)] والسمر: الحديث بالليل[(٣)] كانوا يتحدثون حول الكعبة في أوائل الليالي بالطعن في النبي ﷺ وفي الإسلام والمسلمين وإنما وحّد سامراً؛ لأنه في موضع المصدر، كما يُقال: قوموا قائماً، أي: قياماً[(٤)] ومن قرأ تُهجِرون بضم التاء[(٥)]، فليس هو إلّا من الهُجر: وهو الفحش من الكلام وذلك أنهم كانوا يسبون النبي ﷺ[(٦)].

وفي المثل السائر " من أكثر أهجر "[(٧)] وقد قيل في المثل: " من كثر هُجره وجب هَجره "[(٨)].

فقوله ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ الْقَوْلَ ﴾

معناه: أفلم يدبروا القرآن في حسن لفظه ونظمه وكثرة فوائده ومعانيه مع سلامته من التناقض[(٩)] والاختلاف؟ فيعلموا أنه من عند الله[(١٠)] ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا﴾

----

(١) انظر: الصحاح للجوهري (٢/ ٨٥١) مادة " هجر "، تفسير الطبري(١٩/ ٥٤)، لسان العرب(٥/ ٢٥١-٢٥٤).

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٣٩)، وانظر معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٨)، الصحاح للجوهري (٢/ ٨٥١)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٥٥) عن ابن زيد بنحوه.

(٣) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢/ ٢٩٠-٢٩١) مادة " سمر "، الصحاح للجوهري(٢/ ٦٨٨)، لسان العرب (٤/ ٣٧٧).

(٤) انظر تفسير الطبري (١٩/ ٣٥)، وذكره الثعلبي (٧/ ٥٢) بنحوه ولم ينسبه.

(٥) قرأ نافع " تُهجِرون " بضم التاء وكسر الجيم، وقراءة الباقين بفتح التاء وضم الجيم. السبعة لابن مجاهد (ص٤٤٦)، التيسير (ص١٥٩).

(٦) معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٨)، الصحاح للجوهري (٢/ ٨٥١)، تفسير الثعلبي(٧/ ٥٢).

(٧) سبق تخريجه (ص٧٦).

(٨) سبق تخريجه (ص٧٦).

(٩) تنوير المقباس (ص٧٥)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٥٢) بأقل منه ولم ينسبه، النكت والعيون للماوردي (١/ ٥١٠)

(١٠) تفسير الحداد(٥/ ٢٥).

أمر بديع[1] ﴿لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ وذلك أنهم كانوا يعلمون أن الرسل قد أرسلوا إلى من قبلهم، فبين أنه تعالى أرسل إليهم، كما أرسل إلى الذين من قبلهم[2] ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ بالصدق والأمانة قبل إظهار الدعوة؛ فيتهمونه على مايدعوهم إليه[3] ﴿فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ ليصدّوا عنه ويصرفوا الوجوه عنه وقد كانوا ينسبونه إلى الجنون؛ لدعائه إياهم إلى ما لا مطمع لهم فيه عندهم، كما يقول الرجل للآخر أعطني مالك كله واصبر على الفقر فينسبه المخاطب إلى الجنون[4].

قوله ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾

معناه: لو وضع الحق على أهوائهم[5]، لهلك أهل السماوات والأرض وذلك أن الحق يدعو إلى المحاسن والهوى يدعو إلى المقابح ولو جُعل الهوى متبوعاً، لبنيت الأمور على الظلم والجاهلات والضلالات، فتختلط الأمور أقبح الاختلاط ولم يوثق بالوعد والوعيد، فأدى ذلك إلى الفساد[6]؛ لأن الهوى: هو ميل النفس إلى المشتهى من غير داعي الهدى[7].

---

(١) تفسير الحداد(٥/ ٢٥).

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤٢٣)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٦٧) بمعناه ولم ينسباه.

(٣) انظر تفسير الطبري(١٩/ ٥٦)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٥٢) بأقل منه ولم ينسبه، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤٢٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمعناه.

(٤) تنوير المقباس (ص٢٨٨)، وانظر تفسير الطبري(١٩/ ٥٦)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٥٢) بنحوه ولم ينسبه.

(٥) تنوير المقباس (ص٢٨٩)، تفسير مقاتل (٣/ ١٦١).

(٦) تفسير الحداد (٥/ ٢٦).

(٧) التوقيف على مهمات التعاريف / المؤلف: عبدالرؤوف الحدادي ثم المناوي(المتوفى: ١٠٣١هـ)-الناشر: ⇐

ويُقال: في معنى الآية ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ فيما يعتقدون من الآلهة، لفسدت السماوات والأرض[1] كقوله ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾[2].

وقوله ﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ﴾ أي: أعطيناهم القرآن الذي فيه عزهم وشرفهم[3] وأمروا بالعمل بما فيه، فهم عن القرآن معرضون وهو نظير قوله ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾[4][5].

وقوله ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا﴾

معناه: أتسألهم على تبليغ الرسالة جُعلاً[6]؟ فيتثاقلون لذلك [لأن من][7] دعا غيره إلى دين أو علّمه علماً وأخذ منه العوض أورث ذلك تهمة في حاله وريبة في أمره/. [ل٤٢٠/أ] وقوله ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞ﴾ أي: ما وعد الله لك من الثواب والأجر في الآخرة خير من الدنيا والآخرة[8] ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي: أفضل

= عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ -(ص٣٤٤)، والكليات للكفوي (ص٩٦٢).

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤٢٤) بنحوه وعزاه للفراء والزجاج ولم أقف عليه من كلام الفراء ولا الزجاج.

(٢) الآية (٢٢) سورة الأنبياء.

(٣) تنوير المقباس (ص٢٨٩)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٩)، تفسير الثعلبي(٧/ ٥٢).

(٤) الآية (٤٤) سورة الزخرف.

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٦٣) عن السدي بنحوه، وذكره البغوي (٥/ ٤٢٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه.

(٦) انظر تفسير مقاتل(٣/ ١٦٢)، وأورده الزجاج في معانيه (٤/ ١٩) بمعناه، تفسير الثعلبي(٧/ ٥٢). والجُعل: هو الأجرة على الشيء فعلاً أو قولاً. انظر: الصحاح (٤/ ١٦٥٦)، النهاية في غريب الحديث والأثر / المؤلف: أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية، (١/ ٢٧٦).

(٧) مطموسة من نسخة الأصل، والتصويب من نسخة (ب).

(٨) تنوير المقباس (ص٢٨٩)، وانظر تفسير مقاتل(٣/ ١٦٢)، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤٢٤) بمعناه ولم ينسبه.

المعطـين[١] ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: إلى طريـق قـائم يرضـاه وهـو الإسلام[٢]، والخرج والخراج كلاهما مصدران، لا يجمعان[٣].

وقوله ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ﴾ والذين لا يصدقون بالقيامة[٤].

﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ دين الحق ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾ أي: عـادلون مـائلون[٥]، ويُقـال: إنهـم في الآخرة عن صراط جهنم يسقطون يمنه ويسره[٦].

﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ من الشدة التى أصابت أهل مكة من الجـوع والقحـط[٧] ﴿لَّلَجُّواْ﴾ أي: تمـادوا ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ ضـلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحـيرون ويـترددون، ويُقـال: ولـو رحمنـاهم في الآخـرة، فرددنـاهم مـن طريـق النـار إلى الـدنيا، لعـادوا إلى الكفـر[٨]، كـما قـال ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾[٩] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ بعذاب الدنيا من الجـوع[١٠] ونقـص الـرزق وذلـك حين دعـا النبي ﷺ عليهم فقال:

---

(١) تنوير المقباس (ص٢٨٩)، انظر تفسير السمرقندي(٢/ ٤٨٦).

(٢) تنوير المقباس (ص٢٨٩)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٥٢) بمثله ولم ينسبه.

(٣) تفسير التبيان للطوسي(٧/ ٣٨٣).

(٤) انظر تنوير المقباس (ص٢٨٩)، تفسير مقاتل(٣/ ١٦٢).

(٥) تفسير مقاتل(٣/ ١٦٢)، معاني القرآن للزجاج(٤/ ١٩)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٥٩) عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله، تفسير الثعلبي(٧/ ٥٣).

(٦) تفسير الحداد(٥/ ٢٧).

(٧) تنوير المقباس (ص٢٨٩)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٥٩) عن ابن جريج بأقل منه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٥٣) بنحوه ولم ينسبه.

(٨) تفسير الحداد(٥/ ٢٧).

(٩) جزء من الآية (٢٨) سورة الأنعام.

(١٠) تفسير مقاتل(٣/ ١٦٢)، معاني القرآن للزجاج(٤/ ١٩)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٥٣) بنحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما.

« اللهم سنى كسنى يوسف؛ فجاعوا حتى أكلوا العِلهِز[1]»[2] وهو: الوَبرُ بالدم فما ﴿ٱسۡتَكَانُواْ﴾ خضعوا لربهم.

﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ ولا تضرعوا. إنهم قوم إذا أخذوا بالعذاب، لم يخضعوا وإذا

---

(١) العِلْهِز: شيء يتخذونه في سني المجاعة يخلطون الدم بأوبار الإبل ثم يشوونه بالنار ويأكلونه. انظر: النهاية في غريب الحديث(٣/ ٢٩٣).

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٤) (كتاب التفسير / سورة المؤمنون / ح١١٢٨٩)، وابن حبان في صحيحه / المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)-المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ-(٣/ ٢٤٨) (كتاب الرقائق/ باب: الأدعية " ذكر السبب الذي من أجله أنزل الله ﴿فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ / ح٩٦٧) كلهم من طريق علي بن الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: " جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أنشدك الله والرحم، فقد أكلنا العلهز – يعني الوبر والدم – فأنزل الله ﷻ ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]"

وفيه علي بن الحسين بن واقد. قال: عنه الحافظ ابن حجر في التقريب (ص٤٠٠) " صدوق يهم "، ولكنه قد توبع على ذلك فقد روى الحاكم في " مستدركه " (٢/ ٤٢٨) من طريق علي بن الحسين بن شقيق، عن الحسين بن واقد، عن يزيد، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما به.

قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧/ ٢٩٨ " علي بن الحسن بن شقيق بن دينار بن مشعب العبدي مولاهم أبو عبدالرحمن المروزي روى عن الحسين بن واقد وخارجة بن مصعب وابن المبارك وعبد الوارث بن سعيد وإبراهيم بن طهمان وأبي حمزة السكري وأبي المنيب العتكي وغيرهم روى عنه البخاري وآخرون قال أبو داود عن أحمد لم يكن به بأس وكان عالما بابن المبارك وقال أبو حاتم هو أحب إلي من علي بن الحسين بن واقد " فهذه الطريق تقوي الأولى.

وقد قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٤٨٧): وأصله في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ دعا على قريش حين استعصوا فقال: "اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف". أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٣١) (كتاب التفسير / باب: قوله نعالى: ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾ / ح٤٨٢٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٥٥) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار / باب: الدخان / ح ٢٧٩٨) من حديث ابن مسعود ﷺ.

كشف العذاب عنهم، لم يشكروا[١] والاستكانة: طلب السكون[٢] والتضرع: طلب كشف البلاء من القادر عليه[٣].

وقوله ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴾ قيل: أنه القتل يوم بدر[٤] وقيل: أنه عذاب الآخرة[٥] ﴿إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴾ أي: آيسون متحيرون[٦] والإبلاس الإياس مع التحير[٧] وقوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ أي: خلق لكم السمع، تسمعون به والأبصار تبصرون بها والقلوب تعقلون بها، فشكركم فيما صنع إليكم قليل[٨] وهو الذي ذرأكم، أي: خلقكم[٩] في الأرض وإليه تحشرون وإلى موضع الحساب والجزاء تجمعون[١٠] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾

---

(١) تفسير الحداد(٥/ ٢٧).

(٢) تفسير الثعلبي(٧/ ٥٣)، تفسير الحداد(٥/ ٢٧).

(٣) انظر التوقيف على مهمات التعاريف (ص١٦٦).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٦١) عن ابن عباس وابن جريج بمثله، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٦٤)، والبغوي في تفسيره (٥/ ٤٢٥) كلاهما عن ابن عباس بمثله.

(٥) نسبه الماوردي في تفسيره (٤/ ٦٤) إلى بعض المتأخرين، وحكاه ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٦٨) عن الماوردي بمثله.

(٦) تنوير المقباس (ص٢٨٩)، وانظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٥٦)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٠)، تفسير السمعاني (٣/ ٤٨٦).

(٧) انظر جمهرة اللغة (١/ ٣٤٠)، و تفسير ابن فورك / المؤلف: محمد بن الحسن بن فورك (المتوفى: ٤٠٦هـ)- دراسة وتحقيق: علال بندويش، الناشر: جامعة أم القرى - (١/ ٨٩)، ومختار الصحاح (ص٣٩) مادة " ب ل س "، تفسير الحداد٥/ ٢٨

(٨) تنوير المقباس (ص٢٨٩).

(٩) تنوير المقباس (ص٢٨٩)، تفسير مقاتل(٣/ ١٦٣).

(١٠) تفسير الحداد(٥/ ٢٨).

أي: يحييكم في أرحام الأمهات ويميتكم عند انقضاء أجالكم[1] وله ملك اختلاف الليل والنهار، واختلافهما مرورهما يوماً بعد ليلة وليلة بعد يوم[2]، كما يُقال إذا أتى الرجل الدار مرة بعد مرة، فهو يختلف إلى هذه الدار[3] ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أدلة الله تعالى وتستدلون بها على وحدانيته وصفته[4] ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ أي: لم يعقلوا أدلتنا ولم يستدلوا بها علينا، بل كذبوا بالبعث، كما كذب آباوهم قبلهم[5].

﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ لمحيون بعد الموت[6] ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: خوفنا بهذا الذي يخوفنا به من قبل إن خوفتنا[7]، ما هذا الذي يقول محمد ﷺ ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ﴾ أحاديث الأولين[8] والأساطير: ما يكتب للتسامر بالليل[9]، قل لهم يامحمد: لمن الأرض ومن فيها من الخلق[10] والعجائب، أجيبوا إن كنتم تعلمون، ثم أجاب الله عنهم؛ لمَّا علم أنهم لا يجيبون، فقال عز من قائل: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ﴾ لهم يامحمد ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتستدلون على أن من له ملك السماوات والأرض وما فيهما قادر على البعث والنشور؛ فإن من ملك الأرض وما

----

(١) تفسير الحداد(٥/ ٢٨).

(٢) تفسير ابن فورك(١/ ٩٠)، تفسير الحداد (٥/ ٢٨).

(٣) انظر الصحاح للجوهري (٤/ ١٣٥٥) مادة " خلف "، تفسير ابن فورك (١/ ٩٠)، وانظر مختار الصحاح للرازي (ص٩٥).

(٤) تفسير الحداد(٥/ ٢٨).

(٥) انظر تنوير المقباس (ص٢٨٩)، تفسير الحداد (٥/ ٢٨).

(٦) تنوير المقباس (ص٢٨٩).

(٧) تفسير الحداد (٥/ ٢٩).

(٨) تنوير المقباس (ص٢٨٩)، تفسير مقاتل (٣/ ١٦٣).

(٩) انظر تهذيب اللغة (١٢/ ٢٢٩-٢٣٠)، تفسير ابن فورك (١/ ٩٢)، وانظر لسان العرب (٤/ ٣٦٣).

(١٠) تفسير مقاتل (٣/ ١٦٣)، تفسير الحداد (٥/ ٢٩).

فيها، ملك إنشاءها بعد هلاكها[1] ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ﴾ وخالق السرير[2] ﴿ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ عقابه على إنكار البعث وإضافة الشريك والولد إليه[3] وإذا قُرئ لله[4]، فهو جواب على معنى السؤال لا على لفظه، كما يقول الرجل لآخر: من صاحب هذه الدار؟ فيجيبه المخاطب، فيقول لزيد ويُقال للعبد: مَن مولاك؟ فيقول: أنا لفلان[5].

﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: من الذي له خزائن كل شيء[6] ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ وهو يعقد الأمان لمن شاء[7] ولا يقدر أحد على نقض أمانه ولا يعقد عليه الأمان[8]، أجيبوا إن كنتم تعلمون[9]. سيقولون لله ملكوت كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه، فجوابه على المعنى دون اللفظ[10]، قل لهم ﴿ فَأَنَّىٰ

[ل٤٢٠/ب]

(١) انظر تفسير الطبري(١٩/ ٦٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٥٤)، تفسير الحداد(٥/ ٢٩).

(٢) تنوير المقباس (ص٢٨٩).

(٣) انظر تفسير الحداد(٥/ ٢٩).

(٤) قرأ البصريان بزيادة همزة وصل وفتح اللام وتفخيمه ورفع الهاء من لفظ الجلالة فيهما، والباقون بحذف همزة الوصل وبلام مكسورة ولام مفتوحة مرققة وخفض الهاء من لفظ الجلالة فيهما، ولا خلاف بينهم في الأول، وهو: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أنه بلام مكسورة وأخرى مفتوحة رقيقة مع خفض الهاء. انظر: السبعة (ص٤٤٧)، والنشر(٢/ ٣٢٩)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (ص٢٢٠).

(٥) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٠)، معاني القراءات للأزهري (٢/ ١٩٤).

(٦) تنوير المقباس (ص٢٩٠)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٦٥) عن مجاهد قال: " ﴿ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ " أي: خزائن كل شيء، وانظر النكت والعيون (٤/ ٦٥)، تفسير القرطبي (١٢/ ١٤٥).

(٧) تفسير الثعلبي(٧/ ٥٤).

(٨) تفسير مقاتل (٣/ ١٦٤)، وانظر تفسير الحداد (٥/ ٢٩).

(٩) انظر تفسير البغوي (٥/ ٤٢٦).

(١٠) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٠)، معاني القراءات للأزهري (٢/ ١٩٤).

﴿تُسۡحَرُونَ﴾ أي: تصرفون عن الحق إلى ما ليس له أصل ولا حقيقة[١] وقد ألقي إليكم حقائق / الأدلة[٢] ويجوز أن يكون تسحرون: جواباً عن قولهم ﴿بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾[٣] قوله ﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: جئناهم بالحق وبينا لهم الحق ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيما يضيفون إلى الله تعالى من الولد والشريك[٤] ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ﴾ لا على سبيل الاستيلاد ولا على الإضافة وهو رد على اليهود في قولهم: عزير ابن الله وعلى النصارى في قولهم: المسيح ابن الله وعلى من قال من المشركين: إن الملائكة بنات الله[٥] وقوله ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍ﴾ رد على عبدة الأوثان في إتيانهم مع الله آلهة أخرى[٦].

وقوله ﴿إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾ معناه: لو كان معه إله لانفرد كل إله بخلقه؛ لأنه لا يرضى أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره[٧] ﴿وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ أي: ولطلب بعضهم قهر بعض[٨] ولم ينتظم أمرهما، كما لا ينتظم أمر بلد فيه ملكان قاهران[٩] وإذا غلب أحدهما الآخر، لم يجز أن يكون المغلوب العاجز إلهاً، فوجب أن

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤١)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٠)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٢٩).

(٢) تفسير الحداد (٥/ ٢٩).

(٣) الآية (١٥) سورة الحجر.

(٤) انظر تنوير المقباس (ص٢٩٠)، وانظر تفسير الطبري(١٩/ ٦٦)، تفسير الحداد (٥/ ٣٠).

(٥) انظر تنوير المقباس (ص٢٩٠)، تفسير مقاتل (٣/ ١٦٤).

(٦) انظر تنوير المقباس (ص٢٩٠)، تفسير يحيى بن سلام(١/ ٤١٤)، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤٢٧) بأقل منه لم ينسبه.

(٧) انظر تنوير المقباس (ص٢٩٠)، معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٤١)، وانظر تفسير الطبري (١٩/ ٦٦)، تفسير البغوي (٥/ ٤٢٧)، تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢٧٠).

(٨) انظر تنوير المقباس (ص٢٩٠)، وانظر تفسير مقاتل (٣/ ١٦٤)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٠).

(٩) تفسير الحداد(٥/ ٣٠).

الإلـه واحـد[1] ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أي: تنزيهـاً لله ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ مـن اتخـاذ الولـد والشريك ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: عالم ما غاب عن العباد[2] وماعلمه العباد ولا يأتي إلا بالحق وهم يأتون بالجهل، فتعالى الله عما يشركون، أي: تعالى في صفته عن كل شيء[3]

قولـه ﷻ ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ معنـاه: قـل يـا محمـد: إن أريتنـي مـا توعـدون مـن العـذاب[4] ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: مـنهم وفي هـذا دليل جواز دعاء العبد ما يعلم أن الله تعالى يفعله وهو على طريق إظهار الرغبة فيما عند الله والتعبد له[5] قوله ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ أي: نحن قـادرون على تعذيبهم، لكن الإمهال لحكمة تقتضى ذلك[6].

وقولـه ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أي: بالمقالـة التـى هـي أحسن ما يقصد به من الأذية وذلك أن يذكر الحجة في فساد المنكر وعظاً للصرف عنه على طريق التلطف في الاستدعاء إلى الحق[7] كما قـال تعـالى ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾[8] وكـان

----

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤٢٧) بمعناه ولم ينسبه.

(٢) تنوير المقباس (ص٢٩٠)، تفسير يحيى بن سلام المؤلف/ يحيى بن سلام (المتوفى: ٢٠٠هـ)-تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - (١/ ٤١٤).

(٣) تفسير ابن فورك (١/ ٩٦).

(٤) تنوير المقباس (ص٢٩٠)، تفسير يحيى بن سلام (١/ ٤١٤).

(٥) تفسير السمعاني• (٣/ ٤٨٨).

(٦) تفسير الحداد (٥/ ٣٠).

(٧) انظر تفسير ابن فورك (١/ ٩٧)، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٦٦) بنحوه وعزاه لابن عيسى.

(٨) الآية (٤٤) سورة طه.

هذا قبل أن أُمِرَ النبي ﷺ بقتال الكفار[1].

وقوله ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾ أي: امتنع بك والعياذ بالله: هو طلب الاعتصام به من شر ما يخاف منه[2] ﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ دفعهم الناس إلى المعاصي بالإغواء والهمز: الدفع في شدة ومنه الهمزة: الحرف الذي يخرج من أصل الحلق باعتمادٍ

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ وممن ذهب إلى أن هذه الآية ونظائرها ناسخة لآيات العفو والصبر: وهبه بن سلامة في كتابة الناسخ والمنسوخ / المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن سلامة (المتوفى: ٤١٠هـ)-المحقق: زهير الشاويش، محمد كنعان، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ -(ص١٢٩)، وابن حزم في كتابة الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم / المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (المتوفى: ٤٥٦هـ)-المحقق: د. عبدالغفار البنداري، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ -(ص٤٦)، ونسبه السمعاني في تفسيره (٣/ ٤٨٩) إلى أكثر أهل العلم والتفسير، وأخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ / المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبدالله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)-دراسة وتحقيق: محمد المديفر، الناشر: مكتبة الرشد، عام النشر: ١٤١٨هـ -(ص١٩٠).

والأقرب أن الآية محكمة وليست منسوخة، ولكن تنزل كل آية على الحال التي تناسبه فالأمر بالعفو والصبر حال الضعف والأمر بالقتال حال القوة، أو يكون العفو والصبر مأموراً به لمصلحة ما لم تضر بالدين أو تؤدي إلى إبطال حق أو إثبات باطل فلا تعارض بينهما حتى يصار للنسخ، ولأن النسخ إنما يكون لشيء قاطع فإذا أمكن العمل بالآيتين فلا معنى للقول بالنسخ.

وأما ما ورد عن بعض السلف بأنها منسوخة فلا يصح الاستدلال به لأن مفهوم النسخ عند السلف المتقدمين أشمل وأوسع من مدلوله عند المتأخرين فهم يطلقون النسخ على الاستثناء والتخصيص وتعيين المجمل وتقييد المطلق ورفع الحكم الشرعي الثابت بالدليل بحكم شرعي آخر ثبت بدليل متراخ كل ذلك يطلقون عليه نسخ.

" وبهذا التحقيق تبين ضعف ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الآمرة بالتخفيف أنها منسوخة بآية السيف وليست كذلك ". انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٤٢)، وناسخ القرآن ومنسوخة لابن الجوزي (٢/ ٥١٤)، وتفسير القرطبي(١٦/ ٢٢٨)، وقواعد الترجيح للحربي(١/ ٨٢).

(٢) تفسير ابن فورك (١/ ٩٨)، وانظر المخصص لابن سيده (٥/ ٢٣٣)، ولسان العرب(٣/ ٤٩٨).

شديد[1].

وعن الحسن في هذه الآية أن النبي ﷺ قام إلى صلاة الليل، فهلل وكبر ثلاثاً وقال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ولمزه ونفثه ونفخه ثم قال: الحمد لله رب العالمين، فسُئل من الغد عن همزه، فقال: هو الموته، يعنى: أَخذ الشيطان للإنسان يريد به أنه أمره الذي يأخذ الرجل حتى يصرع أو يجن وسُئل عن نفثه، فقال: إنه الشِعْر وسُئل عن نفخه، فقال: إنه الكِبر»[2].

ويُقال: إن الهمزة: هي الوسوسه الشاغلة عن أمر الله وأن يبعث أعداء المؤمنين على أذية المؤمنين[3] وقوله ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ أي: عند القراءة[4] وعند الموت[5] وقيل: عند الغضب،[6] كما يُقال للرجل: أعوذ بالله من خصومتك، أي: أعوذ بالله من لقائك.

----

(١) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٨٤)، مقاييس اللغة(٦/ ٦٥)، لسان العرب(٥/ ٤٢٥-٤٢٧)، زاد المسير لابن الجوزي(٣/ ٢٧٠).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٢/ ٨٢) (كتاب الصلاة / باب: استفتاح الصلاة / ح٢٥٧٢) قال عن هشام بن حسان، عن الحسن قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كبر ثلاثا، وسبح ثلاثا، وهلل ثلاثا، ثم يقول: ((اللهم إني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفثه ونفخه)) قالوا: ما أكثر ما تستعيذ من هذا قال: ((أما همزه: فالجنون، وأما نفثه: فالشعر، وأما نفخه: فالكبر))، وأخرجه كذلك أبوداود في المراسيل (ص٨٨) (كتاب الطهارة / باب: ما جاء في الاستفتاح / ح٣٢)، والأثر ضعيف؛ لأنه مرسل و مراسيل الحسن كما قيل: شبه الريح، وقد قال: الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٥٤٧) " كانوا لا يعتمدون مراسيل الحسن؛ لأنه كان يأخذ عن كل أحد ".

(٣) انظر تفسير ابن أبي زمنين(٣/ ٢١٠).

(٤) تنوير المقباس (ص٢٩٠)، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٦٦) بمثله ونسبه للكلبي، وذكره كذلك الزمخشري في تفسيره (٣/ ٢٠٢) بمثله ونسبه لابن عباس رضي الله عنه.

(٥) تنوير المقباس (ص٢٩٠)، تفسير السمرقندي(٢/ ٤٨٩)، وذكره الزمخشري (٣/ ٢٠٢) بنحوه ونسبه لعكرمة.

(٦) والأقرب أنه يستعيذ بالله من أن يحضره في أحواله كلها وهو قول أكثر المفسرين. انظر النكت والعيون للماوردي (٤/ ٦٦).

وقوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ﴾ أراد به الذين ذكروا قبل هذا الموضع. الذين أنكروا البعث يقول: لا يعاجلهم الله بالعقوبة ولكن يمهلهم، حتى إذا جاء أحدهم الموت، أي: عاين ملك الموت وأعوانه(١) ﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ يستغيث أولاً بالله، ثم يخاطب الملائكة، يسألهم الرجعة إلى الدنيا(٢) ويقول: لعلى أعمل عملاً صالحاً، أي: خالصاً فيما تركت فيما سلف في دار الدنيا وفيما ترك فيها من طاعة الله تعالى(٣)، وقد يخاطب العرب الرجل الواحد بخطاب الجمع على التعظيم، كما يقول الرجل لآخر: أنتم تفعلون كذا ونحن نفعل كذا(٤).

وقال عز من قائل ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ﴾(٥) ولا يجوز أن يكون لعل في هذه الآية للشك؛ لأنه لا معنى لذلك مع حرصه على الرجعة وعلى النجاة من الموت والعذاب(٦).

وإن المعنى: لكي اعمل صالحاً فيما تركت(٧) وقوله ﴿كَلَّآ﴾ كلمة ردع وتنبيه(٨)، أي: لا يكون له ذلك؛ أن مسألة الرجوع إلى الدنيا كلمة هو قائلها / عند موته(٩) [ل٤٢١/أ]

---

(١) تنوير المقباس (ص٢٩٠)، تفسير مقاتل (٣/ ١٦٥).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٦٩) عن ابن زيد وابن جريج بنحوه، وذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٤٩)، وأبو حيان في تفسيره (٦/ ٤٢١) كلاهما عن ابن جريج بمثله، وضعفه السمعاني في تفسيره (٣/ ٤٨٩) حيث قال: " وهذا قول ضعيف؛ لأنه قد قال: رب ".

(٣) انظر تنوير المقباس (ص٢٩٠)، وتفسير الطبري(١٩/ ٦٩).

(٤) وهذا هو قول الفراء في معانيه (٢/ ٢٤١)، وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (ص١٧٩)، والزجاج في معانيه (٤/ ٢١-٢٢)، وذكره السمعاني في تفسيره (٣/ ٤٨٩) ولم ينسبه وقال: " وهو المعروف ".

(٥) الآية (٩) سورة القصص.

(٦) تفسير الرازي(٢٣/ ٢٩٣)، تفسير الحداد(٥/ ٣٢).

(٧) تفسير مقاتل(٣/ ١٦٥).

(٨) معاني القرآن للزجاج(٤/ ٢٢).

(٩) انظر تفسير مقاتل(٣/ ١٦٥)، وتفسير الطبري(١٩/ ٧٠)، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٧١) ولم ينسبه.

﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ﴾ أي: من قُدامَهم[1] الحاجز بينهم وبين الحياة إلى يوم القيامة[2]، والقبر حاجز[3] وكل فصل بين شيئين برزخ[4] وفي الآية دلالة أن أحداً لا يموت حتى يعرف اضطرار منزلته عند الله عَجَلَّ وأنه من أهل الثواب أو العقاب[5].

---

(١) ذكر المفسرون أن الوراء في القرآن على خمسة أوجه:

أحدها: الخلف. ومنه قوله تعالى في آل عمران: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾، وفي هود: ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّا﴾، وهذا على سبيل المثل.

والثاني: الدنيا. ومنه قوله تعالى في الحديد: ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾.

والثالث: القدام. منها الآية التي معنا، وكذلك قوله تعالى في الكهف: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ﴾، وفي إبراهيم: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾.

والرابع: بمعنى سوى. ومنه قوله تعالى في النساء: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾، وفي المؤمنين: ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾.

والخامس: بمعنى " بعد ". ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾، وفي مريم: ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي﴾، أي: من [بعدي، يعني]: بعد موتي. وفي البروج: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾، أي: من بعد أعمالهم محيط بهم للانتقام منهم. انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٦٢)، معاني القرآن للفراء(٢/ ١٥٧)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر / المؤلف: عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)-المحقق: محمد الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ-(ص٦٠٨).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٧١) عن مجاهد بمثله، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٦٧)، والبغوي في تفسيره (٥/ ٤٢٨) كلاهما عن مجاهد بمثله.

(٣) تنوير المقباس (ص٢٩٠)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٧٠) عن أبي أمامة صُدي بن عجلان رضي الله عنه ولفظه: عن أبي يوسف قال: خرجت مع أبي أمامة في جنازة فلما وضعت في لحدها قال أبو أمامة: هذا برزخ إلى يوم يبعثون.

(٤) هذا قول أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن (٢/ ٦٢)، وابن قتيبة في غريب القرآن (ص٢٥٦)، وانظر تهذيب اللغة (٧/ ٦٧١) مادة " برزخ"، الصحاح(١/ ٤١٩)، لسان العرب(٣/ ٨).

(٥) انظر تفسير الرازي(٢٣/ ٢٩٦).

قوله ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾

أي: إذا نفخ فيه علامة لوقت إعادة الخلق، كما يعرفه الناس من بوق الرحيل والقدوم ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ قال الحسن: والله، إن أنسابهم لقائمة بينهم[1]، كما قال تعالى ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾[2] ولكنهم لا ينتفعون بأنسابهم[3] ولا يتعاطفون عليها وذلك هو المقصود من النسب، فكأنهم لا أنساب[4] بينهم وقوله ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً عن خبره وحاله، كما كانوا في الدنيا لشغل كل واحد منهم بنفسه[5]، ولا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل من ذنوبه[6]. وقوله ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: ثقلت بالطاعات. عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال « لو وضعت السماوات السبع ومن فيهن والأرضون السبع وما فيهن وفوقهما وتحتهما في كفة وكلمة لا إله إلا الله في كفة، لرجحت جميع ذلك »[7] وقيل: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ

---

(١) ذكره يحيى بن سلام في تفسيره (١/ ٤١٦) عن الحسن بمثله.

(٢) الآيتان (٣٤-٣٥) سورة عبس.

(٣) تنوير المقباس (ص٢٩٠).

(٤) ذكره يحيى بن سلام في تفسيره (١/ ٤١٦) عن الحسن بمثله.

(٥) ذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤٢٩)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٧١) بمثله ولم ينسباه.

(٦) ذكره يحيى بن سلام في تفسيره (١/ ٤١٦) عن الحسن بنحوه، تفسير ابن فورك(١/ ١٠٣).

(٧) لم أقف عليه من حديث عبادة بن الصامت ﷺ، لكن جاء معناه عند الحاكم في المستدرك (١/ ٧١٠) برقم (١٩٣٦) قال أخبرنا أبو النضر محمد بن يوسف الفقيه، حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي، حدثنا أصبغ بن الفرج المصري، أنبأ ابن وهب، حدثنا عمرو بن الحارث، عن دراج أبي السمح حدثهم، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: " قال موسى ﷺ: يا رب علمني شيئا أذكرك به وأدعوك به، قال: يا موسى قل: لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك، يقول هذا، قال: قل: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا أنت يا رب، إنما أريد شيئا تخصني به، قال: يا موسى لو كان السماوات السبع، وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله "، وأخرجه كذلك النسائي في عمل اليوم والليلة (١/ ٤٨٢) برقم (٨٣٤)، والطبراني في الدعاء / المؤلف: سليمان بن أحمد الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)-المحقق: مصطفى عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - (ص٤٣٥) برقم ⇐

﴿مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بكلمة التوحيد[(١)] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بكلمة الشرك[(٢)]، قال الحسن: هو ميزان له كفتان ولسان[(٣)] وقال قتادة: هو معادلة الأعمال بالحق[(٤)]، وكلا القولين حسن، يُقال: بهما جميعاً وقد تقدم الكلام في هاتين الآيتين[(٥)].

وقوله ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: تنفح وتضرب النار في وجوههم[(٦)] واللفح: ضرب السموم الوجه[(٧)] والنفح: ضرب الريح الوجه، فتأثير اللفح أعظم من تأثير النفح[(٨)]، والنفح مذكور في قوله تعالى ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾[(٩)]

= (١٤٨٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات / المؤلف: أحمد بن الحسين البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)-حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبدالله الحاشدي، الناشر: مكتبة السوادي-(١/ ٢٥١) برقم (١٨٥).

قال الإمام أحمد: دراج أحاديثه مناكير، ولينه. وقال أبوحاتم: ضعيف. وقال النسائي: منكر الحديث. انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال / المؤلف: أبو عبدالله محمد الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)-تحقيق: علي البجاوي، الناشر: دار المعرفة، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ- (٢/ ٢٤)، وقال: الحافظ ابن حجر في التقريب (ص٢٠١) " دراج في حديثه عن أبي الهيثم ضعف ".

(١) لم أقف على من فسرها بذلك.

(٢) لم أقف على من فسرها بذلك.

(٣) سبق تخريجه (ص١٥٧).

(٤) سبق تخريجه (ص١٥٨).

(٥) في أوائل سورة الأعراف عند الآيتين (٨-٩).

(٦) تنوير المقباس (ص٢٩٠)، وانظر تفسير مقاتل(٣/ ١٦٦).

(٧) انظر تهذيب اللغة (٥/ ٧٣) مادة " لفح "، الصحاح للجوهري (١/ ٤٠١)، لسان العرب(٢/ ٥٧٨).

(٨) معاني القرآن للزجاج(٤/ ٢٣)، وانظر تهذيب اللغة(٥/ ٧٣).

(٩) الآية (٤٦) سورة الأنبياء.

وأما الكلوح: فهو تقلص الشفتين عن الأسنان حتى تبدو الأسنان[١].

قال الحسن ﷺ: " تغلظ شفاههم، فترتفع الشفاه العليا وتنزل الشفاه السفلى، فتظهر الأسنان، فهي أقبح مايكون "[٢] ويُحكي أن رجلاً مر بروؤس قد نضدت بعضها على بعض وصاحبها يشويها، فنظر الرجل إليها، فذكر هذه الآية، فخر مغشياً عليه[٣].

وقوله ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يُقال لهم: ألم تكن آياتي تقرأ عليكم؟ فكنتم تجحدون[٤].

﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ بكثرة معاصينا ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ في الدنيا والشقوة: هي المضرة اللاحقة في العاقبة والسعادة: هي المنفعة التي تكون في العاقبة[٥] وتسمى المعاصي: شقاوة وشقوة؛ لتأديتها إلى العقوبة[٦] والشقوة بفتح الشين بمنزلة الفعلة الواحدة وأما كسر فاء الفعل من هذا الباب، فهي دالة على الكثرة واللزوم[٧] وقوله ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ ظاهر المراد قوله ﷻ ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾ كلمة إهانة ومذلة وهي في الأصل لطرد الكلاب، تقول العرب: خَسِأْتَ الكلب،

---

(١) انظر تفسير مقاتل (٣/ ١٦٦)، وهو قول الزجاج في معانيه (٤/ ٢٣)، وانظر تفسير الطبري(١٩/ ٧٣)، وعزاه الأزهري في تهذيب اللغة (٤/ ١٠٢) إلى الليث، وقال: السمعاني (٣/ ٤٩٢) " وهو المروي في التفسير ".

(٢) لم أقف عليه في شيء من المصادر التي بين يدي.

(٣) ذكره السمعاني في تفسيره (٣/ ٤٩٢) بقوله " وعن بعض التابعين من الخائفين " ثم ذكره.

(٤) تنوير المقباس (ص٢٩٠)، وانظر تفسير مقاتل(٣/ ١٦٦)، تفسير الحداد(٥/ ٣٣).

(٥) انظر تفسير ابن فورك(١/ ١٠٤)، تفسير الثعلبي(٧/ ٥٨)، تفسير الحداد(٥/ ٣٣).

(٦) تفسير ابن فورك (١/ ١٠٤).

(٧) تفسير الحداد(٥/ ٣٣).

إذا طردته، فخسئ أي: تباعد[1] وقوله ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي: لا تسألوني الخروج من النار[2]؛ فإني لا أدفع العذاب ولا أهونه عليكم[3]. قال الحسن: يختم عند ذلك على أفواههم، فلا يتكلمون بعد ذلك أبداً ويكون لهم زفير كزفير الحمير وشهيق كشهيق البغال[4].

وقوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ أي: يُقال لهم: إنه كان طائفة من عبادي يقولون: ربنا آمنا، وهم الأنبياء والمؤمنون[5] وهذا تعليل لاستحقاقهم العذاب بما عاملوا الأنبياء والمؤمنين باتخاذهم سخرياً[6] والفرق بين السُخرى والسِخرى، أن الضم معناه: التسخير ويُقال: كلاهما بمعنى الهزؤ[7] والكسر أحسن لما فيه من إتباع الكسرة الكسرة[8].

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٤)، تفسير ابن فورك(١/ ١٠٥)، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٦٨) بمثله ونسبه لابن عيسى، تفسير السمعاني(٣/ ٤٩٣).

(٢) تنوير المقباس (ص٢٩١).

(٣) تفسير ابن فورك (١/ ١٠٥)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٥٨) بنحوه ولم ينسبه، وذكره كذلك الماوردي في تفسيره (٤/ ٦٨) بنحوه ولم ينسبه.

(٤) قال الأزهري في تهذيب اللغة (٥/ ٢٥٤) قال الليث: الشهيق: ضد الزفير، فالشهيق: رد النفس، والزفير: إخراج النفس.... إلى أن قال: وزعم أهل اللغة من البصريين والكوفيين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار في النهيق، والشهيق: بمنزلة آخر صوته في النهيق. قلت: وهكذا فسر هذه الآية الفراء في معانيه (٢/ ٢٨)، قال: الأزهري وهو صحيح. بتصرف يسير، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٥٨) عن الحسن بمثله، تفسير ابن فورك (١/ ١٠٦)، تفسير البغوي(٥/ ٤٣٠).

(٥) تنوير المقباس (ص٢٩١)، تفسير مقاتل(٣/ ١٦٧)، تفسير البغوي(٥/ ٤٣١)، تفسير الحداد(٥/ ٣٤).

(٦) تفسير الحداد (٥/ ٣٤).

(٧) سبق تخريجه (ص١٥٢).

(٨) معاني القرآن للزجاج(٤/ ٢٤).

قال الفراء في معانيه (٢/ ٢٤٣) " والضم أجود "، وقال الزجاج في معانيه (٤/ ٢٤) " كلاهما جيد ".

وقوله ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ﴾ من مستعار الكلام؛ لأن المؤمنين ذكروهم ولم ينسوهم، لكن شغلهم الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين، حتى نسوا ذكر الله[1]، فأضيف اللفظ إلى المؤمنين؛ لأن ترك الذكر كان من أجلهم، وهذا كما قال جل ذكره ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[2] وهن موات لا حركة بهن وإنما معناه: ضل بهن كثير من الناس[3] وقوله ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ على أذيتكم واستهزائكم[4] ﴿أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ في الجنة[5]. من قرأ إنهم بالكسر[6]، فمعناه: الإخبار بذلك[7] ومن قرأ بالفتح[8]، فهو بيان الجزاء، أي: جزيتهم بالفوز[9].

قوله ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ﴾ معناه: قال الله تعالى: كم لبثتم، قيل: إن المراد به: المكث في

---

(١) تفسير مقاتل(٣/ ١٦٧)، تفسير يحيى بن سلام (١/ ٤١٩).

(٢) الآية (٣٦) سورة إبراهيم.

(٣) هو من كلام أبي علي الفارسي في كتابه الحجة (٢/ ١٩١-١٩٢) عند كلامه على قوله تعالى ﴿أَوۡ نُنسِهَا﴾ من سورة البقرة آية (١٠٦)، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٧٢-٢٧٣) بنحوه ولم ينسبه.

(٤) تنوير المقباس (ص٢٩١)، تفسير مقاتل(٣/ ١٦٧)، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤٣١)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٧٣) بمثله ولم ينسباه.

(٥) تنوير المقباس (ص٢٩١)، تفسير يحيى بن سلام (١/ ٤١٩).

(٦) قرأ حمزة والكسائي ﴿إِنَّهُمۡ﴾ بكسر الألف، وروى خارجة عن نافع ﴿إِنَّهُمۡ﴾ كسراً. انظر: السبعة لابن مجاهد (ص٤٤٨)، التيسير (ص١٦٠)، النشر (٢/ ٣٢٩-٣٣٠).

(٧) انظر: معاني القراءات(٢/ ١٩٧)، الحجة في القراءات السبعة لابن خالويه (ص٢٥٩)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٣).

(٨) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم ﴿أَنَّهُمۡ﴾ بفتح الألف. انظر: السبعة لابن مجاهد (ص٤٤٨)، التيسير (ص١٦٠)، النشر (٢/ ٣٢٩-٣٣٠).

(٩) علل القراءات للأزهري (٢/ ٤٤٢-٤٤٣)، الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ص٢٥٩)، وانظر معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٤٣)، معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٤).

القبور[١] وقيل: المكث في الدنيا[٢] وقوله ﴿كَمْ﴾ منصوب بقوله لبثتم وعدد سنين منصوب بكم[٣].

وقوله ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقلالٌ منهم لمدة أعمارهم في الدنيا في جنب/ [ل٤٢١/ب] مدة العذاب في النار[٤].

ويُقال: تلحقهم دهشة وحيرة، فينسون ذلك[٥] بقول ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ يعنون به: الحفظة الذين كانوا يحفظون عليهم آجالهم[٦] قال الله تعالى ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ أي: ما لبثتم إلا قليلاً في جنب لبثكم في العذاب.

قوله ﷻ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ معناه: أفظننتم[٧] أنما خلقناكم للعبث[٨]؟

---

(١) تنوير المقباس (ص٢٩١)، تفسير مقاتل(٣/ ١٦٧).

(٢) تفسير مقاتل(٣/ ١٦٧)، تفسير الحداد(٥/ ٣٥).

(٣) معاني القرآن للزجاج(٤/ ٢٥)، وذهب السمين الحلبي في تفسيره (٨/ ٣٧٣) إلى أن " عدد " تمييز ل"كم" وصحح هذا الوجه. ينظر: إعراب القرآن وبيانه لمحيى الدين أحمد درويش (٦/ ٥٥٣).

(٤) انظر تفسير مقاتل (٣/ ١٦٧)، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤٣٢)، والقرطبي في تفسيره (١٢/ ١٥٥) بمثله ولم ينسباه.

(٥) تفسير الحداد (٥/ ٣٥).

(٦) انظر تنوير المقباس (ص٢٩١)، وانظر تفسير مقاتل(٣/ ١٦٧)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٨٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥١٢) كلاهما عن مجاهد بأقل منه، وانظر تفسير السمرقندي(٢/ ٤٩٢)، وتفسير الماوردي(٤/ ٦٩).

قال الإمام الطبري في تفسيره (١٩/ ٨٣) " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يُقال كما قال الله جل ثناؤه: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ وهم الذين يعدون عدد الشهور والسنين وغير ذلك، وجائز أن يكونوا الملائكة، وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم، ولا حجة بأي ذلك من أي ثبتت صحتها، فغير جائز توجيه معنى ذلك إلى بعض العادين دون بعض ".

(٧) تنوير المقباس (ص٢٩١).

(٨) تفسير الكشاف(٣/ ٢٠٦)، تفسير الرازي(٢٣/ ٢٩٩)، تفسير الدر المصون(٨/ ٣٧٤).

تأكلون وتشربون وتتمتعون وتفعلون ما تريدون ثم تموتون، فلا تحشرون للحساب ولا ترجعون إلى حال لا تملكون لأنفسكم نفعاً ولا ضراً[١]، كما لبثتم في ابتداء خلقكم وفي هذا بيان: أنه تعالى لو خلقهم لهذه الأشياء، لكان عبثاً، فتعالى الله عما يصفه الجهال به وعن فعل العبث[٢].

وقوله ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: هو الملِك الذي يَحِق له المُلك بأنه مُلكٌ غيرَ مُمَلَكّ وكل مَلِك فملكه مستعار؛ لأنه لا يملك إلا بتمليك الله إياه، فكان لا يعتد بملكه في ملك الله ﷻ[٣] وقوله ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود للخلق سواه.

﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ سمى العرش: كريماً؛ لكثرة خيره لمن حوله، يُقال: فلان كريم، أي: كثير الخير[٤] قوله ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ أي: إلهاً غيره لا حجة له عليه[٥] ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ أي: لا يأمن ولا ينجو من عذاب الله الكافرون[٦] والحساب إظهار ما يستحقه العبد من عمله الحسنة والسيئة[٧].

وقوله ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ﴾ يُحتمل أن يكون أمراً للنبي ﷺ بالاستغفار لأمته[٨]، ويُحتمل أن يكون أمراً بالاستغفار لنفسه؛ ليعلم غيره أنه أحوج إلى

---

(١) تهذيب اللغة (٢/ ١٩٩-٢٠٠) مادة "عبث"، وذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٤٣٢)، والقرطبي في تفسيره (١٢/ ١٥٦) بمثله ولم ينسباه.

(٢) انظر تفسير الطبري(١٩/ ٨٤)، تفسير الحداد(٥/ ٣٥).

(٣) ذكره ابن فورك في تفسيره (١/ ١١٠) بمثله ولم ينسبه، تفسير الحداد(٥/ ٣٦).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥١٥) عن سعيد بن جبير بنحوه، تفسير الحداد(٥/ ٣٦).

(٥) تنوير المقباس (ص٢٩١)، تفسير مقاتل (٣/ ١٦٨)، ورواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٨٥) عن مجاهد بمثله.

(٦) تنوير المقباس (ص٢٩١)، تفسير الحداد(٥/ ٣٦).

(٧) انظر تفسير ابن فورك (١/ ١١١).

(٨) تنوير المقباس (ص٢٩١).

الاستغفار[١]، كما رُوى عن النبي ﷺ أنه قال: « إني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة »[٢] ويُروى «مائة مرة »[٣] وكل ذلك تعبداً وشكراً، كما رُوى عنه في الحديث « أفلا أكون عبدا شكوراً »[٤] و عن أُبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت »[٥].

---

(١) تفسير الحداد (٥/ ٣٦).

(٢) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٣٨٣) (كتاب التفسير / باب: ومن سورة محمد ﷺ/ ح٣٢٥٩)، قال حدثنا عبد بن حميد قال: حدثنا عبدالرزاق قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩] فقال النبي ﷺ: «إني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة».

ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١٤٦) (محبة الله ﷻ/ فصل: في إدامة ذكر الله ﷻ/ ح٦٢٩)، ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص٣٢٥) برقم (٣٦٧) قال الترمذي في سننه (٥/ ٣٨٣) عقب الحديث " هذا حديث حسن صحيح ".

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٥) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار / باب: استحباب الإستغفار والإستكثار منه / ح٢٧٠٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٠) (كتاب الجمعة / باب: قيام النبي ﷺ الليل حتى ترم قدماه / ح١١٣٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧١) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار / باب: إكثار الأعمال والإجتهاد في العبادة / ح٢٨١٩) كلاهما عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أن النبي ﷺ صلى حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أتكلف هذا؟ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «أفلا أكون عبدا شكورا»

(٥) سبق تخريجه وبيان حكمه في أخر سورة طه فأغنى عن إعادته هنا .

سورة النور

مدنية[١] وهي اثنان وستون عند الحجازيين وأربع وستون عند غيرهم[٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ①﴾

معناه: هذه سورة أنزلنا جبريل عليه السلام بها[٣] والسورة: هي المنزلة الجامعة لجملة آيات بفاتحتها وخاتمتها على ما تقتضيه الحكمة في طولها وقصرها[٤]، مع أن القصار منها تسهل قراءتها في الصلاة المفروضة على استكمال السورة ومن قرأ سورة بالنصب[٥]، فهي قراءة عيسى بن عمر[٦] والمعنى: أنزلنا

---

(١) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (ص٥٨١) عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: أنزلت سورة النور بالمدينة، ونقل الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز (١/ ٣٣٤)، والقرطبي في تفسيره (١٢/ ١٥٨) الإجماع على أنها مدنية.

(٢) البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني (ص١٩٣)، ويقول ابن الجوزي في فنون الأفنان (ص٢٩٦) " سورة النور: اثنتان وستون آية في عدِّ المكي والمدنيين، وثلاث في عدِّ أهل حمص، وأربع في عدِّ الشامي، سوى حمص، وفي عدِّ الكوفي وعطاء بن يسار، خلافها آيتان: عدّ الشامي والكوفي والبصري ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ آية، وعدُّوا أيضاً ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ وتركهما الحجازي، وعدُّوا كلهم غير أهل حمص ﴿لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ "، وانظر: الإتقان للسيوطي (١/ ٢٣٦).

(٣) تفسير الثعلبي (٧/ ٦٣).

(٤) تفسير ابن فورك (١/ ١١٣)، البيان في عد آي القرآن (ص١٢٤-١٢٥)، المفردات للراغب (ص٤٣٣-٤٣٤) مادة " سور".

(٥) المحتسب لابن جني (٢/ ٩٩)، تفسير البحر المحيط (٨/ ٦).

(٦) هو عيسى بن عمر أبو عمر الثقفي النحوي البصري، معلم النحو ومؤلف الجامع والإكمال. عرض القرآن على عبدالله بن أبي إسحاق وعاصم الجحدري، وروى عن ابن كثير وابن محيصن حروفاً. وله اختيار في القراءات على قياس العربية. وكان الغالب عليه حب النصب ما وجد إلى ذلك سبيلًا، سمع من الحسن البصري. وتوفي: سنة ١٤٩هـ . انظر: جمال القراء (١/ ٥٠٩)، غاية النهاية في طبقات القراء: ⇐

سورة[1]، كما يُقال: زيد أضربته، بمعنى: ضربت زيداً وقد يجوز أن يكون نصباً على الاغراء[٢].

وقوله ﴿وَفَرَضۡنَٰهَا﴾ أي: فرضنا تلاوتها والعمل بما فيها[٣]، ومن قرأ بتشديد الراء، فمعناه على التكثير والمبالغة[٤]، أي: فصَّلنا أحكامها[5] وفرضنا فيها فروضاً وأنزلنا فيها آيات بينات، أي: دلالات واضحات على وحدانيتنا وأحكامنا وما يحتاجون إليه؛ لكي يتعظوا؛ فيعملوا بما فيها[٦].

وقوله ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾.

ذهب سيبويه[٧] إلى أن معناه: وفيما فرض عليكم الزانية والزاني؛ لأنه لولا ذلك

= (١/ ٦١٣).

(١) وهي قراءة شاذة.

انظر: المحتسب لابن جني (٢/ ٩٩)، إعراب القراءات الشواذ للعكبري (٢/ ١٧٠)، تفسير البحر المحيط (٨/ ٦).

(٢) ذكر هذا الوجه الزجاج والسمين الحلبي وذكروا وجهاً أخر وهو:

- أنها منصوبة على الحال من الهاء والألف في أنزلناها والحال من المكني يجوز أن يتقدم عليه.

انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٤)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٧)، المحتسب لابن جني (٢/ ٩٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٨/ ٣٧٨).

(٣) هذا المعنى على قراءة التخفيف، وبها قرأ نافع وحمزة والكسائي وعاصم وابن عامر. انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٧)، السبعة لابن مجاهد (ص٤٥٢)، والتيسير (ص١٦١)، والنشر (٢/ ٣٣٠).

(٤) هذا المعنى على قراءة التشديد، وبها قرأ ابن كثير وأبوعمرو " وفرَّضناها " بالتشديد. انظر: المصادر السابقة.

(٥) انظر: معاني القراءات (٢/ ٢٠١)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٧).

(٦) وقد جاءت الآيات بمعانٍ أخر. انظر: البرهان للزركشي (١/ ٢٦٦)، والإتقان للسيوطي (١/ ٢٣٠)، تفسير الحداد (٥/ ٣٨).

(٧) هو سيبويه ويكنى أبا بشر واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب. وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح وأخذ النحو عن الخليل وهو أستاذه وعن يونس وعيسى بن عمر وغيرهم وأخذ أيضاً =

لنصب بالأمر الذي في قوله: ﴿فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖ﴾[(١)].

والجلد في اللغة: ضرب الجلد، يُقال: رأستَه إذا ضربت رأسه وظهرتَه، إذا ضربت ظهره وظهرتَه قد يكون بمعنى: علوتَه وكبدتَه، إذا ضربت كبده[(٢)]، فاقتضى اللفظ أن يكون الضرب المشروع في هذه الآية من مائة جلدة حد الحر المكلف الذي لا يكون محصناً[(٣)]، فأما إذا كانا مملوكين، فحد كلِ واحد منهما في الزنى خمسون جلدة لقوله تعالى ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِۚ﴾[(٤)] يعنى، إذا عقلن، فعليهن نصف حد الحرائر[(٥)] وإذا لم يكن الزاني مكلفاً،

= اللغات عن أبي الخطاب الأخفش وغيره وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله ولم يلحق به من بعده. وكان كتاب سيبويه لشهرته وفضله علماً عند النحويين فكان يُقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب فيعلم أنه كتاب سيبويه وقرأت نصف الكتاب ولا يشك أنه في كتاب سيبويه. وكتابه هذا سماه الناس (قرآن النحو) وكان المازني يقول: من أراد أن يعمل كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي. مات سيبويه بفارس في أيام الرشيد، سنة (١٨٠هـ). انظر: أخبار النحويين البصريين للسيرافي (ص٣٨)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء / المؤلف: عبدالرحمن بن محمد الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)-المحقق: إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار-(ص٥٤-٥٨).

(١) أي أن " الزانيةُ " رفع بالابتداء، وخبرها محذوف تقديره: فيما فرض عليكم " الزانية والزاني ". الكتاب لسيبويه (١/ ١٤٢-١٤٣)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٤).

(٢) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٠/ ٣٤٥-٣٤٧)، والصحاح (٢/ ٤٥٨) مادة "جلد"، تفسير الثعلبي (٧/ ٦٣)، تفسير الكشاف(٣/ ٢٠٩).

(٣) يجلد مائة بنص القرآن ويغرب عام بنص السنة، لما روى البخاري في صحيحه (٨/ ١٧١) (كتاب الحدود / باب: البكران يجلدان وينفيان / ح٦٨٣١) عن زيد بن خالد الجهني قال: " سمعت النبي ﷺ يأمر فيمن زنى ولم يحصن جلد مائة وتغريب عام ".

(٤) جزء من الآية (٢٥) سورة النساء.

(٥) . انظر: الاستذكار / المؤلف: يوسف بن عبدالله بن عبدالبر (المتوفى: ٤٦٣هـ)-تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - (٧/ ٥١٣-٥١٤)، تفسير القرطبي (٥/ ١٤٦).

⇦=

لم يكن فعله زنى، فإذا كان محصناً، فحده الرجم.

رجم رسول الله ﷺ ماعز بن مالك الأسلمي[١] بزناه وكان قد أحصن[٢] وكان عمر ﵁ يقول: " إنى لأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: لا نجد الرجم في كتاب الله تعالى؛ فتضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى وقد قرأنا[٣] الشيخ والشيخة إذا زنيا، فارجموهما البته ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده / ولولا أن الناس يقولون: زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله، لكتبت على حاشية الكتاب"[٤]، وأجمعت الأمة علي رجم المحصن إذا زنى، إلا الخوارج[٥]. [ل٤٢٢/أ]

= قال ابن قدامة في المغني / المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبدالله ابن قدامة (المتوفى: ٦٢٠هـ)-الناشر: مكتبة القاهرة-(٩/ ٤٩) " وإذا زنى العبد والأمة، جلد كل واحد منهما خمسين جلدة، وجملته أن حد العبد والأمة خمسون جلدة بكرين كانا أو ثيبين. في قول أكثر الفقهاء؛ منهم عمر، وعلي، وابن مسعود، والحسن، والنخعي، ومالك، والأوزاعي، وأبو حنيفة والشافعي، والبتي، والعنبري ".

(١) هو ماعز بن مالك الأسلمي أسلم، وصحب النبي ﷺ، وهو الذي أصاب الذنب، ثم ندم، فأتى رسول الله ﷺ، فاعترف عنده، وكان محصنا، فأمر به رسول الله ﷺ، فرجم، وقال: «لقد تاب توبة لو تابها طائفة من أمتي لأجزت عنهم». انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٣٢٤)، معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥/ ٢٥٧٠)، أسد الغابة (٥/ ٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٦٥) ((كتاب الحدود / باب: لا يرجم المجنون والمجنونه / ح٦٨١٥))، وأخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣١٨) ((كتاب الحدود / باب: من اعترف على نفسه بالزنى / ح١٦٩١)) كلاهما من حديث أبي هريرة ﵁ قال: أتى رجل رسول الله ﷺ وهو في المسجد، فناداه فقال: يا رسول الله، إني زنيت، فأعرض عنه حتى ردد عليه أربع مرات، فلما شهد على نفسه أربع شهادات، دعاه النبي ﷺ فقال: «أبك جنون» قال: لا، قال: «فهل أحصنت» قال: نعم، فقال النبي ﷺ: «اذهبوا به فارجموه».

(٣) في نسخة (ب): (قُرأ).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٦٨) ((كتاب الحدود / باب: رجم الحبلى من الزنى إذا أحصنت / ح٦٨٣٠))، وأخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣١٧) ((كتاب الحدود / باب: رجم الثيب في الزنى / ح١٦٩١)) كلاهما عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه.

(٥) استدل الخوارج على أنّ الرجم غير مشروع بثلاثة أدلة:

⇐=

وأما الإحصان في هذا فهو: أن يكون حراً بالغاً عاقلاً مسلماً قد تزوج قبل ذلك نكاحاً صحيحاً ودخل بزوجته في وقت كانا جميعاً فيه على صفة الإحصان وهذا قول أبي حنيفة ومحمد { يعتبران هذه الشرائط السبعة في إحصان الزنى[1].

وأما أبو يوسف ~ فلا يجعل الإسلام من شرائط الإحصان ولا يشترط كونهما على صفة الإحصان وقت الدخول في النكاح الصحيح، فيجعل الرجل البالغ

= الأول: أن الله تعالى قال في حق الإماء: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ (النساء:٢٥) فجعل حد الإماء نصف حد المحصنات من الحرائر. والرجم لا يتنصّف، فلا يصحّ أن يكون حدّا للمحصنات من الحرائر.

والثاني: أن الله تعالى فصّل أحكام الزنى وأطنب فيها بما لم يطنب في غيرها، والرجم أقصى العقوبات وأشدها، فلو كان مشروعا كان أولى بالذكر.

والثالث: أن قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ يقتضي وجوب الجلد وعمومه لكل الزناة. وإيجاب الرجم على بعضهم يقتضي تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد، وهو غير جائز على مذهبهم.

وأجاب الجمهور على الأول بأن المراد بالمحصنات الحرائر.

والحرائر نوعان: ثيبات وأبكار، وحد النوعين على التوزيع الرجم وجلد مئة، ولما كان الرجم لا يتنصّف كان العذاب مخصوصا بغير الرجم للدليل العقلي، وكان الرجم غير مشروع في حق الأرقاء.

وعن الثاني بأن الأحكام الشرعية كانت تنزل بحسب تجدّد المصالح، وكفى بالسنة بياناً وتفصيلاً.

وعن الثالث بأنّ تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد جائز عندنا، وإن سلمنا أنّ خبر الآحاد لا يخصص القرآن فلا نسلم أنّ الرجم ثبت بطريق الآحاد، بل هو ثابت بالتواتر. روي عن جمع من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فهو على الأقل متواتر المعنى كشجاعة علي وجود حاتم.

انظر: أحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٠٥)، تفسير الرازي (٢٣/ ٣٠٥-٣٠٦)، والمغني لابن قدامة (٩/ ٣٥)، تفسير آيات الأحكام / المؤلف: محمد علي السايس، المحقق: ناجي سويدان، الناشر: المكتبة العصرية (ص٥٣٣-٥٣٤).

(١) انظر تفصيل هذه الشروط في أحكام القرآن للجصاص (٥/ ١١٠)، تفسير الكشاف (٣/ ٢٠٩)، والمغني لابن قدامة (٩/ ٣٨)، تفسير الحداد (٥/ ٣٨).

العاقل المسلم الحر محصناً بالدخول بزوجته الأمة والصبية أو الكتابية، ويجعل الزوجين الرقيقين محصنين بالدخول في النكاح الذي بينهما، إذا اعتقا بعد ذلك وإن لم يوجد الدخول في ذلك النكاح بعد العتق إلى أن زنا واحد منهما، فهما غير محصنين عنه[(١)].

قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ أي: رحمة[(٢)] تمنع من إقامة الحد وتخل بمقدار عدده أو صفته؛ فإنه ليس من صفة المؤمنين تضيع حدود الله تعالى[(٣)] وذلك معنى قوله ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ وليس المعنى أن لا يترحم عليهما؛ لأن ذلك

---

(١) انظر: بدائع الصنائع للكاساني(٧/ ٣٨-٣٩)، الجوهرة النيرة على مختصر القدوري / المؤلف: أبو بكر بن علي بن محمد الحدادي (المتوفى: ٨٠٠هـ)، الناشر: المطبعة الخيرية، الطبعة: الأولى، ١٣٢٢هـ (٢/ ١٥٠).

قال ابن قدامة ~ تعالى في المغني (٩/ ٤٠) " ولا يشترط الإسلام في الإحصان. وبهذا قال الزهري، والشافعي ". وانظر: المغني (٩/ ٥٠-٥١).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٨).

ولعل الرأفة هنا أخص من الرحمة ولذلك ذكرها الله في حد الزنى خاصة لشدة الحاجة إلى ذكرها، فإن الناس لا يجدون في قلوبهم من الغلظة والقسوة على الزاني ما يجدونه على السارق والقاذف وشارب الخمر، فقلوبهم ترحم الزاني أكثر مما ترحم غيره من أرباب الجرائم، والواقع شاهد بذلك، فنهوا أن تأخذهم هذه الرأفة وتحملهم على تعطيل حد الله. انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء / المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - (ص١٦٤) بتصرفٍ يسير.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٩١) عن عطاء ومجاهد والنخعي بنحوه، وذكره البغوي في تفسيره (٦/ ٨) عن مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٧٧) عن مجاهد والشعبي وابن زيد، تفسير الحداد (٥/ ٣٩).

قال الإمام ابن جرير الطبري ~ (١٩/ ٩٣) " وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا تأخذكم بهما رأفة في إقامة حد الله عليهما الذي افترض عليكم إقامته عليهما، وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب، لدلالة قول الله بعده: ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾، يعني في طاعة الله التي أمركم بها. ومعلوم أن دين الله الذي أمر به في الزانيين: إقامة الحد عليهما "

لا يدخل في قدرتنا وكل ذي بلاء مرحوم.

وقوله ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

أي: لتكن إقامة الحد عليهما بحضرة جماعة من المؤمنين[١]، فيستفيض الخبر بها ويشيع ويبلِّغ الشاهد الغائب؛ فيرتدع الناس عن مثله[٢]. ومن فوائد[٣] إقامة الحدّ بمحضر الجماعة أن الإمام إذا احتاج إلى الإعانة أعانوه، وأن يستحي المضروب، فلا يعود لمثل ذلك الفعل[٤]، وأن لا ينسب أحد من الولاة إلى تعطيل الحدّ بأن يقول: قد أقمت الحد عليه في السر ولم يكن أقامة[٥]. فإن قيل: لم بدأ بذكر الزانية في هذه الآية وبدأ بذكر السارق في آية السرقة؟

قيل: لأن الرجل هو الذي يسرق غالباً والمرأة هي السبب في الزنى غالباً، فأخرج الخطاب في الموضعين على الأعم الأغلب[٦].

فإن قيل: كيف أمر بإقامة الحد بمحضر الجماعة وقد ندب سبحانه إلى ستر الفواحش؟

قيل: فائدة هذه الآية أنه إذا أظهر ذلك الإمام، لم يعطل الحد[٧]، كما رُوى في الخبر « لا ينبغي لوالي حدٍ يؤتى بحدٍ من حدود الله، إلا أقامه »[٨].

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٨-٢٩).

(٢) تفسير الحداد (٥/ ٤٠).

(٣) في نسخة (ب): (فائدة).

(٤) تفسير ابن عطية (٤/ ١٦٢)، تفسير الحداد (٥/ ٤٠).

(٥) لم أقف على من ذكره فيما بين يدي من المصادر.

(٦) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٣٣٣)، تفسير الحداد (٥/ ٤٠).

(٧) لم أقف على من ذكره.

(٨) أخرجه عبدالرزاق في المصنف (٧/ ٣٧٠)، وأخرجه أحمد في مسنده (٧/ ٨٤) كلاهما عن سفيان الثوري، =

وقوله ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾.

رُوى عن ابن عباس { أنه قال: " نزلت هذه الآية في قوم من المهاجرين دخلوا المدينة ولم يكن لهم مسكن، فنزلوا صفة المسجد وكانوا يطلبون معايشهم بالنهار ويأوون إلى المسجد بالليل وكان في المدينة بغايا يضربن الرايات على أبوابهن كرايات البياطره[1]، يكتسبن بذلك، فقصدوا أن يتزوجوهن وينزلوا منازلهن ويأكلوا من كسبهن، فشاوروا النبي ﷺ في ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فنهوا أن يتزوجوهن على أن يخلوهن والزنى "[2]. والمعنى: لا يرغب في نكاح الزانية إلا زان مثلها ونظير هذا قوله تعالى ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾[3] وقد يقع الطيب إلى الخبيث ولكن

= عن يحيى بن عبدالله الجابر التيمي، عن أبي ماجد، قال: جاء رجل إلى عبدالله، فذكر القصة، وأنشأ يحدث عن رسول الله ﷺ، قال: إن أول رجل قطع في الإسلام – أو من المسلمين – رجل أتي به النبي ﷺ، فقيل: يا رسول الله، إن هذا سرق، فكأنما أسف وجه رسول الله ﷺ رمادا، فقال بعضهم: يا رسول الله، أي يقول: ما لك؟ فقال: " وما يمنعني؟ وأنتم أعوان الشيطان على صاحبكم، والله ﷻ عفو يحب العفو، ولا ينبغي لوالي أمر أن يؤتى بحد إلا أقامه "، ثم قرأ: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور:٢٢).

وفي سنده أبو ماجد السهمي. قال الحافظ ابن حجر في التقريب (ص٦٧٠) " قيل: اسمه عائذ بن نضلة مجهول لم يرو عنه غير يحيى الجابر ".

قال الحافظ كذلك في التقريب (ص٥٩٢) " وهو يحيى بن عبدالله بن الحارث الجابر، أبو الحارث الكوفي، لين الحديث".

(١) البيطار: هو الذي يعالج الدواب مأخوذ من البَطْر وهو الشق، وذلك أنه يشق جروحها ويعالجها، ويطلق كذلك على الخياط بيطار لأنه يشق الثياب. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٢٦٢)، ولسان العرب لابن منظور (٤/ ٦٩) مادة " بطر ".

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤٢٥) عن قتادة بمعناه، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٩٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٢٢) من رواية العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما.

وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص٣١٥)، تفسير البغوي (٦/ ٨-٩).

(٣) آية (٢٦) سورة النور.

الأعم الأغلب أن يكون ميل الطيب إلى الطيب وميل الخبيث إلى الخبيث[١].

وفي قوله ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

بيان أنه حرم نكاح الزناه بالزناه على المؤمنين، فلا يتزوج بهن إلا زان أو مشرك[٢] ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى الزنى[٣] وعن عمرو بن شعيب[٤] عن أبيه عن جده: " أن هذه الآية نزلت في مرثد بن أبي مرثد الغنوي[٥]، كان قد آمن بالنبي ﷺ وكان يحمل ضعفه المسلمين من مكة إلى المدينة خفية وكانت له صديقة في الجاهلية، يُقال لها: عَنَاقُ، فلقيته بمكة واستضافته، فأبى عليها وقال إن الإسلام قد حال دون ذلك، فسعت به إلى المشركين، فهرب إلى المدينة وأخبر النبي ﷺ وشاورة في تزوجها، فأنزل الله تعالى هذه الآية في الزانية المشركة وبين أن نكاح المشركة زناً إذ كانت لا تحل له "[٦].

----

(١) تفسير الحداد (٥/ ٤١).

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٧٤) بنحوه ولم ينسبه، وذكره البغوي في تفسيره (٦/ ٩) عن مجاهد وعطاء بن أبي رباح وقتادة والزهري والشعبي، وقال: وهو من رواية العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما.

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٧٤) بنحوه ولم ينسبه، تفسير ابن عطية (٤/ ١٦٣)، تفسير الحداد (٥/ ٤٢).

(٤) هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص أبو إبراهيم سكن مكة وكان يخرج إلى الطائف إلى ضيعة له، فقيه الطائف وعالمها ومحدثها، صدوق مات سنة ١١٨هـ.
قال ابن معين: " إذا حدث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده فهو كتاب ومن هنا جاء ضعفه "، وقال الذهبي " حديثه من قبيل الحسن ".
انظر: الجرح والتعديل (٦/ ٢٣٨)، تهذيب الكمال (٢٢/ ٦٤-٧٥)، تقريب التهذيب (ص٤٢٣).

(٥) مرثد بن أبي مرثد الغنوي، صحابي، وأبوه صحابي، واسمه كنّاز، بنون ثقيلة وزاي، ابن الحصين، وهما ممن شهد بدراً، آخا رسول الله ﷺ بينه وبين أوس ابن الصامت، واستشهد يوم الرجيع سنة (٤) هـ.
انظر: الاستيعاب (٣/ ١٣٨٥)، أسد الغابة (٥/ ١٣٢)، الإصابة (٦/ ٥٥-٥٦).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٩٧) عنه مرسلاً، وأخرجه أبو داود في سننه (٢/ ٢٢٠) ((كتاب النكاح =

وقرن بين الزنى وبين الشرك على طريق المبالغة في الزجر عن الزنى، حين كان القوم يألفون الزنى إلفاً شديداً[(١)] ونظير هذه الآية قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وفي هذه إشارة إلى أن رغبة متبعي الهوى تكون في هذه الأشياء وكان يجب بظاهر هذه الآية أن يكون للزاني أن يتزوج المشركة وللمرأة / الزانية أن تتزوج مشركاً ولا خلاف أن ذلك غير جائز [ل٤٢٢/ب] وأن نكاح المشركات والتزوج من المشركين منسوخ بقوله ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾[(٢)] وقوله تعالى ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[(٣)(٤)] وذهب بعض المفسرين إلى أن هذا كان حكماً في كل زان وزانية، حتى نُسخ بقوله تعالى ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾[(٥)] وذهب

= / باب: قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ (النور:٣)/ ح٢٠٥١))، وأخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٣٢٨) ((كتاب تفسير القرآن / باب: ومن سورة النور / ح٣١٧٧)) وقال: حسن غريب، وأخرجه النسائي في سننه (٦/ ٦٦) ((كتاب النكاح / باب: تزويج الزانية / ح٣٢٢٨))، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ١٨٠) برقم ((٢٧٠١)) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وكلهم من طريق عبيد الله بن الأخنس عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بنحوه.

قال الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٦/ ٢٩٢) حديث رقم ((١٧٩٠)) " إسناده حسن "، انظر: لباب النقول في أسباب النزول / المؤلف: عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)- ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبدالشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان (ص١٣٨).

وقال العلامة ابن القيم رحمة الله تعالى في زاد المعاد (٥/ ١٠٤) " حمل الآية على امرأة بغي مشركة في غاية البعد عن لفظها وسياقها، كيف وهو سبحانه إنما أباح نكاح الحرائر والإماء بشرط الإحصان، وهو العفة ".

(١) تفسير الحداد (٥/ ٤٢).

(٢) آية (١٢١) سورة البقرة.

(٣) آية (١٢١) سورة البقرة.

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٠٨)، تفسير الحداد (٥/ ٤٢).

(٥) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (ص١٠٠)، واختاره النحاس في معاني القرآن (٤/ ٤٩٩)، وقال السمعاني في تفسيره (٣/ ٥٠١) " وهو أحسن الأقاويل ".

=⇦

الحسن ﷺ إلى أن المراد بالآية: الزاني المجلود الذي تقدم ذكره قبل هذه الآية، لا ينكح إلا زانية مجلودة مثله وكذلك الزانية المجلودة لا تنكح إلا زانياً مجلوداً مثلها[١] ويُروى ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[٢].

ويُروى عنه أيضاً: أن المرأة إذا زنت، فرق بينها وبين زوجها[٣] وذهب بعضهم إلى أن المراد بالنكاح الوطىء، أي: لا يزني الرجل حين يزني إلا بزانية مثله وكذلك الزانية لايزني بها إلا زان[٤] يعنى: إذا طاوع أحدهما الآخر، فهما سواء في استحقاق

= وقد اختلف العلماء في الآية هل هي منسوخة أو ليست بمنسوخة على أقوال عدة، وقد أطال ابن العربي ~ تعالى في الرد على من قال بالنسخ بكلام قيم فلينظر في أحكام القرآن (٣/ ٣٣٦-٣٤٠).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٥٤١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢١١) برقم (٢٧٨٤) وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي" وكلهم عن الحسن البصري رحمة الله تعالى.

انظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد (ص١٠٦)، تفسير السمرقندي (٢/ ٤٢٦).

قال ابن العربي في أحكام القرآن (٣/ ٣٣٨) " وهذا معنى لا يصح نظراً كما لم يثبت نقلا. وهل يصح أن يوقف نكاح من حد من الرجال على نكاح من حد من النساء؛ فبأي أثر يكون ذلك أو على أي أصل يقاس من الشريعة؟ ".

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٥٤١) قال حدثنا ابن إدريس، عن ليث، عن ابن سابط، أن علياً وذكر نحوه، وأخرجه البيهقي في سننه (٧/ ٢٥٢) برقم (١٣٨٨٢) عنه ﷺ ثم قال: " وهذا منقطع ".

وفي سنده عبدالرحمن بن سابط كثير الإرسال، ولم يثبت سماعه من الصحابة. انظر: جامع التحصيل للعلائي (ص٢٢٢)، تقريب التهذيب (ص٣٤٠).

(٣) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (ص١٠٥) قال: حدثنا أبو النضر، عن شعبة، عن سماك بن حرب قال: سمعت حنش بن المعتمر، يحدث: أن قوما اختصموا إلى علي في رجل تزوج امرأة فزنى، أو قال: " فزنت قبل أن يدخل بها قال: ففرق بينهما "، وذكره البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٥٢) بغير إسناد. ثم قال: وحنش غير قوي. وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال ابن حبان: لا يحتج به. انظر: ميزان الإعتدال للذهبي (١/ ٦١٩).

(٤) رواه ابن أبي شيبه في مصنفه (٣/ ٥٤٠)، والطبري في تفسيره (١٩/ ١٠٠) عن سعيد بن جبير ومجاهد بنحوه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٢١)، وذكره الثعلبي أيضاً في تفسيره (٧/ ٦٦) من =

الحد وعقاب الآخرة[(١)].

وقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ معناه: والذين يقذفون الحرائر المسلمات العاقلات البالغات اللواتي أحصن فروجهن بالعفة عن فعل الزنى[(٢)] ﴿ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ على صحة قذفهم إياهن بالزنى[(٣)] ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ﴾ بالقذف ﴿ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ﴾ وفي ذكر عدد الأربعة من الشهود دليل أن المراد بالآية: القذف بصريح الزنى؛ لأن هذا العدد من الشهود لا يشترط إلا في الزنى ولا يُقبل في ذلك قول النساء[(٤)] على ما رُوي

= طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه.

قال: الزجاج في معاني القرآن (٤/ ٢٩-٣٠) " وقال قوم: إن معنى النكاح ههنا الوطء، فالمعنى عندهم الزاني لا يطأ إلا زانية والزانية لا يطؤها إلا زان.

وهذا القول يبعد؛ لأنه لا يعرف شيء من ذكر النكاح في كتاب الله إلا على معنى التزويج، قال الله سبحانه: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡ﴾، فهذا تزويج لا شك فيه.

وقال الله، ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾.

فاعلم ﷻ أن عقد التزويج يسمى النكاح...... إلى أن قال ولو كان على ماقال من قال إنه الوطء لما كان في الكلام فائدة؛ لأن القائل إذا قال: الزانية لا تزني إلا بزان، والزاني لا يزني إلا بزانية، فليس فيه فائدة إلا على جهة التغليظ في الأمر، كما تقول للرجل الذي قد عرفته بالكذب: هذا كذاب، تريد تغليظ أمره. فعلى ما فيه الفائدة وما توجبه اللغة أن المعنى معنى التزويج ".

(١) تفسير الحداد(٥/ ٤٢).

(٢) انظر تفسير الطبري (١٩/ ١٠٢)، ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٦٧) بنحوه ولم ينسبه، وذكره البغوي في تفسيره (٦/ ١٠) بمعناه ولم ينسبه.

(٣) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٠)، تفسير الثعلبي(٧/ ٦٨).

(٤) قال ابن قدامة ~ تعالى في المغني (٩/ ٦٩) " ولا تقبل فيه شهادة النساء بحال. ولا نعلم فيه خلافا، إلا شيئا يروى عن عطاء، وحماد، أنه يقبل فيه ثلاثة رجال وامرأتان. وهو شذوذ لا يعول عليه؛ لأن لفظ الأربعة اسم لعدد المذكورين، ويقتضي أن يكتفى فيه بأربعة، ولا خلاف في أن الأربعة إذا كان بعضهم نساء لا يكتفى بهم، وإن أقل ما يجزئ خمسة وهذا خلاف النص؛ ولأن في شهادتهن شبهة؛ لتطرق الضلال إليهن، قال الله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. =⇦

عن الزهري[١] أنه قال: « مضت السنة من لدن رسول الله ﷺ والخليفتين بعده أن لا تقبل شهادة النساء في الحدود والقصاص »[٢] ولا خلاف أن الرجل المحصن إذا قُذف بالزنى، كان وجوب الحد على قاذفه، كوجوبه على قاذف المرأة المحصنة وشرائط إحصان المقذوف خمسة أشياء[٣] في وجوب الحد على قاذفه على ما ذكرناه في معنى هذه الآية. وفي الآية دليل أن من قذف جماعة من المحصنات، لم يضرب إلا حداً واحداً[٤]

= والحدود تدرأ بالشبهات ". انظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي / المؤلف: محمد بن عبدالله الزركشي (المتوفى: ٧٧٢هـ)-الناشر: دار العبيكان، الطبعة: الأولى- (٧/ ٣٠٣)، و المبدع في شرح المقنع / المؤلف: إبراهيم بن محمد ابن مفلح (المتوفى: ٨٨٤هـ)-الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - (٧/ ٣٩٥)، تفسير الحداد (٥/ ٤٣).

(١) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زهرة بن كلاب الزهري القرشي كنيته أبو بكر رأى عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ وكان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار وكان فقيهاً فاضلاً روى عنه الناس مات ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة في ناحية الشام. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٣٤٨-٣٥٧)، والتاريخ الكبير للبخاري (١/ ٢٢٠-٢٢١)، الثقات لابن حبان (٥/ ٣٤٩-٣٥٠).

(٢) رواه عبدالرزاق في مصنفه (٨/ ٣٢٩)، وابن أبي شيبه في مصنفه (٥/ ٥٣٣) عنه ~ تعالى.

(٣) وهي: البلوغ، والعقل، والإسلام، والحرية، والعفة عن الزنى. انظر: أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١١٠)، أحكام القرآن / المؤلف: علي بن محمد، المعروف بالكيا الهراسي (المتوفى: ٥٠٤هـ)-المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ (٤/ ٢٩٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١٢/ ١٧٣).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٥/ ١١٢-١١٣)، قال ابن قدامة ~ تعالى في المغني (٩/ ٩٨) " وإذا قذف الجماعة بكلمة واحدة، فحد واحد إذا طالبوا، أو واحد منهم" وبهذا قال طاوس، والشعبي، والزهري، والنخعي، وقتادة، وحماد، ومالك، والثوري، وأبو حنيفة، وصاحباه وابن أبي ليلى، وإسحاق.... إلى أن قال و قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً ﴾ (النور:٤). لم يفرق بين قذف واحد أو جماعة؛ ولأن الذين شهدوا على المغيرة قذفوا امرأة، فلم يحدهم عمر إلا حدا واحدا ". انظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٦/ ٣٢٠)، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف / المؤلف: أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي (المتوفى: ٨٨٥هـ)-الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية - (١٠/ ٢٢٣).

وإذا كان عبداً، فحده النصف مما ذكر الله في هذه الآية[1]، كما بينا في حد الزنى[2].

وقوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا﴾.

أي: إن شهدوا، فلا تقبلوا لهم شهادة أبداً وفي نهيه جل ذكره عن قبول شهادة القاذف بعد عجزه عن إقامة البينه على صحة قذفه دليل أن نفس القذف لا يوجب بطلان شهادة القاذف، حتى يعجز عن إقامة البينه على زنى المقذوف. ألا ترى أن من قال لإمرأته: أنتِ طالق إن كلمت فلاناً، ثم إن لم تدخلي الدار، فإنها إن كلمت فلاناً، لم تطلق حتى تترك دخول الدار إلى أن تموت، إلا أن في هذا حق الآدمي، فكان للمقذوف أن لا يرضى من القاذف بمدافعته في إقامة البينه، فيؤخره ما بين مجلس الحاكم[3].

وقوله: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طاعة الله برميهم إياهن زوراً وكذباً[4] ثم استثني فقال عز من قائل: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ﴾ ومعناه: إلا الذين ندموا

----

(١) أي إذا كان عبداً فعليه أربعون جلدة. قال ابن قدامة ~ تعالى في المغني (٩/ ٨٥-٨٦) " وإن كان القاذف عبدا أو أمة، جلد أربعين، بأدون من السوط الذي يجلد به الحر) أجمع أهل العلم على وجوب الحد على العبد إذا قذف الحر المحصن؛ لأنه داخل في عموم الآية، وحده أربعون، في قول أكثر أهل العلم..... إلى أن قال وهذا هو الصحيح؛ للإجماع المنقول عن الصحابة ﷺ؛ ولأنه حد يتبعض، فكان العبد فيه على النصف من الحر، كحد الزنى، وهو يخص عموم الآية، وقد عيب على أبي بكر بن عمرو بن حزم جلده العبد ثمانين، وقال عبدالله بن عامر بن ربيعة: ما رأينا أحدا قبله جلد العبد ثمانين ". انظر: أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١١١،) شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٦/ ٣١٠)، و الروض المربع شرح زاد المستقنع / المؤلف: منصور بن يونس البهوتى (المتوفى: ١٠٥١هـ) ومعه: حاشية الشيخ العثيمين وتعليقات الشيخ السعدي، خرج أحاديثه: عبدالقدوس نذير، الناشر: دار المؤيد - مؤسسة الرسالة (ص٦٦٨)، وتفسير القرطبي (١٢/ ١٧٤).

(٢) أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١١١)، تفسير الحداد(٥/ ٤٣).

(٣) سيأتي تخريج هذه المسألة والتعليق عليها عند الإستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ﴾.

(٤) تفسير ابن عطية(٤/ ١٦٥)، تفسير القرطبي(١٢/ ١٧٨)، تفسير الحداد(٥/ ٤٣).

على قذفهم وعزموا على ترك المعاودة[1] ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ أعمالهم فيما بينهم وبين ربهم[2] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن تاب منهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بمن مات على التوبة[3]. رُوى عن عبدالله بن عباس { أن هذا الاستثناء لا يرجع إلى الشهادة وإنما يرجع إلى الفسق وقال: إن توبته فيما بينه وبين ربه مقبولة وأما شهادته، فلا تقبل أبداً[4].

----

(١) هو قول جماعة من التابعين وهو اختيار الإمام الطبري ~ تعالى.

انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٠٨)، تفسير الثعلبي (٧/ ٦٧)، تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٩).

قال ابن القيم ~ تعالى في مدارج السالكين (١/ ٣٧٠-٣٧١) " و الصحيح من القولين أن توبة القاذف إكذابه نفسه؛ لأنه ضد الذنب الذي ارتكبه، وهتك به عرض المسلم المحصن، فلا تحصل التوبة منه إلا بإكذابه نفسه، لينتفي عن المقذوف العار الذي ألحقه به بالقذف، وهو مقصود التوبة، وأما من قال: إن توبته أن يقول أستغفر الله من القذف، ويعترف بتحريمه، فقول ضعيف؛ لأن هذا لا مصلحة فيه للمقذوف، ولا يحصل له به براءة عرضه مما قذفه به، فلا يحصل به مقصود التوبة من هذا الذنب، فإن فيه حقين: حقاً لله، وهو تحريم القذف، فتوبته منه باستغفاره، واعترافه بتحريم القذف، وندمه عليه، وعزمه على أن لا يعود، وحقاً للعبد، وهو إلحاق العار به، فتوبته منه بتكذيبه نفسه، فالتوبة من هذا الذنب بمجموع الأمرين ".

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ١٨٤)، تفسير القرطبي(١٢/ ١٨٢)، تفسير الحداد (٥/ ٤٣).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٨٢) ولم ينسبه، تفسير الحداد (٥/ ٤٣).

(٤) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (ص١٤٧) قال حدثنا حجاج، عن ابن جريج، وعثمان بن عطاء، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، في قول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (النور: ٤). قال: ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ (النور: ٥) قال: «فتاب عليهم من الفسق فأما الشهادة فلا تجوز».

قال ابن حزم في المحلى بالآثار / المؤلف: علي بن أحمد بن حزم (المتوفى: ٤٥٦هـ)-الناشر: دار الفكر - (٨/ ٥٣٢) " و أما الرواية عن ابن عباس رضى الله عنهما فضعيفه، والأظهر عنه خلاف ذلك ".

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥/ ٢٥٧) هو من رواية عطاء الخرساني عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: وهو منقطع، ولم يصب من قال إنه سند قوي.

وهو قول شريح[١] والحسن[٢] وإبراهيم[٣] وإلى هذا ذهب أصحابنا رحمهم الله[٤].

وذهب بعض العلماء إلى أن هذا الاستثناء راجع إلى الفسق وإلى رد الشهادة[٥]،

----

(١) هو شريح بن الحارث الكندي القاضي يكنى: أبا أمية: "كوفي"، تابعي، ثقة وكان يوم قومه فبلغهم أنه تكلم في أمر حجر بن الحارث بن الأدبر بشيء، فقالوا له: لا تؤمنا واعتزل، فقال لهم: أجمعتم على هذا؟ قالوا: نعم، فاعتزلهم، متفق على توثيقه ودينه وفضله وعلمه بالقضاء، توفي سنة ثمان وسبعين. وكان ثقة. رحمه الله ورضي عنه. انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ١٨٢-١٩٤)، الثقات للعجلي (١/ ٢١٦)، الجرح والتعديل (٤/ ٣٣٢-٣٣٣).

قال ابن حزم في المحلى (٨/ ٥٣٢) " كل من روي عنه - أنه لا تقبل شهادته وإن تاب - فقد روي عنه قبولها، إلا الحسن، والنخعي فقط ".

وقول شريح هذا رواه عبدالرزاق في مصنفه (٧/ ٣٨٧)، وابن أبي شيبه في مصنفه (٤/ ٣٢٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٣٠)، والبيهقي في السنن (١٠/ ٢٦٢).

وهناك قول أخر لشريح بقبول شهادته رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٧٠) ((كتاب الشهادتين / باب: شهادة القاذف والسارق والزاني)) معلقاً، وقد وصله ابن أبي شيبه في مصنفه (٤/ ٣٢٤).

(٢) رواه عنه عبدالرزاق في مصنفه (٧/ ٣٨٧)، وابن أبي شيبه في مصنفه (٤/ ٣٢٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٣٠)، والبيهقي في سننه (١٠/ ٢٦٢).

(٣) هو إبراهيم بن يزيد النخعي يكنى أبا عمران كوفى ثقة وكان مفتي الكوفة هو والشعبي في زمانهما وكان رجلا صالحا فقيها متوقياً قليل التكلف والأسود بن يزيد خاله ومات وهو مختف من الحجاج، لم يحدث عن أحد من أصحاب النبي ﷺ وقد أدرك منهم جماعة، توفي سنة ست وتسعين في خلافة الوليد بن عبدالملك بالكوفة. وهو ابن تسع وأربعين سنة لم يستكمل الخمسين. انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٢٧٩-٢٩١)، الثقات للعجلي (١/ ٢٠٩)، الجرح والتعديل (٢/ ١٤٤-١٤٥).

وهذا القول رواه عنه عبدالرزاق في مصنفه (٧/ ٣٨٧)، وابن أبي شيبه في مصنفه (٤/ ٣٢٥)، وابن الجعد في مسنده (ص٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٣٢)، والبيهقي في سننه (١٠/ ٢٦٢).

(٤) قال الحافظ ابن حجر ~ تعالى في فتح الباري (٥/ ٢٥٧) " هذا منقول عن الحنفية واحتجوا في رد شهادة المحدود بأحاديث قال الحفاظ لا يصح منها شيء ".

(٥) قال الإمام القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٧٨-١٧٩) " فتضمنت الآية ثلاثة أحكام في القاذف: جلده، ورد شهادته أبدا، وفسقه. فالاستثناء غير عامل في جلده بإجماع. وعامل في فسقه بإجماع. واختلف الناس في ⇐

قالوا: والفائدة في قوله: ﴿أَبَدًا﴾ أن ذكر الأبد لكل إنسان مقدار مدته، فيما يتصل بصفته، كما يُقال: إن الكافر لا تقبل شهادته أبداً، أي: ما دام كافراً، وإذا زال كفره، زال أبده، فكذلك إذا قيل: إن القاذف لا تقبل شهادته أبداً، كان معناه: ما دام على القذف، فإذا تاب عنه، فقد زال عنه الأبد(١). وأجمعوا جميعاً أن هذا الاستثناء لا يرجع إلى الجلد وذلك يقتضي أن يكون مقصوراً على ما يليه وهو الفسق(٢).

وأجمعوا أن المقذوفة إذا ماتت ولم تطالب بحد القذف ولم يحد القاذف حد القذف، ثم تاب القاذف أنه يجوز قبول شهادته(٣)؛ لأن على أصلنا أن الحاكم إذا أقام

= عمله في رد الشهادة، فقال شريح القاضي وإبراهيم النخعي والحسن البصري وسفيان الثوري وأبو حنيفة: لا يعمل الاستثناء في رد شهادته، وإنما يزول فسقه عند الله تعالى. وأما شهادة القاذف فلا تقبل البتة ولو تاب وأكذب نفسه ولا بحال من الأحوال. وقال الجمهور: الاستثناء عامل في رد الشهادة، فإذا تاب القاذف قبلت شهادته، وإنما كان ردها لعلة الفسق فإذا زال بالتوبة قبلت شهادته مطلقا قبل الحد وبعده، وهو قول عامة الفقهاء ".

ينظر: المغني (١٠/ ١٧٩)، روضة الناظر وجنة المناظر / المؤلف: موفق الدين عبدالله بن أحمد ابن قدامة (المتوفى: ٦٢٠هـ)-الناشر: مؤسسة الريّان، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ- (٢/ ٩٤-٩٧) فقد بسط ابن قدامة ~ تعالى القول فيها، أضواء البيان للشنقيطي (٥/ ٤٣٢).

(١) معاني القرآن للزجاج(٤/ ٣١)، تفسير البغوي(٦/ ١١)، فتح الباري(٥/ ٢٥٥).

(٢) تفسير الحداد (٥/ ٤٣)، وهذا على رأى أبي حنيفة وأصحابه خلافاً للأئمة الثلاثة.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٦٧) ونسبه للشعبي ومسروق وسليمان بن يسار وسعيد بن جبير وعطاء وطاووس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعبدالله بن عتبة والضحاك، قال " وإليه ذهب الشافعي وأصحابه وهو قول أهل الحجاز ". ولعله الأقرب لأمور:

١- أن هذا إجماع من الصحابة، ﷺ، يقول البخاري في صحيحه (٣/ ١٧٠) " كتاب الشهادات / باب: شهادة القاذف والسارق والزاني " (وجلد عمر، أبا بكرة، وشبل بن معبد، ونافعا بقذف المغيرة، ثم استتابهم، وقال: «من تاب قبلت شهادته»، قال ابن قدامة في المغني (١٠/ ١٧٠) " ولم ينكر ذلك منكر، فكان إجماعاً ".

٢- أن التائب من الزنى والقتل - وهما أعظم ذنباً من القذف - إذا تابا قبلت شهادتهما فالقاذف أولى =

الحد على القاذف، فقد حكم بكذبه وأبطل حينئذ شهادته في المسلمين، كما رُوى أن النبي ﷺ قال في قصة هلال بن أمية(١)، حين قذف امرأته بشريك بن سحماء(٢): «الآن يجلد هلال وتبطل شهادته في المسلمين»(٣) وكان ذلك قبل نزول آية اللعان وهي الآية

= بقبول شهادته إذا تاب.

٣- أن الاستثناء من النفي إثبات، فيكون راجع إلى قبول شهادته، وإلى نفي الفسق عنه و التقدير: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ (النور:٥) فاقبلوا شهادتهم، وليسوا بفاسقين. وذلك؛ لأن هذه الجمل معطوف بعضها على بعض بالواو، وهي للجمع تُجعل الجمل كلها كالجملة الواحدة، فيعود الاستثناء إلى جميعها.

انظر: الأم / المؤلف: الشافعي أبو عبدالله محمد بن إدريس (المتوفى: ٢٠٤هـ)-الناشر: دار المعرفة، سنة النشر: ١٤١٠هـ-(٧/ ٤٧)، المغني (١٠/ ١٧٨-١٨٠)، المحلى (٨/ ٥٢٩-٥٣٢)، فتح الباري (٥/ ٢٥٥)، تفسير الطبري (١٩/ ١٠٧-١٠٨)، تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٩).

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمة الله تعالى في فتح الباري (٨/ ٤٥٠) " اختلف الأئمة في هذا الموضع فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضا فنزلت في شأنهما معا في وقت واحد وقد جنح النووي إلى هذا وسبقه الخطيب فقال: لعلهما اتفق كونهما جاآ في وقت واحد..... إلى أن قال – رحمة الله- ولا مانع أن تتعدد القصص ويتحد النزول "

(٢) هو شريك بن عبدة بن مغيث بن الجد بن عجلان البلوي، حليف للأنصار. هو شريك ابن سحماء صاحب اللعان، نسب في ذلك الحديث إلى أمه، قيل: إنه شهد مع أبيه أحداً، وهو أخو البراء بن مالك لأمه، وهو الذي قذفه هلال بن أمية بامرأته. قيل: إنه أول من لاعن في الإسلام. انظر: الاستيعاب (٢/ ٧٠٥)، وأسد الغابة (٢/ ٦٣١)، والإصابة (٣/ ٢٧٨-٢٧٩).

(٣) قصة هلال بن أمية التي ساقها الواحدي في أسباب النزول (٣١٦-٣١٧) من رواية عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما بأطول من هذا، قد أخرجها كذلك الطبري في تفسيره (١٩/ ١١١-١١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٣٣-٢٥٣٤)، والبيهقي في سننه (٧/ ٦٤٧) كلهم من طريق عبّاد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما به.

وفي الإسناد عبّاد بن منصور قال عنه ابن معين: ليس بشئ. وضعفه النسائي. وقال ابن الجيد: متروك قدري. وقال معاذ بن معاذ: حدثنا عبّاد بن منصور – وكان قدريا وقال الذهبي: وكان داعية إلى القدر. انظر: ميزان الإعتدال للذهبي (٢/ ٣٧٦).

⇦=

التي بعد نزول هذه / الآية ولو جعل بطلان الشهادة حكماً معلقاً بسمة الفسق ولم [ل٤٢٣/أ] يجعل حكماً على حياله مرتباً على الجلد، لبطلت فائدة قوله ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا﴾ من كتاب الله؛ لأن كل فاسق لا تقبل شهادته، إلا بعد توبته عن الفسق[1].

وقوله ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾

وذلك أن الله ﷻ لما أنزل الآية التى قبل هذه في قذف المحصنات وما شرع فيه من الجلد على القاذف، جاء عاصم بن عدي الأنصاري[2] إلى رسول الله ﷺ فقال: « يا رسول الله، إن دخل منا واحد بيته، فوجد رجلاً على بطن امرأته، فإن أراد أن يخرج من بيته، فيجئ بأربعة رجال شهداء يشهدون على ذلك، قضى الرجل حاجته وخرج وإن هو عجل، فقتل، قتلتموه وإن تكلم بذلك، جلدتموه وإن سكت سكت على غيظ شديد، فقال ﷺ: كفى بالسيف شا أراد أن يقول شاهداً فأشار عليه جبريل عليه السلام بالسكوت، فأمسك مصلحة؛ لأن لا يتسارع أحد من الرجال إلى قتل أزواجهم، فكانوا على هذا ماشاء الله إلى أن أُبتلى أول من أُبتلى بهذه البلية عاصم بن عدي من بين سائر الناس وجاء هلال بن أمية[3] إلى رسول الله ﷺ فقال: ءاتني بأربعة يشهدون وإلا

= قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٢) " ومداره على عبّاد بن منصور وهو ضعيف ".

لكن يشهد له ما أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٧٨: ح٢٦٧١)، وأبو داود في سننه (٢/ ٢٧٦: ح٢٢٥٤)، والترمذي في سننه (٥/ ٣٣١: ح٣١٧٩)، وابن ماجه في سننه (١/ ٦٦٨: ح٢٠٦٧) كلهم من طريق هشام بن حسان عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه.

(١) تفسير الحداد (٥/ ٤٣-٤٤).

(٢) هو الصحابي الجليل عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة العجلاني ثم البلوي. شهد بدرا وأحدا والخندق، والمشاهد كلها. توفي سنة خمس وأربعين، وقد بلغ قريبا من عشرين ومائة سنة، وكان عبدالعزيز بن عمران يحدث عن أبيه عن جده قال: عاش عاصم بن عدي عشرين ومائة سنة. انظر: الإستيعاب (٢/ ٨٧١)، أسد الغابة(٣/ ١١٠)، الإصابة(٣/ ٤٦٣-٤٦٤).

(٣) هو الصحابي الجليل هلال بن أمية الأنصاري الواقفي من بني واقف. شهد بدراً، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك.

⇦=

فحد في ظهرك، فقال هلال: والذي بعثك بالحق، إني لصادق ولينزلن الله في أمري ما يبرئ ظهري عن الجلد، فأنزل الله تعالى هذه الآية»[١].

حتى إذا أُخبر الأزواج بذلك، لم يجلدوا[٢]. والمعنى: والذين يقذفون نساءهم

= انظر: الإستيعاب(٤/ ١٥٤٢)، أسد الغابة(٥/ ٣٨٠)، الإصابة(٦/ ٤٢٨).

(١) ما ذكره المؤلف جاء من عدة أحاديث وروايات وقع فيها خلاف شديد بين العلماء فالمصنف ~ تعالى أدخل بعضها على بعض وساقها بالمعنى مساقاً واحداً، فمن أول الرواية إلى قوله " قضى الرجل حاجته " هي في تفسير مقاتل (٣/ ١٨٤)، وذكرها كذلك الثعلبي في تفسيره (٧/ ٧٠) وصدَّرها بقوله: قال ابن عباس رضى الله عنهما في سائر الروايات ومقاتل. وأما قوله " كفى بالسيف شا " فقد أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ١٤٤) " كتاب الحدود/ باب: في الرجم / ح٤٤١٧ " من طريق الفضل بن دلهم عن الحسن عن سلمة بن المُحَبِّق عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ فذكره، وأخرجه ابن ماجه في سننه (٢/ ٨٦٨) " كتاب الحدود / باب: الرجل يجد مع أمرأته رجلاً / ح٢٦٠٦ " من طريق الفضل بن دلهم عن الحسن عن قبيصة بن حريث عن سلمة بن المُحَبِّق، قال: قيل لأبي ثابت سعد بن عبادة فذكره، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٤٧) عن قتادة قال ذكر لنا فذكره.

وقصة شريك وهلال رواها مسلم في صحيحه (٢/ ١١٣٣) " كتاب الطلاق / باب: انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل / ح١٤٩٥ " ورواها الطبري في تفسيره (١٩/ ١١٣) عن عامر الشعبي بنحوه، وليس فيها ذكر عاصم وغيره، وقد جاءت من طريق عبَّاد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس به، أخرجها أبو داود في سننه (٢/ ٢٧٦) " كتاب الطلاق / باب: اللعان / ح٢٢٥٤ "، والطبري في تفسيره (١٩/ ١١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٣٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٢): ومداره على عبَّاد بن منصور وهو ضعيف، ولكن له شواهد يكون بها الحديث حسن، قال: ابن كثير في تفسيره (٦/ ١٦) " ولهذا الحديث شواهد في الصحاح وغيرهما من وجوه كثيرة ". ومما يشهد له ما أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٠٠) " كتاب التفسير / باب: قوله تعالى ﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ ....الآية﴾ / ح٤٧٤٧ "، والترمذي في سننه (٥/ ٣٣١) " كتاب التفسير / باب: ومن سورة النور / ح٣١٧٩ " كلهم من طريق محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن هشام بن حسان، حدثني عكرمة، عن ابن عباس؛ أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء بنحوه.

(٢) وقد سبق ذكر الخلاف فيمن نزلت فيه الآية في حاشية (ص٣٥٢).

المحصنات بصريح الزنا[١] ولم يكن للقاذفين شهداء إلا هم بأنفسهم ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما رماها به من الزنا ويقول له القاضي: قم فاشهد أربع شهادات بالله إنك لمن الصادقين، فيما رميتها به من الزنا ويأمره بأن يشير إليها بيده؛ لينقطع الاحتمال في اللفظ[٢] ويقول له في المرة الخامسة: قل: إن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، فيما قال عليها ويأمره أن يشير إلى نفسه ويتقدم إليه قبل أن يأمره بالخامسة ويعظه ويقول له أمسك؛ فإنها موجبة، أي: موجبة اللعنة لكن إن كنت كاذباً، فإذا فرغ الزوج من الشهادات الأربع والكلمة الخامسة، قال القاضي للمرأة: قومي فاشهدي أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، فيما قال عليها ويأمرها أن تشير إليه بيدها ويعظها قبل الخامسة، فيقول لها: أمسكي؛ فإنها موجبة، فإن لم تتعظ، قال لها في الخامسة: قولي إن غضب الله عليها إن كان زوجها من الصادقين، فيما قال عليها، فإذا أتت بذلك كله وفرغا من اللعان، قال القاضي: فرقت بينكما، فإن كان القذف بنفي الزوج ولدها الذي ولدته عن نسبه[٣]، أمر القاضي الزوج أن يقول: أشهد بالله إني لمن الصادقين، فيما رميتها به من الزنا في نفي ولدها هذا وأمر المرأة أن تقول: فيما رماني به من الزنا في نفي ولده هذا[٤]، فإذا تلاعنا على هذا الوجه، فرق بينهما وألزم الولد أمه[٥]، كما فعل النبي ﷺ في نفي ولد امرأة هلال عن هلال وإلحقه بها. قال سهل بن

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٦٨) بنحوه ولم ينسبه.

(٢) والإشارة من الطرفين إحدى شروط اللعان الستة التي ذكرها العلماء. انظر: المغني لابن قدامة (٨/ ٨٧)، وروضة الطالبين وعمدة المفتين / المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)-تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ -(٨/ ٣٥١).

(٣) انظر تفسير الطبري(١٩/ ١١٢)، وأحكام القرآن للجصاص(٥/ ١٣٣-١٣٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٣٥١)

(٤) في نسخة (ب) بزيادة (إنه من الكاذبين).

(٥) انظر: الحاوي الكبير / المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)-المحقق: علي معوض - عادل عبدالموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ- (١١/ ٤٤)، =

سعد الساعدي[١]، فيما رُوى عنه شهدت لعان الزوجين عند النبي ﷺ، فمضت السنة بعدُ في المتلاعنين أن يفرق بينهما[٢] ولا خلاف بين الفقهاء في أن حكم المتلاعنين أن يفرق بينهما، لكنهم اختلفوا في سبب الفرقة، قال أصحابنا رحمهم الله: لا تقع الفرقة إلا بتفريقه[٣]، حتى إذا أكذب الزوج نفسه أو صدَّقت المرأة زوجها قبل التفريق، كان النكاح باقياً بينهما، وقال زُفر[٤] ومالك إذا فرغا من اللعان، وقعت الفرقة بينهما[٥]

= المغني(٨/ ٤٨)، تفسير القرطبي(١٢/ ١٨٢-١٩٥).

(١) هو الصحابي الجليل سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن الحارث بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الساعدي الأنصاري، يكنى أبا العباس. واختلف في وقت وفاة سهل بن سعد. فقيل: توفي سنة ثمان وثمانين وهو ابن ست وتسعين سنة. وقيل: توفي سنة إحدى وتسعين، وقد بلغ مائة سنة. ويقال: إنه آخر من بقي بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ.

انظر: الاستيعاب (٢/ ٦٦٥)، أسد الغابة(٢/ ٥٧٥)، الإصابة(٣/ ١٦٧).

(٢) رواه الدارقطني في سننه (٤/ ٤١٥) " كتاب النكاح / باب: المهر / ح٣٧٠٥ "، والبيهقي في السنن الكبير (٧/ ٦٧٣) " كتاب اللعان / باب: ما يكون بعد التعان الزوج من الفرقه / ح١٥٣٥٦ " من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ في قصة المتلاعنين قال: فتلاعنا، ففرق الرسول ﷺ بينهما وقال " لا يجتمعان أبداً ". قال الشوكاني في نيل الأوطار (٦/ ٣٢٢) بعد أن ساق الحديث " ورجاله رجال الصحيح ".

(٣) أي القاضي " الحاكم " وهو مذهب الحنفية أن فرقة المتلاعنين تقع بتفريق الحاكم بينهما، كما سيأتي بيان خلاف العلماء في ذلك.

(٤) هو زفر بن الهذيل بن قيس بن سلم العنبري أبو الهذيل، الفقيه، المجتهد، الرباني، العلامة، ولد سنة عشر ومائة، وكان قد جمع بين العلم والعبادة، تفقه بأبي حنيفة، وهو أكبر تلامذته، وكان من أصحاب الحديث ثم غلب عليه الرأي، وهو أقيس أصحاب أبي حنيفة. مات سنة ثمان وخمسين ومائة وله ثمان وأربعون سنة. انظر: طبقات الفقهاء/ المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ) -هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ) -المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي- (ص١٣٥)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨).

(٥) ذهب مالك والشافعي وأتباعهما أن التفريق يقع بين الزوجين بعد الانتهاء من اللعان، وأما الحنفية فمذهبهم بأنه لا يقع إلا بتفريق الحاكم، وعن أحمد روايتان. انظر: أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١٣٥)، =⇦

للحديث المروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « المتلاعنان لا يجتمعان أبداً »[١].

وفي الآية دلالة أن اللعان إنما يجري بين الزوجين، إذا كانا جميعا من أهل الشهادة؛ لأن الله تعالى ذكر آية اللعان بلفظ الشهادة واستثنى الأزواج من جملة الشهداء، أن من لا يكون من أهل الشهادة لا يكون من أهل اللعان، ألا ترى أنه تعالى نفى شهادة المحدود في القذف قبل هذه الآية، فأنتفى اللعان عن المحدود في القذف لظاهر القرآن، فإذا صح هذا في المحدود في القذف صح في سائر من ليس من أهل الشهادة[٢] وإلى هذا أشار النبي ﷺ، حيث قال: « لا لعان بين أهل الكفر وبين أهل الإسلام ولا بين العبد وبين امرأته ولا بين المحدود في قذف وبين امرأته »[٣].

وعن هذا قال أصحابنا رحمهم الله: إن المرأة / إذا كانت كتابية أو أمة مدبرة[٤] أو [ل/٤٢٣/ب]

= الحاوي (١١/ ٤٤)، تفسير القرطبي (١٢/ ١٨٢-١٩٥)، المغني (٨/ ٤٨)، روضة الطالبين(٨/ ٣٥٥)، فتح الباري (٩/ ٤٥٥).

(١) رواه الدارقطني في سننه (٤/ ٤١٦) " كتاب النكاح / باب: المهر / ح٣٧٠٦ "، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٦٧٢) " كتاب اللعان / باب: ما يكون بعد التعان الزوج من الفرقه / ح١٥٣٥٤ " من حديث ابن عمر رضى الله عنهما. قال ابن عبدالهادي في تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق / المؤلف: محمد بن أحمد بن عبدالهادي (المتوفى: ٧٤٤هـ)-تحقيق: سامي بن جاد الله وعبد العزيز الخباني، دار النشر: أضواء السلف -(٤/ ٤٤٤) " إسناده جيد ".

(٢) مذهب الحنفية أن اللعان عندهم شهادة، فلا تصح إلا من مسلمين حرين عفيفين، فإن كانا كافرين أو أحدهما أو مملوكين أو أحدهما لم يصح لعانها. وهو قول الأوزاعي والزهري وغيرهما، وأما الجمهور فإن اللعان عندهم أيمان وإن كان فيها شوب شهادة.

انظر: الحاوي(١١/ ١٢)، المغني (٨/ ٤٨-٥٠)، تفسير القرطبي (١٢/ ١٨٦-١٨٧).

(٣) سبق تخريجه (ص٥٦).

(٤) والتَّدبير هو: مصدر دبر العبد، والأمة تدبيرًا: إذا علق عتقه بموته؛ لأنه يعتق بعد ما يدبر سيده، والممات: دبر الحياة، يقال: أعتقه عن دبر، أي: بعد الموت ولا يستعمل في كل شيء بعد الموت من وصية ووقف وغيره، فهو لفظ خص به العتق بعد الموت. انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٣٢٤) مادة " دبر "، طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية لعمر بن محمد النسفي (ص٦٤)، المطلع على ألفاظ المقنع لمحمد بن أبي الفتح =

مكاتبه أو أم ولد لرجل أو كانت صبيه، لم يجب على الزوج قذفها[(١)] حد ولا لعان؛ لأن صحة القذف بإحصان المقذوف[(٢)] وإن كان الزوج عبداً والمرأة حرة محصنه لم يجرِ اللعان بينهما؛ لأن العبد ليس من أهل الشهادة، فإن صح القذف، فيحد حد العبيد[(٣)] في القذف أربعين جلدة[(٤)]؛ لأن اللعان تعذّر بمعنى من جهة الزوج، فحد كما لو أكذب الزوج نفسه بعد اللعان أو قبله وانفسخت شهادات اللعان بإكذابه نفسه، وعلى هذا إذا كان الزوج محدوداً في القذف والمرأة محصنة؛ حد حد القذف ثمانين جلدة[(٥)] وإن كانت المرأة محصنة ولكنها محدودة في القذف، لم يكن على الزوج حد ولا لعان؛ لأن الشهادة قد بطلت لمعنى من جهة المرأة، وكأنها صدَّقت زوجها في الزنا ووطئت حراماً[(٦)] بعد القذف وإن كانوا جميعاً محدودين في القذف، فعلى الزوج الحد[(٧)]؛ لأن الزوج هو الذي يُبدأ به في اللعان لحكم الشرع، كما ورد في الشرع[(٨)] وإذا امتنع اللعان بمعنى من جانب الزوج، وجب الرجوع إلى الأصل وهو الحد الذي شرعه الله سبحانه تعالى قبل اللعان[(٩)].

= البعلي (ص٣٨٣).

(١) في نسخة (ب): (بقذفها) وهو خطأ.

(٢) أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١٣٤)، بدائع الصنائع للكاساني(٣/ ٢٤١)، انظر المغني(٨/ ٤٨) وما بعدها، تفسير القرطبي (١٢/ ١٨٧).

(٣) في نسخة (ب): (العبد) وهو تصحيف.

(٤) سبق تخريج وتفصيل المسألة (ص٣٤٨).

(٥) سبق تخريج وتفصيل المسألة (ص٣٤٨).

(٦) في نسخة (ب): (حراً) وهو تصحيف.

(٧) منقول بنصه من أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١٣٤)، انظر بدائع الصنائع(٣/ ٢٣٨).

(٨) وهو كما قال الله ﷻ في هذه السورة ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

(٩) انظر: أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١٣٤-١٣٥)، المغني(٨/ ٦٨)، روضة الطالبين(٨/ ٣٥٠-٣٥١).

وقال الشافعي ~ : كل من كان من أهل اليمين فهو في النكاح من أهل اللعان، واللعان عنده أيمان لا شهادات[(١)] وإن كانت صحته مختصه بلفظ الشهادة عند الحكام.

وأما قوله: ﴿ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ فمعناه: ويدفع الحاكم عنها العذاب، بأن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، فيما رماها به من الزنا ويُحتمل أن يكون المعنى: إن شهادتها تدرأ العذاب عنها[(٢)].

ذهب الحسن ~ إلى أن العذاب هاهنا الحبس وذلك أنها إذا أمتنعت من اللعان، أورث ذلك تهمة الزنا وموضع المتهمين الحبس وبهذا أخذ أصحابنا رحمهم الله، فقالوا: أي الزوجين امتنع من اللعان حبس حتى يلتعن أو يقر[(٣)].

وذهب بعض العلماء أن المراد بالعذاب في هذه الآية: حد الزنا إما الجلد وإما الرجم[(٤)] وإن لم تحلف وكانت محصنه، رجمت وإلى هذا ذهب الشافعي، فأوجب عليها

----

(١) وهذا مذهب الشافعية ورواية عن أحمد أما المالكية فيصح عندهم لعان العبد و لا يصح لعان الذمي والفاسق. انظر: الأم للشافعي(٥/ ١٤٣-١٤٤)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد/ المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)-الناشر: دار الحديث - (٣/ ١٣٦)، المغني(٨/ ٤٨-٥٠).

وقد رد الشافعية على الأحناف في استدلالهم بحديث " أربع من النساء لا ملاعنة بينهن: النصرانية تحت المسلم، واليهودية تحت المسلم، والحرة تحت المملوك، والمملوكة تحت الحر " بأن عمرو بن شعيب عن عبدالله بن عمرو منقطع، وبأن روايته عن رجل مجهول، وهو يزيد بن زريع، ورجل مشهور بالغلط، وهو عطاء الخراساني. انظر: الأم(٥/ ١٤٣)، والسنن الكبير للبيهقي(٧/ ٦٤٩).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٤٦)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٢-٣٣)، معاني القراءات(٢/ ٢٠٢).

(٣) وهو مذهب الحنفية. انظر: أحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٤٧-١٤٨)، بدائع الصنائع للكاساني (٣/ ٢٣٨-٢٣٩).

(٤) هذا مذهب الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد وهو الذي رجحه الطبري في تفسيره (١٩/ ١١٤-١١٥).

وهذا القول لعله هو الأقرب لأمور:

⇦=

الرجم بشهادة زوجها العبد أو الحر وجعل شهادات الزوج أربعاً في النكاح قائمة مقام الشهود الأربعة في غير النكاح ولا شهادة للعبد في غير النكاح بالإجماع بيننا وبينه، والعجب منه أنه لا يوجب على المرأة حد الزنا بشهادة الزوج الحر مع ثلاثة نفر من الشهود، ثم يوجب عليها الحد بقوله وحده، وقال: إذا أمتنع الزوج من اللعان حد حد القذف[1].

ومن قرأ ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أربعشَهَٰدَٰتٍ﴾ بنصب العين[2]، فمعناه: أن يشهد أحدهم أربع شهادات بالله[3] ثم قال ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ ﴾ على معنى: والشهادة الخامسة: أن لعنة الله عليه[4] ومن نصب الخامسةَ[5] فعلى معنى: وأن يشهد الخامسةَ[6].

= الأول: منها سياق الآية، فهو يدل على أن العذاب الذي تدرؤه عنها شهاداتها هو الحد.

الثاني: أنه أطلق اسم العذاب في مواضع أخر، على الحد مع دلالة السياق فيها على أن المراد بالعذاب فيها الحد ؛ كقوله تعالى في هذه السورة الكريمة: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

الثالث: الآية تدل على أن الزوج إذا رمى زوجته وشهد شهاداته الخمس المبينة في الآية أن المرأة يتوجه عليها الحد بشهاداته، وأن ذلك الحد المتوجه إليها بشهادات الزوج تدفعه عنها شهاداتها، ومفهوم مخالفة الآية يدل على أنها لو نكلت عن شهاداتها، لزمها الحد بسبب نكولها مع شهادات الزوج.

انظر: تفسير الطبري(١٩/ ١١٤-١١٥)، أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١٤٨-١٥٠)، المغني(٨/ ٩٣)، أضواء البيان للشنقيطي(٥/ ٤٦٤).

(١) انظر: المغني (٨/ ٦٨)، روضة الطالبين(٨/ ٣٥٠-٣٥١).

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم فى رواية أبى بكر ﴿أربـع﴾ بالفتح، وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم ﴿أربعُ﴾ بالرفع. انظر: السبعة لابن مجاهد (ص٤٥٢-٤٥٣)، التيسير للداني (ص١٦١)

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٦)، معاني القرآن للزجاج(٤/ ٣٢)، الدر المصون(٥/ ٣٨٥).

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٤٧)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٣)، معاني القراءات(٢/ ٢٠٣).

(٥) لم يختلفوا في الخامسة الأولى أنها مرفوعة، أما الثانية فكلهم قرأ ﴿والخامسةُ﴾ بالرفع غير حفص عن عاصم فإنه قرأ ﴿والخامسةَ﴾ بالنصب. انظر: السبعة (ص٤٥٣)، النشر (٢/ ٣٣١).

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء ٢(/ ٢٤٧)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٣)، معاني القراءات(٢/ ٢٠٣).

وقوله ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾

محذوف الجواب ومعناه: ولولا فضل الله عليكم، لفضحكم بما ترتكبون من الفواحش ولعاجلكم بالعقوبة من غير إمهال التوبة ولبين الصادق من الكاذب[١].

وفي الآية دلالة على بطلان قول من يكفّر بالذنب؛ لأنه لابد من أن يكون أحد المتلاعنين زانياً أو كاذباً، فلو كان الذنب يوجب التكفير، لكان لصاحبه حكم المرتد[٢]. وفيها دلالة على أن الزاني والكاذب يستحقان اللعن من الله ﷻ قوله ﷻ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ خرج بعائشة < معه في سفر وهي غزوة بني المصطلق[٣]، فخرجت من الهَوْدَج[٤]، لحاجة لها، فبطأت في طلب العقد الذي ضاع، فلما رجعت إلى الموضع وجدت القوم وقد ارتحلوا عنه وكانوا قد حملوا هودجها على بعيرها على توهم أنها فيه وكان صفوان بن المعطل السلمي[٥] من

---

(١) من عادة العرب ترك ذكر الجواب لمعرفة السامع بالمراد من الكلام بعده. انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٧)، معاني القرآن للزجاج(٤/ ٣٣)، تفسير الطبري(١٩/ ١١٥).

(٢) أراد المصنف ~ تعالى أن يرد على الخوارج الذين يكفرون بالكبائر ويقولون إن مرتكب الكبيرة من حيث الاسم هو كافر وأما من حيث الحكم فهو خالد مخلد في النار، وهذا خلافاً لمعتقد أهل السنة والجماعة الذين يرون أن مرتكب الكبيرة تحت مشيئة الله ﷻ إن شاء عذبه وإن شاء غفر له. انظر: العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٣٧)، منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٢٩٢-٢٩٣).

(٣) وهم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة، وقعت غزوة بني المصطلق في شعبان سنة خمس على الصحيح، ويقال له: المريسيع، وهو ماء لخزاعة من ناحية قديد إلى الساحل. انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٩-٢٩٢، الفصول في السيرة / المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ)-تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، الناشر: مؤسسة علوم القرآن- (ص١٧٩-١٨٤).

(٤) الهَوْدَج: أداة ذات قبة توضع على ظهر الجمل لتركب فيها النساء. انظر: تهذيب اللغة(٦/ ٢٨)، المعجم الوسيط / المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة -الناشر: دار الدعوة -(٢/ ٩٧٦).

(٥) هو الصحابي الجليل صفوان بن المعطل بن ربيعة السلمي، ثم الذكواني، يكنى أبا عمرو. شهد صفوان بن المعطل مع رسول الله ﷺ الخندق والمشاهد كلها، قتل صفوان بن المعطل في غزوة أرمينية شهيدا، وأميرهم ⇐=

وراء الجيش، فمر بها، فلما عرفها أناخ لها بعيره؛ حتى ركبته وقت الظهيرة وجعل يقود البعير حتى لحق الجيش، فخاض عبدالله بن أُبي[(١)] وحسان بن ثابت[(٢)] ومسطح بن أثاثه[(٣)] وحمنة بنت جحش الأسدية[(٤)] في ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآيات في براءة ساحتها مما قُذفت به[(٥)].

ومعنى الإفك في اللغة: هو الكذب سمي بهذا الاسم؛ لكونه مصروفاً عن

= يومئذ عثمان بن أبي العاص سنة تسع عشرة في خلافة عمر. انظر: الاستيعاب (٢/ ٧٢٥)، أسد الغابة (٣/ ٣١)، الإصابة(٣/ ٣٥٦).

(١) هو عبدالله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحباب، المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه، من خزاعة: رأس المنافقين في الإسلام، وممن تولى كبر الإفك في عائشة، وابنه عبدالله من فضلاء الصحابة وخيارهم، شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وكان أبوه عبدالله بن أبي من أشراف الخزرج.

انظر: الاستيعاب (٣/ ٩٤٠)، الإعلام للزركلي (٤/ ٦٥).

(٢) هو الصحابي الجليل حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري، الشاعر، فضل حسان على الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي ﷺ في أيام النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام. وتوفي بالشام سنة ثمانين. انظر: الاستيعاب ١(/ ٣٤١-٣٥١)، أسد الغابة(٢/ ٦).

(٣) هو الصحابي الجليل مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي، خالة أبي بكر الصديق. شهد بدرا، ويقال: مسطح لقب، واسمه عوف بن أثاثة. توفي سنة أربع وثلاثين، وهو ابن ست وخمسين سنة. وقد قيل: شهد مسطح صفين، وتوفي سنة سبع وثلاثين. انظر: الاستيعاب (٤/ ١٤٧٢)، أسد الغابة(٥/ ١٥٠)، الإصابة (٦/ ٧٤).

(٤) هي الصحابية الجليلة حمنة بنت جحش بن رياب الأسدية، من بني أسد بن خزيمة، أخت زينب بنت جحش، كانت عند مصعب بن عمير، وقتل عنها يوم أحد فتزوجها طلحة بن عبيد الله، وكانت تستحاض هي وأختها أم حبيبة بنت جحش. انظر: الاستيعاب(٤/ ١٨١٣)، أسد الغابة (٧/ ٧١)، الإصابة(٨/ ٨٨).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٢٩) " كتاب التوبة / باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف / ح٢٧٧٠ " عن عائشة رضى الله عنها بأطول منه.

الحق[1] ومنه قوله ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾[2] وقوله ﴿لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾[3] والعصبة: الجماعة[4] وقول ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ خطاب للنبي ﷺ ولأبي بكر ولعائشة < ، فيما لحقهم من الحزن والغم الشديد بما أوقعه أهل النفاق في الناس من أمر عائشة < وصفوان بلغنا كذا وسمعنا كذا و كذا[5] نقول لا تظنوا هذا الأمر شراً لكم، بل هو خير لكم بما يكتب لكم من الأجر والثواب / في الآخرة[6] على الصبر على هذا الحزن [ل٤٢٤/أ] وبما بيّن الله من طهارة عائشة < وبرأتها بآيات، تتلى في المحاريب إلى يوم القيامة وقوله ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم﴾ لكل امرئ من الخايضين في هذا الأمر جزاء ﴿مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ﴾ أي: مُعَظَّمه وهو عبدالله بن أُبي[7] هو الذي بالغ في إشاعة ذلك الحديث وكان أهل النفاق يجتمعون عنده ويشيعون ذلك بأمره[8].

﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يصغر في مقابلته كل عذاب يكون في الدنيا ومن قرأ بضم

---

(١) ومعنى القلب هنا أن عائشة رضى الله عنها كانت تستحق الثناء لحصانتها وشرف نسبها وعفتها لا القذف. انظر: معاني القرآن للزجاج(٤/ ٣٦)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٥٠٧)، مقاييس اللغة (١/ ١١٨) مادة " أفك ".

(٢) آية (٩) سورة الذاريات.

(٣) جزء من الآية (٢٢) سورة الأحقاف.

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٠)، لسان العرب لابن منظور (١/ ٦٠٥).

(٥) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٤) وليس فيه ذكر صفوان، ونسبه الماوردي في تفسيره (٤/ ٨٠) إلى ابن شجرة بنحوه.

انظر: تفسير السمعاني(٣/ ٥٠٩)، زاد المسير لابن الجوزي(٣/ ٢٨٣).

(٦) تفسير مقاتل(٣/ ١٨٩)، الوسيط للواحدي(٣/ ٣١٠).

(٧) هو قول مجاهد ومقاتل والسدي وعطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما وعزاه ابن كثير في تفسيره (٦/ ٢٥)، والسمعاني في تفسيره (٣/ ٥١٠) للأكثرين.

وانظر: تفسير مقاتل(٣/ ١٨٩)، تفسير الوسيط للواحدي(٣/ ٣١١).

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط(٣/ ٣١١)، وذكره البغوي في تفسيره (٦/ ٢٢) عن الضحاك بنحوه.

الكاف[1]، فمعناه: معنى الأول والكبر والعظم واحد[2] وكان أبو عمرو بن العلاء[3] ~ يقول: إن الكبر خطأ في هذا الباب وإنما يستعمل ذلك في الولاء والنسب[4].

قوله ﷻ: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾

معناه: هلاَّ إذ سمعتموه، ظن المؤمنون الذين هم كنفس واحدة فيما يجري عليها من الأمور[5] ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ أي: كذب ظاهر بيّن[6] ونظير هذا قوله تعالى ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[7] وفي الحديث « مثل المؤمنين في تواصلهم وتراحمهم فيما بينهم، كمثل الجسد إذا أشتكي عضو منه، تداعى سائر الأعضاء بالحمى والسهر»[8] وإنما ذُكر بلفظ الظن وأمر بظن الخير؛ لأنه

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٣).

(٢) جواهر الألفاظ لابي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد – دار الكتب العلمية – (ص٢٦٤).

(٣) هو أبو عمرو ابن العلاء المازني المقرئ النحوي البصري الإمام، مقرئ أهل البصرة. اسمه زبان على الأصح، أحد القراء السبعة، وليس في القراء السبعة أكثر شيوخًا منه أخذ القراءة عن أهل الحجاز، وأهل البصرة، فعرض بمكة على مجاهد وسعيد بن جبير، وعطاء وعكرمة بن خالد، وابن كثيروغيرهم. توفي أبو عمرو سنة أربع وخمسين ومائة.

انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (ص٥٨)، غاية النهاية لابن الجزري(١/ ٢٨٨-٢٩٢).

(٤) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٥٠٩)، تفسير السمعاني (٣/ ٥١٠)، ونسبه السمرقندي في تفسيره (٢/ ٥٠٢) إلى أبي عبيدة.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٢٩) عن الحسن بنحوه. وانظر: الوسيط للواحدي (٣/ ٣١١)، تفسير البغوي(٦/ ٢٣).

(٦) تنوير المقباس (ص٢٩٣)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٦).

(٧) آية (٦١) سورة النور.

(٨) سبق تخريجه (ص٥٦).

لا يجوز أن يظن بأهل الخير إلا الخير، كما قال سبحانه في سورة الحجرات ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[(1)] مع أن الذين كانوا يخوضون في أمر عائشة < لم يكونوا يخبرون عن معاينة ولم يكن قولهم إلا إفكاً؛ لأنها بقيت متخلفة عن الجيش وقد رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن من أكذب الحديث الظن»[(٢)]، ثم علَّم الله المؤمنين وجه الحكم في القذف، فقال جل ذكره ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ أي: هلاَّ جاءوا على صدقهم بأربعة شهداء، فإذا لم يأتوا بالشهداء، فأولئك عند الله، أي: في حكم الله وما جاء من عند الله ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ وهذا كقوله ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عند الله ولو لم يكن في قصة الإفك إلا معرفة المسلمين بأحكام القذف، لكان خيراً للمسلمين. ويجوز أن يكون قوله ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ خبراً عن كونهم كاذبين في الباطن والظاهر ولهذا قيل: إن من جوّز صدق أولئك في أمر عائشة < ، صار كافراً بالله تعالى، لكونه راداً شهادة الله تعالى لها بالبراءة[(٣)].

وقوله ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ أي: لولا منة الله وإنعامه عليكم في الدنيا والآخرة بتأخير العذاب عنكم وقبول التوبة لمن تاب، لمسكم فيما خضتم فيه عذاب فظيع هائل[(٤)] ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: إذ يلقى يرويه بعضكم عن بعض؛ ليشيعه[(٥)]

---

(١) جزء من الآية (١٢) سورة الحجرات.

(٢) والمصنف ~ تعالى ذكر الحديث بالمعنى، وقد أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٩) " كتاب الأدب / باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر / ح٦٠٦٤ " عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ بلفظ « إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا »، وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٥) " كتاب البر والصلة والآداب / باب: تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها / ح٢٥٦٣ " عن أبي هريرة ﷺ بمثله.

(٣) أحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٦٢)، وانظر تفسير البغوي(٦/ ٢٤). قال: القرطبي في تفسيره (١٢/ ٢٠٦) " قد برأ الله تعالى عائشة رضى الله عنها فكل من سبها بما برأها الله منه مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر".

(٤) انظر تنوير المقباس (ص٢٩٣).

(٥) تفسير مقاتل(٣/ ١٩٠-١٩١)، أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٣٢) عن مجاهد به، معاني القرآن ⇐

وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم بيان ولا حجة[1] ومن قرأ تلقونه بالتخفيف[2]، فهو من وَلِقَ الكذب يَلِق إذا أستمر على الكذب ووَلِقَ فلان في السير، إذا استمر فيه[3] وقوله ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ أي: تظنون ذلك أمراً هيناً وهو عند الله عظيم في الوزر والعقوبة[4].

وقوله ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ أي: هلاَّ قلتم حين سمعتم ذلك: لا يحل لنا ﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ﴾ أي: تنزيهاً لله تعالى من أن تكون امرأة نبي زانية[5] ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ أي: كذب يُتَحيَّر في عِظمه لبطلانه، يُقال: بَهَتَهُ يَبْهَتُه بَهْتاً وبُهْتَاناً، إذا أخبره بالكذب عليه[6]. والعظيم: هو الذي يضعف مقدار غيره منه[7]. وإنها أمرهم بالتكذيب لأحد معنيين: إما لوجوب حسن الظن بالمسلمين، وإما

= للزجاج (٤/ ٣٨).

(١) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٨).

(٢) هي قراءة عائشة رضى الله عنها، وهي قراءة شاذة.

أخرجها البخاري في صحيحه " كتاب المغازي / ح٤١٤٤ "، والطبري في تفسيره (١٩/ ١٣١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٤٨) كلهم من طريق ابن أبي مليكه عن عائشة رضى الله عنها. وممن قرأ بذلك ابن عباس رضى الله عنهما وابن يعمر وعثمان الثقفي. انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٨)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص٣٠١)، المحتسب لابن جني(٢/ ١٠٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٩/ ١٣١)، إعراب القرآن للنحاس(٣/ ٩٠)، تفسير البحر المحيط(٨/ ٢٢).

(٤) تفسير مقاتل(٣/ ١٩١).

(٥) أو تعجباً من عظم الأمر وهذان قولان للمفسرين جمع بينهما ابن الجوزي ~ تعالى في تفسيره (٣/ ٢٨٤) وجعلهما قولاً واحداً. وانظر: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٢٣).

(٦) انظر: مقاييس اللغة(١/ ٣٠٧)، النهاية في غريب الحديث (١/ ١٦٥) مادة " بهت "، تاج العروس (٤/ ٤٥٢).

(٧) انظر الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث / المؤلف: أحمد بن الحسين البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)-المحقق: أحمد الكاتب، الناشر: دار الآفاق الجديدة -(ص٥٩).

لأن مثل هذا القول يُزْرِي بالنبي ﷺ وينفر الناس عن إتباعه وقبول قوله[(١)].

وفي قوله تعالى ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ بيان: أن مثل هذا البهتان وقذف المحصنات لا يكون من صفات المؤمنين وقوله ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾أي: الدلالات الواضحات والله عليم بمقالة الكاذبين، حكيم فيما شرع من الأحكام قوله ﷻ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فيه بيان: أن العزم على الفسق فسق وأن على الإنسان أن يحب للناس ما يحب لنفسه وأن يكون في قلبه سلامة للمؤمنين، كما يكون مأموراً بكف اللسان والجوارح ونظير هذا قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[(٢)].

والعذاب الأليم / في الدنيا: هو الحد وفي الآخرة النار ويُروى أن مسطحاً أحد [ل٤٢٤/ب] من حده النبي ﷺ في قذف الإفك وقيل: حدوا جميعاً[(٣)] – يعنى قاذفي عائشة < [(٤)] – وقوله﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ محذوف الجواب تقديره: لعجل لكم العذاب الذي تستحقونه بمحبتكم إشاعة الفاحشة؛ لأن فيما تقدم دليلاً على هذا المعنى[(٥)].

---

(١) لم أقف على من ذكره.

(٢) جزء من الآية (٣٦) سورة الإسراء.

(٣) في هامش نسخة الأصل كُتِبَ بخط الناسخ (في سنن أبي داود وجامع الترمذي حُدّ مسطح بن أثاثه وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش).

(٤) قال القرطبي في تفسيره (١٢/ ٢٠١) " المشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء أن الذي حد حسان ومسطح وحمنة، ولم يسمع بحد لعبد الله بن أبي "، وبهذا القول قال ابن القيم في زاد المعاد في هدي خير العباد / المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)-الناشر: مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، (٣/ ٢٣٦) " فجلد مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، وهؤلاء من المؤمنين الصادقين تطهيراً لهم وتكفيراً، وتُرك عبدالله بن أبي، إذا فليس هو من أهل ذاك ".

(٥) ومن عادة العرب ترك ذكر الجواب لمعرفة السامع بالمراد من الكلام بعده. انظر: تأويل مشكل القرآن (ص١٣٦)، تفسير الطبري (١٩/ ١٣٤).

قولـه ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ أي: لا تسلكوا طرق الشيطان ولا تعملوا بتزيينه و وسوسته. والإتباع اقتفاء أثر الداعي إلى الجهة التى يذهب فيها[1]. والفحشاء القبيح من القول والعمل[2]. والمنكر الفساد الذي يُنكر العقل صحته ويزجر عنه[3] ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ بأمره إياكم بما تصيرون به أزكياء، ما صار أحدٌ منكم زكياً ولكن الله يطهر[4] وينسب إلى الزكاء من يشاء[5].

والله سميع لمقالة الخائضين في أمر عائشة وصفوان، عليم ببراءتهما مما قيل عليهما[6].

قولـه ﷻ: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ﴾ أي: لا يحلف[7] ذوو الغنى والسعة منكم، أن لا يعطوا ذوي القرابة والمساكين والمهاجرين من مكة إلى المدينة. نزل في أبي بكر ؓ، حين بلغته مقالة مسطح وأصحابه وخوضهم في أمر عائشة < . حلف هو أن لا ينفق عليه، دعاه وقال له: أغذيك بمالى وتؤذيني في ولدي والله لا أنفق عليك أبداً وكان مسطح ابن خالته وكان من قبل في نفقته وكان من المهاجرين البدريين، فلما نزلت هذه الآية قرأها رسول الله ﷺ فقال ؓ: « بلى أحب أن يغفر لي

---

(١) انظر: الصحاح (٣/ ١١٩٠)، ومفردات القرآن للراغب (ص١٦٢-١٦٣) مادة " تبع "

(٢) انظر: مفردات القرآن للراغب (ص٦٢٦) مادة " فحش "، التوقيف على مهمات التعاريف (ص٢٥٧).

(٣) انظر: الصحاح (٢/ ٨٣٧)، التوقيف على مهمات التعاريف (ص٣١٧).

(٤) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٥٩)، نسبه الأزهري في تهذيب اللغة (١٠/ ١٧٥) مادة " زكا " إلى الليث.

(٥) ذكره البغوي في تفسيره (٦/ ٢٦) وعزاه لبعض المفسرين، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٨٦) بمعناه ولم ينسبه.

(٦) والأولى في مثل هذه الألفاظ أن تحمل على عمومها؛ لأن الله ﷻ سميع لكل شيء عليم بكل شيء.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٣٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٥٣) كلاهما من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه.

ربي، أطيع ربي وأرغم أنفى وأحب أن يغفر لي، فرد النفقه عليه »[(١)].

والإيتلاء افتعال من الآلية وهي اليمين[(٢)]. ويُقرأ ولا يتأل من الفعل[(٣)].

قولــه ﷻ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ أي: يقــذفون العفــائف الغافلات عما قذفن به المصدقات بالله ورسوله، عذبوا في الدنيا بالحدود وفي الآخرة بالنار[(٤)]. وسميت عائشة: غافلة؛ لأنها قذفت بأمر لم يخطر ببالها وأصاب كل واحد من قاذفيها داهية في الدنيا: أما ابن أُبي، فقد مات في كفره ونهى النبي ﷺ عن الصلاة عليه، وأما حسان بن ثابت، فقد دخل على عائشة < بعد ما ذهب بصره في أخر عمره وأنشدها في بيتها:

حَـــصَانٌ رزان مـــا تـــزنُّ بريبـــة   وتـصبح غرثَـى مـن لحـوم الغوافـل[(٥)]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٠١) " كتاب التفسير / باب: قوله تعالى ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ. . . الآية﴾ / ح٤٧٥٠ "، وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٢٩) " كتاب التوبة / باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف / ح٢٧٧٠ " كلاهما في سياق حديث الإفك الطويل وقد تقدم تخريجه.

(٢) انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد(٨/ ٣٥٦)، تهذيب اللغة (١٥/ ٣١٠) مادة " ألى ".

(٣) وهي قراءة أبو رجاء العطاردي وأبو مخلد السدوسي وأبو جعفر وزيد بن أسلم. انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٨)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص٣٠٢)، المحتسب لابن جني(٢/ ١٠٦)، تفسير الثعلبي(٧/ ٨١).

(٤) تفسير مقاتل(٣/ ١٩٣).

(٥) البيت في ديوانه (ص١٩٠).

الحصان: العفيفة، والرزان: الرزينة الثابتة التي لا يستخفها الطيش. وتزن: ترمى وتتهم. والريبة: التهمة والشك. وغرثى: جائعة، يريد لا تغتاب النساء، والغوافل: جمع غافلة، وهي التي غفل قلبها عن الشر.

وانظر: معاني القرآن للزجاج(٤/ ٣٥)، السيرة النبوية لابن هشام / المؤلف: عبدالملك بن هشام (المتوفى: ٢١٣هـ)-تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر -(٢/ ٣٠٦).

فقالت له إنك لست كذلك، فلما خرج من عندها، قيل[1] لعائشة < : إن الله تعالى وعدهم بعذاب الدنيا والآخرة، فقالت: عائشة < أليس هو عذاب؟ تعنى ذهاب بصره[2].

وقوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ وعيد عام في القاذفين يتضمن بيان: أن جحودهم يوم القيامة فيما كان منهم في الدنيا لا ينفعهم؛ فإنهم إذا جحدوا ختم الله على أفواههم أنطق أيديهم وأرجلهم، فإذا علموا أن الجحود لا ينفعهم، رفع الله الختم عن أفواههم، فيشهدون بجميع ما عملوا[3] وهذا هو وجه التوفيق بين هذه الآية وبين قوله تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ ﴾ ويجوز أن تُخرج الألسنة ثم يختم على الأفواه وقوله ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ أي: جزاء أعمالهم الواجب[4] ويعلمون يومئذ أن الله هو الحق المبين، يقضي بحق ويأخذ بحق ويعطى بحق قوله ﷻ: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ فيه أقوال:

أحدها: أن معناه الكلمات الخبيثات للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلمات، أي: لا يتكلم بالخبث إلا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات إلا الطيب من الرجال والنساء[5].

والثاني: أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال وأن الخبيثين من الرجال

----

(١) والقائل هو مسروق كما في البخاري ومسلم وسيأتي تخريجه في الحاشية التي تليها.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٠٦) " كتاب التفسير / باب: قوله تعالى ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾ ح٤٧٥٥ "، وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٣٤) " كتاب فضائل الصحابة / باب: فضائل حسان بن ثابت ﷺ ح٢٤٨٨ " بمثله.

(٣) أخرجه ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه.

(٤) انظر تفسير مقاتل(٣/ ١٩٣).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٤٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وعطاء بمثله. وانظر تفسير ابن أبي حاتم(٨/ ٢٥٦٠-٢٥٦٤).

للخبيثات من النساء[١] للمشاكلة[٢] التي بينهما[٣]، كما قلنا في قوله ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةً﴾[٤] وعلى هذا قيل: في الآيتين أن الزواني للزناة على التعبد للأول ثم نسخ[٥].

وفي الآية دليل تنزيه عائشة < ؛ لأن النبي ﷺ كان من أطيب الطيبين، فلا تكون له امرأة فاجرة بغي[٦].

قوله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾

/ أي: الطيبون مبرؤون مما يقول الخبيثون[٧]. والمبرأ: هو المنفي عنه صفة العيب [ل٤٢٥/أ] وذكره بلفظ الجمع والمراد به عائشة وصفوان، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾[٨][٩]

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٤٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٦٢) كلاهما عن ابن زيد بنحوه.

ولعل الأقرب من القولين هو القول الأول وهو ما رجحه الإمام الطبري في تفسيره (١٩/ ١٤٤) " لأن الآيات قبل ذلك إنما جاءت بتوبيخ الله للقائلين في عائشة الإفك، والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات، وإخبارهم ما خصهم به على إفكهم، فكان ختم الخبر عن أولى الفريقين بالإفك من الرامي والمرمي به، أشبه من الخبر عن غيرهم ".

(٢) سبق تخريجه (ص٧٤).

(٣) انظر أحكام القرآن للجصاص ٥(/ ١٦٤).

(٤) جزء من الآية (٣) سورة النور.

(٥) لم أقف عليه فيما بين يدي من كتب الناسخ والمنسوخ.

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (٨/ ٥٠٥٧).

(٧) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ١٩٤).

(٨) جزء من الآية (١١) سورة النساء.

(٩) أي ذكر الجمع والمراد به التثنية، وهو أسلوب معروف من أساليب العرب.

⇦=

قوله ﷻ ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ أي: مغفرة لذنوبهم وثواب حسن في الجنة بما لحقهم من الأذية[(١)] قوله ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ فيه أمر بالتحفظ عن الهجوم على ما لا يؤمن من العورات وإلى هذا أشار النبي ﷺ حيث قال للرجل الذي قال: إنى استأذن على أختي قال: « إن لم تستأذن رأيت منها ما تكره »[(٢)] أي: ربما تدخل عليها وهي متكشفة، فترى منها ما تكره والاستئناس: هو الاستعلام؛ ليُعلم من في الدار وذلك يكون بقرع الباب أو التنحنح وخفق النعل[(٣)]. تقول العرب أذهب، فاستأنس هل ترى أحد[(٤)] و تقول استأنست، فما رأيت أحداً[(٥)] ويجوز أن يكون معنى الاستئناس الإستئذان[(٦)]، وقد مضت السنة بالجمع بين الإستئذان

= انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٩)، تأويل المشكل (ص١٧٣)، والبرهان للزركشي(٢/ ٢٠٧).

(١) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ١٩٤).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٥/ ١٤٠٢) (باب الإستئذان / ح٧٧٣)، وأبو داود في المراسيل (ص٣٣٦) برقم (٤٤٨)، والطبري في تفسيره (١٩/ ١٤٨) كلهم من طريق صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار مرسلاً.

وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٥٩٤) (باب: يستأذن على أمه / ح١٠٦٠) عن مسلم بن نذير يقول: سأل رجل حذيفة فقال: أستأذن على أمي؟ فقال: إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره.

قال ابن عبدالبر في التمهيد (١٦/ ٢٢٩) " وهذا الحديث لا أعلم يستند من وجه صحيح بهذا اللفظ وهو مرسل صحيح مجتمع على صحة معناه "، وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية (١/ ٣٩٣) " مرسل جيد "، وقال ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٢٥) بعد أن ساق الآثر في هذا " وأسانيد هذه الآثار كلها صحيحة ".

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٤٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٦٦)، والجصاص في أحكام القرآن (٥/ ١٦٤) كلهم عن مجاهد بنحوه.

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٩).

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٩)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٥٩)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٥١٧).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٤٥-١٤٧) عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما والنخعي وقتادة بمثله، وأخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٦٦) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقتادة =

والسلام ورُوي أن أعرابياً جاء إلى باب دار النبي ﷺ فقال: أيلج، فقال النبي ﷺ لخادمته[١]: « اذهبي، فقولي له: فليقل: السلام عليكم أأدخل »[٢] فقال ذلك، فأذن له في الدخول، قوله ذلكم أي: الإستئذان خير لكم من الدخول بغير إذن ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لكي تتعظوا ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ يعنى: من سكانها، فلا تدخلوها، إلا أن يأذن صاحبها ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ لعل صاحب الدار لا يرضى أن يقع بصر المستأذن على أحد من حرمه أو يخرج إليه أحد من قومه، فإن لم يقل صاحب الدار له: أرجع، ولكن وجد منه ما يدل على ذلك وجب الرجوع عنه[٣]، كما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال « الإستئذان ثلاث، فإن أذن وإلا، فليرجع »[٤] ورُوي « الإستئذان ثلاث مرة تختصمون ومرة تستصلحون ومرة تأذنون أو تردون »[٥] وقوله ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾

= وسعيد بن جبير بمثله.

قال الإمام الطبري في تفسيره (١٩/ ١٤٩) " والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الاستئناس: الاستفعال من الأنس، وهو أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم، مخبرا بذلك من فيه، وهل فيه أحد؟ وليؤذنهم أنه داخل عليهم، فليأنس إلى إذنهم له في ذلك، ويأنسوا إلى استئذانه إياهم ".

(١) في هامش نسخة الأصل كُتِبَ بخط الناسخ (الخادم واحد الخدم غلاماً كان أو جارية من عين المعاني).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٤٦) من طريق يونس بن عبيد، عن عمرو بن سعيد الثقفي بمثله، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٢٤٢) (كتاب الآداب / باب: الإستئذان / ح٢٥٦٧٢)، وأبو داود في سننه (٤/ ٣٤٥) (كتاب الأدب / باب: كيف الإستئذان / ح٥١٧٧)، والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٢٦) (كتاب عمل اليوم والليلة / باب: كيف يستأذن / ح١٠٠٧٥) كلهم من طريق ربعي بن حراش، عن رجل، من بني عامر: أنه استأذن فذكروه بنحوه.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣) " إسناده جيد ".

(٣) انظر أحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٧٠).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٤) (كتاب الإستئذان / باب: التسليم والإستئذان ثلاثاً / ح٦٢٤٥)، ورواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦٩٤) (كتاب الآداب / باب: الإستئذان / ح٢١٥٣) بلفظ «إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له، فليرجع»

(٥) رواه أبو عبدالرحمن السلمي في " آداب الصحبة " (ص١٠٥): أنبا علي بن عمر الدارقطني: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن صالح الأزدي: حدثنا العباس بن يزيد: حدثنا عمر بن عمران: حدثنا دهشم بن =

أي: الرجوع أطهر وأنفع لدينكم من الجلوس على أبواب الناس[1] قوله ﷻ ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ فيه إذن في الدخول في المواضع التي لا يختص بسكانها أحد دون أحد، مثل الخانات[2] والرباطات[3] التي تتخذ للمسافرين يستظلون فيها من الحر والبرد[4] ويدخل في هذا أخذ ما جرت العادة بإباحته، مثل النوى والخِرق الملقاه في الطريق[5]، ويجوز أن يكون المراد بالبيوت في هذه الآية: حوانيت التجار[6] وقيل: أراد بها الخربات يدخلها الرجل لقضاء الحاجة، فيتفرج بها مما به[7][8] قوله ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ أي: اعملوا عمل من يعلم أن

= قران عن يحيى بن أبي كثير عن عمرو بن عثمان عن أبي هريرة مرفوعا فذكره.

قال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٥/ ٤٨٩) " وهذا إسناد ضعيف جدا. دهثم هذا متروك. وعمر بن عمران، وهو السدوسي؛ مجهول، وقال الأزدي: منكر الحديث ".

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١٩٥)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٨٥) بمثله ولم ينسبه.

(٢) الخانات: جمع خان وهي الفنادق التي تنزلها السابلة في الطرق ولا يقيمون فيها إلا مقام ظاعن. انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٩)، أحكام القرآن لابن العربي(٣/ ٣٧٦)، لسان العرب (٨/ ٣٣٢).

(٣) الرباطات: جمع رباط وهو المكان الذي تربط فيه الخيل أو غيرها من المواشي. انظر: العين للخليل(٧/ ٤٢٢)، الصحاح (٣/ ١١٢٧).

(٤) تفسير مقاتل(٣/ ١٩٥).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٥١) عن الضحاك بنحوه. وانظر: تفسير الثعلبي(٧/ ٨٦)، وتفسير البغوي (٦/ ٣٢)، وزاد المسير(٣/ ٢٨٩)عن قتادة بنحوه.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٥٢)، وذكره البغوي في تفسيره (٦/ ٣٢)كلاهما عن ابن زيد بمثله.

وقد رد الطبري هذا القول في تفسيره (١٩/ ١٥٣) بقوله " أما حانوت التاجر لا سبيل إلى دخوله إلا بإذنه، وهو مع ذلك مسكون، فتبين أنه مما عنى الله من هذه الآية بمعزل ".

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٥٢)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٧٠)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٨٦)، والبغوي في تفسيره (٦/ ٣٢)كلهم عن عطاء بمثله.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٩/ ١٥٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٧٠)، تفسير البغوي (٦/ ٣٢)، تفسير ابن عطية(٤/ ١٧٧).

=⇦

الله يعلم مايبديه ويخفيه؛ فإنه يحاسبه على ذلك ويجازيه[1] قوله ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ يجوز أن يكون مِن هاهنا لابتداء الغاية[2] ويجوز أن تكون زائدة معناها: التوكيد[3] أي: قل لهم: يغضوا أبصارهم عن النظر إلى ما لا يحل لهم ويحفظوا فروجهم عن الحرام. ذلك أزكى لهم، أي: اطهر لهم[4] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ﴾ أي: عالم بما يصنعه العباد وعن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي كرم الله وجهه: «إني أحب لك ما أحب لنفسي وأكره لك ما أكره لنفسي، لا تتبع النظرة النظرة؛ فإن لك الأولى وعليه الثانية»[5] وكان عيسى عليه السلام يقول لأصحابه: « إياكم والنظرة؛ فإنها تزرع في القلب

= قال الإمام الطبري في تفسيره (١٩/ ١٥٣) " ولا وجه لتخصيص بعض ذلك دون بعض، فكل بيت لا مالك له، ولا ساكن، من بيت مبني ببعض الطرق للمارة والسابلة؛ ليأووا إليه، أو بيت خراب، قد باد أهله ولا ساكن فيه، حيث كان ذلك، فإن لمن أراد دخوله أن يدخل بغير استئذان، لمتاع له يؤويه إليه، أو للاستمتاع به لقضاء حقه من بول أو غائط أو غير ذلك ".

(١) تفسير مقاتل(٣/ ١٩٥).

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٢)، وتفسير الدر المصون للسمين الحلبي (٨/ ٣٩٧)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٦).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٧١) عن سعيد بن جبير بنحوه، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٨٩) عن السدي بمثله، ونسبه أبو حيان في تفسيره (٨/ ٣٢) للأخفش، وقال الشنقيطي في تفسيره (٥/ ٥٠٨) " والقول بأن من زائدة، لا يعول عليه...... ثم قال والأظهر عندنا أن مادة الغض تتعدى إلى المفعول بنفسها وتتعدى إليه أيضا بالحرف الذي هو من ومثل ذلك كثير في كلام العرب ".

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٧١) كلاهما عن ابن زيد بنحوه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٨٦) بمثله ولم ينسبه.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ١٠١) (كتاب الأدب / باب: ما جاء في نظرة المفاجأة / ح٢٧٧٧) قال حدثنا علي بن حجر قال: أخبرنا شريك، عن أبي ربيعة، عن ابن بريدة، عن أبيه، رفعه قال: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٤٦٦) برقم (١٣٧٣) قال حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا محمد بن إسحاق بنحوه.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٦٣) " رواه أحمد، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات ". ففي سند الإمام أحمد ابن إسحاق وهو مدلس ولم يصرح بالسماع، فهو إسناد ضعيف.

⇐=

الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنه »[١].

قوله ﷻ ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾ معناه: وقل للمصدقات بالله: يغضضن أبصارهن ويحفظن فروجهن عن الحرام ولا يبدين زينتهن، إلا ما ظهر منها، أي: لا يظهرن مواضع زينتهن، إلا ما ظهر من مواضع الزينة والزينة زينتان: ظاهرة وباطنة، فالباطنة: هي المخانق[٢] والمعاضد[٣] والقلادة[٤] والخلخال[٥] والسوار[٦] والقرط[٧][٨]، وأما الزينة الظاهرة فعلى قول ابن عباس: هي الكحل والخاتم

= وفي سند الترمذي شريك بن عبدالله، قال الحافظ ابن حجر في التقريب (ص٢٦٦): " شريك بن عبدالله القاضي صدوق يخطىء كثيرا تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة " وقال الترمذي في سننه (٥/ ١٠١) «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك» فهو إسناد ضعيف، لكن يرتقي بمجموع الطريقين لدرجة الحسن لغيره.

(١) ذكره السمرقندي في تفسيره (٢/ ٥٠٨) بقوله " وروي عن عيسى ابن مريم أنه قال " وذكره بمثله، وذكره الرازي في تفسيره (٢٣/ ٣٦٢) بقوله " وقيل مكتوب في التوراة " وذكره بمثله. فهو من الإسرائيليات.

(٢) المخانق: جمع مخنقة، وهي القلادة الواقعة على المخنق، يقال: في جيدها مخنقة، وفى أجيادهن مخانق. انظر: تاج العروس(٢٥/ ٢٦٩).

(٣) المعاضد: جمع معضد، وهي ما شد في العضد من الحرز؛ واعتضدت الشيء: جعلته في عضدي. لسان العرب (٣/ ٢٩٢)، تاج العروس(٨/ ٣٨٦).

(٤) وهو نوع من الحلي يجعل في العنق. انظر: لسان العرب(٣/ ٣٦٦)، القاموس المحيط (ص٣١٢).

(٥) هو نوع من الحلي تلبسه المرأة وتجعله في ساقها. انظر: لسان العرب(١١/ ٢٢١)، القاموس المحيط (ص٩٩٥).

(٦) بضم السين أو كسرها جمعه أَسْوِرة ثم أساور وأَسَاوِرَة وهو نوع من الحلي مستدير كالحلقة يلبس في المعصم. انظر: لسان العرب(٤/ ٣٨٨)، المعجم الوسيط(١/ ٤٦٢).

(٧) قُرْط يجمع على أقراط وقِرَطة وأَقْرِطَة. وهو نوع من الحلي يعلق في شحمة الأذن ويكون من دُر أو ذهب أو فضة ونحوها. انظر: العين(٥/ ٩٦)، لسان العرب(٧/ ٣٧٤).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٧٣) عن ابن مسعود ﷺ بمثله.

والخضاب[1]، ليس على المرأة بحكم هذه الآية ستر وجهها وكفيها في الصلاة وفي غير الصلاة ويجوز للأجانب من الرجال النظر إلى وجهها وكفيها، لغير الشهوة[2] وأما

----

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٥٧) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله، وأخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٧٤) عن مجاهد بمثله.

(٢) وهذا القول اختاره الطبري في تفسيره (١٩/ ١٥٨) وهو مروي عن ابن عباس وعائشة وابن عمر رضى الله عنهم والنخعي وسعيد بن جبير وعطاء.

قال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٤٥) " وهذا هو المشهور عند الجمهور " وعليه فقد ذهب أبو حنيفة والشافعي وهو قول في مذهب الإمام أحمد إلى أنه يجوز للأجنبي أن ينظر من المرأة إلى وجهها ويديها بغير شهوة، وأما إذا كان لشهوة فيحرم عليه ذلك. وتفسير الزينة في الآية بالوجه والكفين، فيه نظر لأمرين:

أولاً: لأن قول من قال أن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ هو أن المراد بالزينة: الوجه والكفان مثلا، فإنه توجد في الآية قرينة تدل على عدم صحة هذا القول، وهي أن الزينة في لغة العرب، هي ما تتزين به المرأة مما هو خارج عن أصل خلقتها: كالحلي، والحلل. فتفسير الزينة ببعض بدن المرأة خلاف الظاهر، ولا يجوز الحمل عليه، إلا بدليل يجب الرجوع إليه، وبه تعلم أن قول من قال: الزينة الظاهرة: الوجه، والكفان خلاف ظاهر معنى لفظ الآية، وذلك قرينة على عدم صحة هذا القول، فلا يجوز الحمل عليه إلا بدليل منفصل يجب الرجوع إليه.

ثانياً: أن لفظ الزينة يكثر تكرره في القرآن العظيم مرادا به الزينة الخارجة عن أصل المزين بها، ولا يراد بها بعض أجزاء ذلك الشيء المزين بها ؛ كقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾، فلفظ الزينة في هذه الآيات يراد به ما يزين به الشيء وهو ليس من أصل خلقته، كما ترى، وكون هذا المعنى هو الغالب في لفظ الزينة في القرآن، يدل على أن لفظ الزينة في محل النزاع يراد به هذا المعنى، الذي غلبت إرادته في القرآن العظيم، وهو المعروف في كلام العرب.

"و الله ﷻ نهى عن إبداء الزينة مطلقاً إلا ما ظهر منها، وهي التي لابد أن تظهر كظاهر الثياب ولذلك قال: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَا﴾ لم يقل إلا ما أظهرن منها، ثم نهى مرة أخرى عن إبداء الزينة إلا لمن استثناهم، فدل هذا على أن الزينة الثانية غير الزينة الأولى. فالزينة الأولى هي الزينة الظاهرة التي تظهر لكل أحد ولا يمكن إخفاؤها، والزينة الثانية هي الزينة الباطنة التي يتزين بها، ولو كانت هذه الزينة جائزة لكل أحد لم يكن للتعميم في الأولى والاستثناء في الثانية فائدة معلومة ".

فأظهر القولين قول ابن مسعود - ﷺ -: أن الزينة الظاهرة هي ما لا يستلزم النظر إليها رؤية شيء من ⇐=

النظرة مع الشهوة، فلا يجوز، إلا في أربعة مواضع: إذا أراد أن يتزوج امرأة أو يشتري جارية أو يتحمل الشهادة لها أو عليها أو القاضي يقضي لها أو عليها(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن / الزينة الظاهرة: هي الجلباب والملاءة(٢) وإنما أبيح نظر الأجنبي إلى وجهها وكفيها وظاهر ثيابها(٣)؛ لأنها تضطر إلى الخروج في حوائجها وإلى الأخذ والإعطاء وربما يكون الشيء الذي يُؤخذ، بحيث لا يمكن تناوله بالكمين(٤) [ل٤٢٥/ب]

وعن الحسن وابن سيرين(٥) أنهما قالا: كنَّ النساء يخرجن متنقبات، لا يُرى منهن إلا نصف عين واحدة، فإذا انتهين إلى الرجال وقفن(٦) وقوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ

= بدن المرأة الأجنبية ؛ وذلك لأنه هو أحوط الأقوال، وأبعدها عن أسباب الفتنة، وأطهرها لقلوب الرجال والنساء، ولا يخفى أن وجه المرأة هو أصل جمالها ورؤيته من أعظم أسباب الافتتان بها ؛ كما هو معلوم والجاري على قواعد الشرع الكريم، هو تمام المحافظة، والابتعاد من الوقوع فيما لا ينبغي. انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٥٨)، أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١٧٤)، أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٣٨١)، تفسير ابن كثير(٦/ ٤٥)، أضواء البيان للشنقيطي(٥/ ٥١٥-٥١٧)، رسالة الحجاب لابن عثيمين (ص١١).

(١) لم أقف عليه فيما بين يدي من المصادر.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٧٣) كلاهما عن ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه. وانظر: تفسير السمرقندي(٢/ ٥٠٨)، النكت والعيون للماوردي(٤/ ٩١).

(٣) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٢/ ١١١) " فما بقي يحل للأجانب النظر إلا إلى الثياب الظاهرة فابن مسعود ذكر آخر الأمرين وابن عباس ذكر أول الأمرين ".

(٤) انظر: أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١٧٠-١٧١).

(٥) هو محمد بن سيرين أبو بكر الأنصاري، الإمام، شيخ الإسلام، مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ قال عوف الأعرابي: كان ابن سيرين حسن العلم بالفرائض والقضاء والحساب، وقال أبو عوانة: رأيت محمد بن سيرين في السوق، فما رآه أحد إلا ذكر الله، مات رحمة الله سنة عشر ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٦)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٢١٤).

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره (١٤/ ٢٤٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما وعبيدة السلماني بلفظ " حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها ".

﴿جُيُوبِهِنَّ﴾ أمرهن بتخمير صدورهن والخمر المعطوفة على الرؤوس المراد به: الأعناق والنحور[(١)]؛ كيلا يطلع عليهن الرجال، فيفتنون بهن؛ لأن المرأة إذا سدلت[(٢)] خمارها، انكشف ما قدامها وما خلفها، فوقع الاطلاع عليها وقوله ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لبعولتهن﴾ أراد به مواضع الزينة الباطنة[(٣)] لا نفس الزينة؛ لأن نفس الزينة حلي وثياب يتناولها الرجال في أيديهم، فالمعنى: ولا يُظهرن مواضع الزينة التى تكون تحت خمرهن، إلا لأزواجهن أو أبائهن أو أباء أزواجهن أو أبنائهن أو أبناء أزواجهن أو إخوانهن في النسب والرضاع أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن وكل ذي رحم محرم منها[(٤)] أو نساءهن، قيل: إن المراد نساء أهل دينهن وهن المسلمات ولا يحل لمسلمة أن تتكشف ليهودية أو نصرانية أو مجوسية وحرمة الدين كحرمة النسب[(٥)]، وقيل إن المراد به العفائف الحرائر اللواتي يكنّ أشكالهن. لا ينبغي للمرأة الصالحة أن تنظر إليها المرأة[(٦)] الفاجرة؛ لأنها تصفها عند الرجال[(٧)] قوله ﷻ ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ فقد ذهبت فيه عائشة < إلى أن المراد به: العبيد، فجعلت عبدالمرأة محرماً لها[(٨)] وكان

---

(١) انظر: الصحاح (٢/ ٦٤٩) مادة خمر، ومفردات القرآن للراغب (ص٢٩٨) مادة خمر

(٢) في نسخة (ب): (اسدلت).

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٨٧) بمثله ولم ينسبه.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ١٩٦)، أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١٧٤).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٦٠) عن ابن جريج بنحوه، انظر تفسير البغوي(٦/ ٣٥).

قال ابن قدامة في المغني (٧/ ١٠٥) " وحكم المرأة مع المرأة حكم الرجل مع الرجل سواء، ولا فرق بين المسلمتين، وبين المسلمة والذمية، كما لا فرق بين الرجلين المسلمين، وبين المسلم والذمي، في النظر. قال أحمد: ذهب بعض الناس إلى أنها لا تضع خمارها عند اليهودية والنصرانية، وأما أنا فأذهب إلى أنها لا تنظر إلى الفرج، ولا تقبلها حين تلد ".

(٦) سقطت (المرأة) من نسخة (ب).

(٧) انظر أحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٧٤).

(٨) قال النحاس في معاني القرآن (٤/ ٥٢٣) " وهذا القول معروف من قول عائشة وأم سلمة " وعليه فإنه =

سعيد بن المسيب يقول: لا يغرنكم قوله ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾؛ فإنها نزلت في الإماء[1] دون العبيد وعن مجاهد[2] مثل ذلك، كأنهما ذهبا إلى أن المراد بقوله أو ﴿نِسَآئِهِنَّ﴾ الحرائر، كما في قوله ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾[3] والمراد بقوله أو ما ملكت أيمانهن: الإماء والولائد والصغار من الذكور من المماليك. وفي الآية ما يدل على هذا القول وهو قوله ﴿أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ وهذا كقوله تعالى ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[4] فإنه مطلق اللفظ مخصوص المعنى؛ لأن الأمة التي تكون أخت مولاها من الرضاع لا تحل له ومحرم المرأة من لا يحل له مناكحتها أبداً، وليس العبد كذلك؛ فإنه إذا أُعتق، حل له أن يتزوجها[5]، فأما قوله تعالى ﴿أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ فهم الذين يتبعون النساء من الأجراء العمال الذين لا حاجة لهم في النكاح، وإنما يخدمون القوم؛ لينالوا من طعامهم[6] والإربة: فعله من الأرب وهو الحاجة، كالمشية من المشي والجلسة من الجلوس[7]، قال الحسن: هم قوم طبعوا على غير شهوة، إذ لا يشتهون

= يجوز للمؤمنات إظهار زينتهن لما ملكت أيمانهن كالمحارم ولعل هذا القول هو الأقرب. انظر: المغني (٧/ ٩٩).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٦٠)، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٩٤) كلاهما عن مجاهد و سعيد بن المسيب بمثله، وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٧٥)، تفسير البغوي (٦/ ٣٥).

(٢) في نسخة (ب) بزيادة (رضى الله عنه).

(٣) آية (٢٢٦) سورة البقرة.

(٤) آية (٦) سورة المؤمنون.

(٥) انظر أحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٧٦).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٦١) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٨٨) عن ابن زيد بمثله، وذكره البغوي في تفسيره (٦/ ٣٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة والشعبي بنحوه.

(٧) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٥٢٦)، مفردات القرآن للراغب (ص٧٢)، لسان العرب (١/ ٢٠٨)، تاج العروس (٢/ ١٦).

ولا يعرفون ما يُشتهي من النساء[١]، ويُقال: أراد به الخصيان الذين جف ماؤهم والشيوخ الكبار والعنين[٢][٣]، وأما الخصي الذي لم يجف ماؤه: فهو من أُولِي الإربة، كما رُوى عن عائشة < أنها قالت: «إن الخصاء مثله وإنها لا تحل له ما حرم على غيره»[٤].

وقوله ﴿أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ﴾ أراد به: الصغير الذي لا رغبة له في النساء ولم يبلغ مبلغاً يطيق إتيان النساء، يُقال: ظهر فلان على فلان إذا قوي عليه[٥] وقد يُذكر الطفل بمعنى: الجماعة، يُقال: صبي طفل وصبية طفل وصبيان طفل[٦] وأما الصبي الذي يكون له رغبة في النساء، فحكمه حكم البالغ في هذا، كما رُوى عن النبي ﷺ أنه قال في الصبيان « مروهم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً وفرقوا[٧] بينهم في المضاجع »[٨].

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٩٥) عن الحسن بأقل منه، وذكره البغوي في تفسيره (٦/ ٣٥) عنه بمثله وزاد " هو الذي لا ينتشر ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن "، وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٩١) عنه بنحوه.

(٢) والعنين: هو الذي لا يأتي النساء عجزاً. انظر: لسان العرب(٥/ ٣٦٩)، تاج العروس(١٥/ ٢١٢).

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٩٥)، والبغوي في تفسيره (٦/ ٣٥)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٩١) كلهم عن عكرمة بنحوه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧١٦) (كتاب الآداب / باب: منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب / ح٢١٨١) عن عائشة رضى الله عنها بنحوه.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٥٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٥٢٦).

(٦) والمقصود به هنا الجمع بدليل قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ﴾ وفي مصحف حفصة رضى الله عنها چ أو الأطفال چ. انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٤٤)، معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٥٦)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٥٢٦)، تفسير القرطبي (٤/ ١٠٥).

(٧) في هامش نسخة الأصل كُتِبَ بخط الناسخ (أراد بالتفريق التفريق بين الذكور والإناث من الأولاد عند النوم لقربهم من البلوغ).

(٨) أخرجه أحمد في مسنده (١١/ ٢٨٤) برقم (٦٦٨٩)، وأخرجه أبو داود في سننه (١/ ١٣٣) (كتاب =

وفي قولـه ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ رُوي عـن الحسن أنـه قـال: « كانـت المـرأة تمـر عـلى المجلـس وعليهـا الخلخـال، فتـضرب إحـدى رجليهـا بالأخرى؛ ليعلم القوم أن عليها الخلخال »[1] فنهـين عـن ذلـك؛ لأن ذلـك ممـا يحـرك الشهوة وهذا؛ لأن سماع صوت الزينة بمنزلة إبداء الزينة[2]، وفي هذا دليـل أن صـوت المرأة عورة؛ لأن صوت خلخالها أقل من صوتها وأما ما سوى مواضع الزينة، فلا يحل النظر إليه، لغير الزوج بدلالة قوله ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم﴾[3] الآية فلـو كـان للابن النظر إلى موضع ظهر الأم، لكان التشبيه بظهر الأم لا يوجب التحريم وإذا ثبت هذا في الظهر، ثبت في أمثاله من البطن / والجنب والفخذ وغير ذلك[4]. [ل٤٢٦/أ]

= الصلاة / باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة / ح٤٩٥) كلاهما من طريق سوار بن داود، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: " مروا صبيانكم بالصلاة، إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها، إذا بلغوا عشرا، وفرقوا بينهم في المضاجع "

وفيه سوار بتشديد الواو آخره راء ابن داود المزني أبو حمزة الصيرفي البصري. قال: الحافظ ابن حجر في التقريب (٢٥٩) " صدوق له أوهام ". فعليه يكون إسناده ضعيف.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٦٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة بنحوه، وأخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٨٠) عن سعيد بن جبير بمثله، ولم أقف عليه من قول الحسن. وانظر: معاني القرآن للزجاج(٤/ ٤٠)، وتفسير ابن كثير(٦/ ٤٩).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٤٠).

(٣) الآية (٢) سورة المجادلة.

(٤) وفي هذا الإستدلال نظر لأن المقصود بالظهر في آية الظهار ليس هو العضو من الجسد، لأنه ليس الظهر أولى بالذكر في هذا الموضع من سائر الأعضاء التي هي مواضع المباضعة، والتلذذ، بل الظهر هاهنا مأخوذ من العلو، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧] أي يعلوه، وكل من علا شيئا فقد ظهره، ومنه سمي المركوب ظهرا، لأن راكبه يعلوه، وفي قولهم: أنت علي كظهر أمي، حذف وإضمار، لأن تأويله: ظهرك علي، أي ملكي إياك، وعلوي عليك حرام، كما أن علوي على أمي وملكها حرام علي. انظر: أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٣٠٩)، وتفسير الرازي(٢٩/ ٤٧٨)

قوله ﷻ ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ معناه: وارجعوا إلى الله بالتوبة من الخصال المذمومة؛ لتكونوا على رجاء الفلاح[(١)]. وفي الآية دليل أن ارتكاب ماتضمنة الآية من المعاصي، لا يوجب الكفر، فلا يزيل اسم الإيمان[(٢)].

قوله ﷻ ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ أي: زوجوهم[(٣)] والأيم: اسم للمرأة التي لا زوج لها وللرجل الذي لا امرأة له، يُقال: رجل أيم وامرأة أيم، كما يُقال: رجل بكر وامرأة بكر ورجل ثيب وامرأة ثيب[(٤)].

قال الشاعر:

فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي ... مد الدهر ما لم تنكحي أتأيم[(٥)]

فوصف نفسه بالتأيم ويُقال: الأيم في النساء كالعزب في الرجال والأمر في تزوج الأيامى أمر فرض إن أردن من أوليائهن تزويجهن من الأكفاء، فإن امتنع الأولياء بعد حضور الأكفاء، صاروا عاضلين وناب القاضي منابهم في التزويج[(٦)] ولا خلاف بين أهل العلم أن المرأة إذا امتنعت من التزويج، لم يكن لوليها أن يجبرها عليه

---

(١) تفسير مقاتل(٣/ ١٩٧).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٦١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٦٥)، وأحكام القرآن للجصاص(٥/ ١٧٨)، وتفسير السمعاني(٣/ ٥٢٥).

(٤) انظر: مجاز القرآن(٢/ ٦٥)، الصحاح (٥/ ١٨٦٨) مادة " أيم "، مفردات القرآن للراغب (ص١٠٠).

(٥) ويرى الشطر الثاني من البيت " وإن كنت أفتى منكم أتأيم "

والشاهد فيه قوله " تتأيمي " و " أتأيم " حيث جاءت على الفعل وإطلاقها على الرجل والمرأة. انظر: مجاز القرآن لأبي عبيد (٢/ ٦٥) من غير نسبه، تفسير الطبري (١٩/ ١٦٥) من غير نسبه، أحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٧٩) من غير نسبه، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي للنهرواني (ص٦٣٩) من غير نسبه، لسان العرب (١٢/ ٣٩) قال: وأنشد ابن بري وذكره.

(٦) وهذا مذهب الظاهرية ورواية عن الإمام أحمد. انظر: أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١٧٨)، والمحلى لابن حزم (٩/ ٣)، والمغني لابن قدامة (٧/ ٤).

وإنما قاله الشافعي في البكر البالغة أن لأبيها ثم لجدها أبي أبيها أن يجبرها على النكاح وينفذ عقده عليها بغير رضاها[(١)] وقوله: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾ خطاب للموالى بتزويج العبيد والإماء[(٢)] وهو أمر ترغيب واستحباب[(٣)] وفائدة ذكر الصالحين أن المقصود من النكاح: العفاف، والصالح: هو الذى يتعفف دون المفسد وفي قوله: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ حث على النكاح بأن لا يمتنعوا منه بسبب الفقر[(٤)]، فإن الله هو المغنى والغنى على وجهين: غنى المال وغنى النفس وهذا الثاني أقوى الحالين، كما رُوى في الحديث « الغنى غنى النفس »[(٥)].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ أي: واسع الفضل والعطية ﴿عَلِيمٞ﴾ بمن هو أهل لذلك؛ فإنه جل ذكره أعلم بمن يصلح له الغنى وهو أعلم بمن لا يصلح له إلا الفقر[(٦)].

وقوله: ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ فمعناه: وليستعفف الذين لا يجدون سعة النكاح[(٧)] ولا يجدون الشيء الذي ينكحون به من مهر ونفقه، حتى يمكنهم الله من الوطء، إما بملك اليمين أو بملك النكاح وفي هذا بيان أنه لا عذر لأحد في السفاح، ويُقال للشيء الذي يُنكح به: نِكاح، كما يُقال لما يُلتحف به: لِحاف ولما يُلبس

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١٧٨).

(٢) تفسير مقاتل(٣/ ١٩٧).

(٣) انظر: المحلى لابن حزم (٩/ ٥٥-٥٦)، والمغني (٧/ ٥٦).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج (٤/ ٤٠).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٩٥) (كتاب الرقاق / باب: الغنى غنى النفس / ح٦٤٤٦)، و أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٢٦) (كتاب الزكاة / باب: ليس الغنى عن كثرة العرض / ح١٠٥١) كلاهما عن أبي هريرة رضى الله عنه بأطول منه.

(٦) انظر تفسير مقاتل (٣/ ١٩٧).

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٩٥) من غير نسبه بنحوه.

لِباس[١].

وقوله ﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ معناه: الذين يطلبون الكتابة من عبيدكم وإمائكم[٢]، فكاتبوهم ﴿إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗا﴾ رشداً وصلاحاً وقدرة على الكسب ورغبة في الكتابة[٣] وهذا أمر استحباب[٤] في العبد الذي يقدر على الاكتساب ويرغب في الكتابة[٥]، وأما من لا يقدر على الكسب أو لا يرغب في الكتابة، فلا تكون في كتابته إلا قطع حق المولى عن نفسه من غير نفع يرجع إليه[٦] والكتاب والكتابة

----

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ٢٤٣) ونسبه لجماعة من المفسرين، ثم قال: " وحملهم على هذا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ فظنوا أن المأمور بالاستعفاف إنما هو من عدم المال الذي يتزوج به. وفي هذا القول تخصيص المأمورين بالاستعفاف، وذلك ضعيف، بل الأمر بالاستعفاف متوجه لكل من تعذر عليه النكاح بأي وجه تعذر ".

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٨٣) عن سعيد بن جبير بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٧٨)، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٩٩)، ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٢٩٣) كلهم عن الحسن بنحوه.

(٤) اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

١_ أنه على الحتم والإيجاب وهو قول عمرو بن دينار وعطاء، وإليه ذهب داود الظاهري ومحمد ابن جرير.

٢_ أنه على الندب والإستحباب، وهو قول الشعبي والحسن البصري، وإليه ذهب الشافعي ومالك وأبو حنيفة وسائر الفقهاء وهو ظاهر مذهب الحنابلة. ولعله الأقرب.

انظر: تفسير الثعلبي(٧/ ٩٥)، تفسير الماوردي(٤/ ٩٨)، الاستذكار لابن عبدالبر(٧/ ٣٨١)، تفسير الرازي(٢٣/ ٣٧٣)، تفسير القرطبي(١٢/ ٢٤٥).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٧٨)، وذكره البغوي في تفسيره (٦/ ٤٢)، والقرطبي في تفسيره (١٢/ ٢٤٥) كلهم عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما ومالك بن أنس بمثله.

(٦) لأن الذي لا يقدر على الكسب يكون عالة على الناس فتحصل الأذية لهم. انظر: الأم للشافعي(٨/ ٣٧)، تفسير الطبري(١٩/ ١٧٠)، أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١٨٠)، شرح السنة / المؤلف: الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٦هـ)-تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - (٩/ ٣٧٣).

والمكاتبه بمعنى واحد، كالقتال والمقاتله، ومعنى المكاتبة: أن يكاتب مملوكه على مال يسلمه المملوك إليه نجوماً[١]؛ فيُعتق بأدائه[٢] وولاؤه لمولاه الذي كاتبه وإن كانت الكتابة على مال حال، جاز عند أصحابنا[٣] رحمهم الله وإن عجز المكاتب عن المال كله أو بعضه بعد حلول ذلك عليه رده المولى إلى الرق[٤].

قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ اختلفوا في معناه رُوى عن علي رضي الله عنه أنه قال: يحط عن المكاتب ربع مال الكتابة[٥] وعن ابن عباس { أنه قال: يحط عنه شيء[٦] وعن عبدالله بن زيد الأنصاري أنه قال: هذا خطاب للأمة أن يسلموا إلى المكاتبين ما فرض الله لهم[٧] في قوله ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾[٨] في آية ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾[٩] وهذا

---

(١) والنجوم ها هنا الأوقات المختلفة؛ لأن العرب كانت لا تعرف الحساب، وإنما تعرف الأوقات بطلوع النجوم، فسميت الأوقات نجوماً. انظر: الصحاح (٥/ ٢٠٣٩) مادة " نجم "، تاج العروس (٣٣/ ٤٧٨).

(٢) وقيل: سميت مكاتبه؛ لأن السيد يكتب بينه وبين عبده كتاباً فيما اتفقا عليه. انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٥٢٩)، تهذيب اللغة(١٠/ ٨٧)، تاج العروس(٤/ ١٠٦).

(٣) انظر: تفسير الثعلبي(٧/ ٩٧)، شرح السنة للبغوي (٩/ ٣٧٤)، أحكام القرآن لابن العربي(٣/ ٣٩٨)، بدائع الصنائع للكاساني(٤/ ١٤٠)، المغني لابن قدامة(١٠/ ٣٧٢-٣٧٣).

(٤) انظر: المغني لابن قدامة(١٠/ ٣٦٤-٣٦٥).

(٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤٣٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٣٨٧)، والطبري في تفسيره (١٩/ ١٧٠) كلهم عن علي رضي الله عنه.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٧١)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٨٧) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه. وانظر: النكت والعيون للماوردي (٤/ ١٠٠).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٧٣) عن عبدالله بن زيد بمثله، وأخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٨٨) عن أبيه زيد بمثله. وانظر: النكت والعيون للماوردي(٤/ ١٠٠).

(٨) جزء من آية (٦٠) سورة التوبة.

(٩) جزء من آية (٦٠) سورة التوبة.

أقرب إلى ظاهر الآية؛ لأن في الآية إضافة المال إلى الله تعالى والإيتاء في اللغة: هو الإعطاء دون الحط[(١)]، وعن الحسن أنه قال: هذا خطاب للموالي[(٢)] أن يتصدقوا على المكاتب بصدقة التطوع قبل أداء مال الكتابة وبالواجب بعد أداء مال الكتابة[(٣)(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ قال عبدالله بن عباس { : نزلت هذه الآية في عبدالله بن أُبي بن سلول كانت له جواري حسان مسيكة[(٥)] وأميمة[(٦)] ومعاذة[(٧)]، كان يكرههن على الزنى؛ ليتكسبن له بالفجور وكذلك كان أهل الجاهلية يصنعون، فأتت الجواري إلى رسول الله ﷺ يذكرون له ذلك ويشكون إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية[(٨)].

----

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٠).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٩٨) عن الحسن بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٧٣) عن الحسن بنحوه. وانظر: النكت والعيون (٤/ ١٠٠)، تفسير البغوي (٦/ ٤٣).

(٤) انظر أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١٨١).

(٥) هي الصحابية الجليلة مسيكة جارية عبدالله بن أبي ابن سلول. انظر: الإستيعاب(٤/ ١٩١٣)، أسد الغابة (٧/ ٢٥٦)، الإصابة (٨/ ٣١٦).

(٦) هي الصحابية الجليلة أميمة جارية عبدالله بن أبي ابن سلول. انظر: أسد الغابة (٧/ ٢٧)، الإصابة(٨/ ٣٦).

(٧) هي الصحابية الجليلة معاذة بنت عبدالله بن جبير بن الضرير بن أمية بن خدارة ابن الحارث بن الخزرج. كانت معاذة مولاة عبدالله بن أبي بن سلول امرأة مسلمة فاضلة، ثم إن معاذة عتقت فكانت فيمن بايع النبي ﷺ بيعة النساء فتزوجها بعد ذلك سهل بن قرظة، ثم هلك عنها أو فارقها فتزوجها الحمير بن عدي القاري. انظر: الإستيعاب(٤/ ١٩١٣)، أسد الغابة(٧/ ٢٥٧)، الإصابة (٨/ ٣١٦).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٨٩) عن ابن عباس رضى الله عنهما من طريق علي بن أبي طلحة بنحوه، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢٢٧) برقم (١١٧٤٧)، وذكر الثعلبي في تفسيره (٧/ ٩٩) أنهما جاريتان معاذة ومسيكة وبين ألفاظهم بعض الاختلاف وبعضهم يذكر أن اسم إحدى الجاريتين أميمة، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص٣٣٦) وعزاه للمفسرين.

⇦=

وقوله ﴿إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾ كلام خرج على وفق الحال لا على سبيل الشرط، وهو يتضمن تفحش الحال على معنى: أن الإثم في إكراه مثلهن على الزنى أعظم ونظير هذا قوله: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ﴾[1] ويجوز أن ينوى التمام عند قوله ﴿عَلَى ٱلۡبِغَآءِ﴾ ثم يبتدئ بالشرط/ على طريق إضمار الجواب له من غير تعليق بما قبله، أي: إن أردن تحصناً، فقد أصبن[2] ومثله ما رُوى أن النبي ﷺ قال لعائشة < : « أُدْنِ مني فقالت: إنى حائض فقال ﷺ وإن»[3] ولم يزد على ذلك، وأراد بذلك وإن كنت حائضاً، فلا بأس بذلك. [ل٤٢٦/ب]

وقوله ﴿يُكۡرِههُّنَّ﴾ معناه: من يجبرهن على الزنى ولم تقدر المكرهة على الدفع عن نفسها بوجه من الوجوه، لم تخرج بفعل المكره وإن كانت لو صبرت على الامتناع حتى قتلت، كان أعظم لأجرها وإن كانت لو قتلت المكرهة دفعاً عن نفسها، كان لها

= وله شاهد من حديث أبي سفيان عن جابر أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٣٢٠) (كتاب التفسير / باب: قوله تعالى ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ﴾ / ح٣٠٢٩)، والطبري في تفسيره (١٩/ ١٧٤-١٧٥).

(١) آية (٣١) سورة الإسراء.

(٢) ولعل الأقرب أن يُقال إن قوله ﴿إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾ أنه وصف مطابق للواقع أي أن الحال أنهن راغبات في التحصن وأنتم تكرهونهن على البغاء، فذكر الوصف إنما هو لموافقته الواقع فلا مفهوم مخالفة له، والعلماء متفقون أن القيد إذا كان لوصف الواقع فلا مفهوم له. انظر: أضواء البيان للشنقيطي (١/ ٢٦٤).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١/ ٧٠) (كتاب الطهارة / باب: في الرجل يصيب من الحائض ما دون الجماع / ح٢٧٠)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٦٨) (كتاب الحيض / باب: الرجل يصيب من الحائض ما دون الجماع / ح١٥٠٥) كلاهما عن عبدالله بن مسلمة ثنا عبدالله يعني ابن عمر بن غانم، عن عبدالرحمن يعني ابن زياد، عن عمارة بن غراب، أن عمة له حدثته أنها سألت عائشة رضى الله عنها فذكره بأطول منه.

قال الشيخ الألباني في ضعيف سنن أبي داود (١/ ١١٤) " إسناده ضعيف؛ عبدالرحمن بن زياد- وهو ابن أنعم الإفريقي- ضعيف، وشيخه عمارة بن غراب أشد ضعفاً، وعمة عمارة مجهولة ".

ذلك[1] ويجوز أن تكون التوبة مضمرة في هذه الآية على معنى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمٞ﴾ بمن مات على التوبة والإكراه على الزنى ومعنى الإكراه: على كلمة الكفر يُرّخص للمكره على الكفر إجراء كلمة الكفر على اللسان، بعد أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان ولو قتل المكره دفعاً، كان له أن يدرأ ولو صبر إذ لم يقدر على دفعه حتى قتل، كان أعظم لأجره والحق في كل واحد من هذين البابين[2] [لله][3] تعالى على الخلوص.

قوله ﷻ ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ﴾ أي: أنزلنا إليكم القرآن آيات ظاهرات واضحات؛ لتعملوا بها وأنزل فيها مثلاً من الذين خلوا من قبلكم، أي: خبراً من أخبار الذي مضوا من قبلكم؛ لتعتبروا[4] ﴿وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ عن الشرك والفواحش[5] وحقيقة الموعظة الدعاء إلى الحُسْن والزجر عن القبح[6] وفائدة تخصيص المتقين بيان أن منفعة الموعظة راجعة إليهم.

وقوله ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ رُوى عن عبدالله بن عباس { أنه قال في معناه: الله هادى أهل السماوات وأهل الأرض بالآيات المبينات يعني: أنها يُهتدي بها، كما يُهتدي بالنور، فكنى بالنور عن الهُدى[7] وإنما قال ذلك؛ لأن العقول دالة على أن

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٧٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٨٩) كلاهما عن مجاهد بنحوه.

(٢) انظر أحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٨٨).

(٣) بياض في نسخة الأصل، وهو في نسخة (ب) كما أثبته.

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٩٩) ولم ينسبه بنحوه.

(٥) ذكره البغوي في تفسيره (٦/ ٤٥) بنحوه ولم ينسبه.

(٦) في نسخة (ب): (القبيح).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٧٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٩٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٢٠١) جميعهم من طريق علي بن أبي طلحة عنه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٠-٣٩١) " وقول من قال من السلف: هادي =

الله سبحانه لا يجوز أن يكون نوراً، بل هو خالق الأنوار وفي قوله ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ بإضافة النور إليه دليل أن المراد بالنور: الهدى، ولولا أن النور غيره، لما شبهه بالمصباح في المشكاة؛ لأنه تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾(1) وهذا الوصف يمنع من أن يكون بصفة النور الذى يكون في مكان واحد دون مكان ولو كان في الحقيقة نوراً، كقول المشبهه، لما جاز أن يُوجد الأرض مظلمة في حال من الأحوال؛ لأنه تعالى نورها وهو موجود على كل حال(2) وقال الحسن ~ في معنى الآية: الله نور السماوات والأرض

= أهل السماوات والأرض لا يمنع أن يكون في نفسه نورا: فإن من عادة السلف في تفسيرهم أن يذكروا بعض صفات المفسر من الأسماء أو بعض أنواعه؛ ولا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات للمسمى بل قد يكونان متلازمين ولا دخول لبقية الأنواع فيه...... إلى أن قال فقول من قال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ هادي أهل السماوات والأرض كلام صحيح فإن من معاني كونه نور السماوات والأرض أن يكون هاديا لهم؛ أما إنهم نفوا ما سوى ذلك فهذا غير معلوم وأما إنهم أرادوا ذلك فقد ثبت عن ابن مسعود أنه قال: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور السماوات من نور وجهه ".

وقال ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة / المؤلف: محمد البعلي (المتوفى: ٧٧٤هـ)-المحقق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث- (ص٤٢٦) " أما حكايته عن ابن عباس أنه بمعنى هاد فعمدته على التفسير الذي رواه الناس عن عبدالله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس، وفي ثبوت ألفاظه عن ابن عباس نظر ؛ لأن الوالبي لم يسمعها من ابن عباس فهو منقطع، وأحسن أحواله أن يكون منقولا عن ابن عباس بالمعنى، ولو صح ذلك عن ابن عباس فليس مقصوده به نفي حقيقة النور عن الله، وأنه ليس بنور ولا نور له، كيف وابن عباس هو الذي سمع من النبي ﷺ قوله في صلاة الليل: " «اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن».... ".

(١) آية (١١) سورة الشورى.

(٢) ومذهب أهل السنة والجماعة إثبات " النور " صفة ذاتية لله ﷻ مع تنزيه الله عن مشابهة خلقه وهي ثابتة بالكتاب والسنة، وابن القيم وغيره من أهل العلم عدوا "النور " اسماً من أسمائه وصفة من صفاته ﷻ.
قال ابن القيم في النونية:

والنور من أسمائه أيضاً ومن … أوصافه سبحان ذي البرهان

انظر: مجموع الفتاوى(٦/ ٣٧٤)، ونونية ابن القيم / المؤلف: ابن القيم الجوزية -الناشر: مكتبة ابن تيمية -(ص٢١٢).

بالشمس والقمر والنجوم[(١)(٢)] وهذا كما يُقال: فلان رحمة وفلان سخطة، أي: منه تكون الرحمة ومنه تكون السخطة، ويُقال في معنى الآية: الله مدبر أمور السماوات والأرض بالحِكم البالغة والحجج النيرة[(٣)]، كما يُقال للصدر العَالِم الذي يدور أمر البلد عليه: فلان نور البلد، أي: تجرى أمور البلد على يديه ولا يفعل ما يفعل إلا بالحكمة[(٤)].

وفي قوله ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ تشبيه نور الهدى في قلب المؤمن ببيان النور الذي يُدرك بالأبصار[(٥)] والمشكاة في لغة الحبشة: كوةً غير نافذة[(٦)] والمصباح: هو السراج في القنديل من الزجاجة الصافية التي تتضاعف فيها نور السراج حتى يظهر فيها ما يقابله[(٧)].

وقوله ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ تشبيه القنديل الذي يكون فيه السراج

----

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ١٠٢)، والكرماني في غرائب التفسير(٢/ ٧٩٧)، والبغوي في تفسيره (٦/ ٤٥) كلهم عن الحسن بمثله. وانظر: تفسير الرازي(٢٣/ ٢٢٤)، وتفسير القرطبي(١٢/ ٢٥٧).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٣-٣٩٤) " وأما قولهم عند قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ليس معناه إلا التنوير بالشمس والقمر والنجوم فهذا باطل قطعا. وقد قال ﷺ {أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن} ..... إلى أن قال وأما الذي أقوله الآن وأكتبه أن جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها ".

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٧٧)، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ١٠٢)، والبغوي في تفسيره (٦/ ٤٥) جميعهم عن مجاهد بمثله.

(٤) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٤٣)، انظر تفسير القرطبي(١٢/ ٢٥٦).

(٥) ذكره البغوي في تفسيره (٦/ ٤٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه.
وانظر: النكت والعيون(٤/ ١٠٢)، زاد المسير(٣/ ٢٩٥).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٨٠-١٨١) عن ابن عباس رضى الله عنهما من طريق العوفي بمثله، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٥٢)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٦١)، ونسبه القرطبي في تفسيره (١٢/ ٢٥٧) إلى جمهور المفسرين.

(٧) معاني القرآن للزجاج(٤/ ٤٣)، انظر تهذيب اللغة (٤/ ١٥٤) مادة " صبح ".

بالكوكب الذي يكون كالدرة البيضاء[(١)] يُقرأ قوله ﴿دُرِّيٌّ﴾ بضم الدال وكسر الراء[(٢)] على النسبة إلى الدر في صفائه وحسنه[(٣)] ويُقرأ بكسر الدال مع الهمزة[(٤)] وبغير الهمزة، فإذا لم يهمز، فهو ذلك، فإذا همزت وكسرت الدال، فهو من النجوم الدراري من درا يدرا إذا دفع، فكأنه من تلألئه يدرا أبصار الناظرين إليه، ويُقال: كأنه رجم به الشيطان، فدرأه، أي: دفعه بسرعة الدفع في الانقضاض وذلك أضوأ ما يكون[(٥)] وأما من ضم قوله دُري، فهو غير معروف عند أهل العربية وليس في الكلام فعيل[(٦)] قوله

----

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١٠٢) بقوله وقال بعضهم ولم ينسبه.

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم ﴿دُرِّيٌّ﴾بضم الدال وتشديد الراء المكسورة وتشديد الياء من غير همز، وقرأ حمزة وعاصم فى رواية أبى بكر ﴿درىء﴾ بضم الدال مهموز.
انظر: السبعة (ص٤٥٥-٤٥٦)، التيسير (ص١٦٢).

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج(٤/ ٤٤)، معاني القراءات (٢/ ٢٠٨)، حجة القراءات لابن زنجله (ص٤٩٩).

(٤) قرأ أبو عمرو والكسائى ﴿دِرىء﴾ بكسر الدال مهموز. السبعة لا بن مجاهد (ص٤٥٥-٤٥٦)، التيسير (ص١٦٢)، البحر المحيط(٨/ ٤٥).

(٥) معاني القرآن للفراء ٢(/ ٢٥٢)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٤٤).

(٦) وهذا الاعتراض فيه نظر وذلك أن هذه القراءة سبعية والقراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها فإذا ثبتت قرآنيتها فلا يحتكم إلى اللغة بل اللغة تحتكم إلى القرآن.
حكى سيبويه عن أبي الخطاب أن فعيل قد جاءت في اللغة العربية على هذا الوزن ثم قال بعد ذلك " وهو في الكلام قليل "، وذكر الثعلبي أن هذا هو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم، ثم قال أبو عبيد: وإنما اخترنا هذه القراءة لعلل ثلاث:
إحداها: ما جاء في التفسير أنه منسوب الى الدر لبياضه.
والثانية: للخبر عن النبي ﷺ " إن أهل الجنة ليتراءون أهل عليين كما ترون الكوكب الدُّرّي في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما ".
والثالثة: إجماع أهل الحرمين عليها.
انظر: الكتاب لسيبويه (٤/ ٢٦٨)، معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٥٢)، معاني القرآن للزجاج(٤/ ٤٤)، =⇦

﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ﴾ فيه ثلاث قراءات ﴿يوقـد﴾ بالياء[١] وهو راجع إلى المصباح[٢] و﴿توقد﴾ بضم التاء[٣] وهو راجع إلى المشكاة و﴿توقـد﴾ بفتح التاء وضم الدال[٤] بمعنى: تتوقد بمعنى المستقبل[٥] و﴿توقد﴾ بفتح التاء والواو والدال مشدداً بمعنى: الماضي[٦] ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ أي: من دهن شجرة مباركة زيتونة وهي شجرة الزيتون بورك لأهلها فيها وليس في الشجر شيء يورق غصنه من أوله إلى آخره مثل الزيتون والرمان[٧].

وقوله ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي: ليست بشرقية تشرق عليها الشمس فقط من / [ل٤٢٧/أ] دون أن تغرب عليها ولا غربية بغروبها عليها فقط، بل هي شرقية غربية يأخذها حقها من الأمرين جميعاً[٨]، نحو أن تكون على تل من الأرض تقع عليها الشمس في جميع النهار، وإذا كانت الشجرة على هذه الصفة، كان أنضر لها وأجود لزيتها وأتم لنباتها

= تفسير الثعلبي(٧/ ١٠٣)، البحر المحيط(٨/ ٤٥).

(١) قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ﴿يُوقَدُ﴾ بالياء مضمومة وضم الدال. انظر: السبعة (ص٤٥٦)، التيسير (ص١٦٢).

(٢) انظر: معاني القراءات(٢/ ٢٠٩)، حجة القراءات لابن زنجلة (ص٥٠٠).

(٣) قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر "تُوقدُ" بضم التاء والدال. انظر: السبعة (ص٤٥٦)، التيسير (ص١٦٢).

(٤) وهي قراءة شاذة قرأ بها السملي والحسن وابن محيصن وسلام وقتادة. انظر: المحتسب(٢/ ١١١)، البحر المحيط (٨/ ٤٥)، الدر المصون(٨/ ٤٠٧)، إتحاف فضلاء البشر (ص٤١١).

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٥٢)، معاني القراءات(٢/ ٢٠٩)، المحتسب(٢/ ١١٠).

(٦) هي قراءة ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب ووافقهم اليزيدي. انظر: معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٥٢)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٤٤)، السبعة (ص٤٥٦)، معاني القراءات (٢/ ٢٠٩)، حجة القراءات لا بن زنجله (ص٥٠٠)، التيسير (ص١٦٢)، إتحاف فضلاء البشر (ص٤١١)

(٧) انظر: معاني القرآن للزجاج(٤/ ٤٥)، تفسير القرطبي(١٢/ ٢٥٨)، البحر المحيط (٨/ ٤٦).

(٨) انظر معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٥٣).

وانضج لثمرها[١]، وهذا كما يُقال: فلان لا مسافر ولا مقيم، إذا كان يسافر ويقيم جميعاً[٢] وقال الحسن ~ أريد بهذه الشجرة: شجرة في الجنة؛ لأن أشجار الدنيا لا تخلو إما أن تكون شرقية أو غربية[٣].

وقوله ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ معناه: يكاد زيت الشجرة يشرق ويتلألأ من وراء القشر من صفوته وإن لم تصبه نار، فكيف إذا أستصبح به.

وقوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ يريد به: نور السراج ونور الزجاج ونور الكوكب ونور الدهن، فكما أن الزيت والسراج والزجاج والكوكب نور على نور في مشكاة لا يتفرق شعاع السراج فيها، فكذلك الإيمان في قلب المؤمن نور على نور[٤]؛ فإن المعرفة في قلبه نور وصدره نور وسمعه نور وبصره نور وكلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور، إذا أُعطي، شكر وإذا أُبتلى، صبر وإذا قال، صدق وإذا حكم، عدَل، فهو يتقلب في الأنوار ومصيره إلى نور يوم القيامة[٥]، كما قال الله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾[٦] ويُقال: أراد بالمشكاة: قصبة القنديل: وهي العمود الذي يكون في وسطه

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٨٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٠٠) كلاهما عن عكرمة بمثله، وأخرجاه بألفاظ مختلفة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم. واختار هذا القول الطبري والزجاج، ونسبه الزجاج والبغوي إلى أكثر المفسرين. انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/ ٤٥)، تفسير البغوي(٦/ ٤٧)، تفسير القرطبي (١٢/ ٢٥٨).

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٥٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٨٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٠١) كلاهما عن الحسن بمثله. وانظر: معاني القرآن للزجاج ٤(/ ٤٥)، وتفسير البغوي(٦/ ٤٨).
قال الثعلبي في تفسيره (٧/ ١٠٤): وقد أفصح القرآن بأنها من شجر الدنيا. وضعَّف هذا القول الرازي في تفسيره (٢٣/ ٣٩٠).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٧٩) عن أبي بن كعب والضحاك بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٨١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٩٥-٢٦٠٣) مفرقاً عن أبي بن كعب ﷺ بمثله.

(٦) جزء من آية (١٢) سورة الحديد.

وهى التي توضع فيها الفتيلة المروَّاة بالدهن يُستصبح بها وتلك القصبة نظير الكوة فيها المصباح[(١)]، وقيل: في تشبيه القلب بالزجاجة أن ما في الزجاجة يُرى من خارجها، فكذلك ما في القلوب يتبين في الظاهر ويتبين في الأعمال، وكما أن الزجاجة أسرع إلى الكسر بأدنى آفة تصيبها، فكذلك القلب يفسد بأدنى آفة تَحِله[(٢)].

وقوله تعالى ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ دليل أن المراد بالنور الأدلة؛ لأن النور الذي يشاهد لا يحتاج فيه إلى الهداية والمعنى: يوفق الله للإسلام ويدل بأدلته من يشاء؛ ليعرفوا بذلك أمر دينهم.

وقوله تعالى ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ أي: يضرب الله الأشباه للناس في القرآن، كما شبه المعرفة في قلب المؤمن وصدره بالمصباح في الزجاجة في المشكاه ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من مصالح العباد ﴿عَلِيمٌ﴾ وعن الضحاك في قوله ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ تشبيه عبدالمطلب جدّ نبينا ﷺ بالكوة فيها القنديل من الزجاج والقنديل: هو عبدالله أبو النبي ﷺ وشبه النبي ﷺ بالمصباح يُضيء من أصلابهما، فكأنه كوكب دري، يوقد من شجرة مباركة يعنى ورث النبوة من إبراهيم عليه السلام وهو الشجرة المباركة وقوله ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ أي: حنيفية ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا نصرانية ولا يهودية ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ أي: كاد إبراهيم عليه السلام يتكلم بالوحي قبل أن يُوحى إليه، حيث رأى الكوكب والشمس والقمر[(٣)] و[قد][(٤)] استحسن هذا التأويل من استدل عليه بأن الله تعالى

---

(١) وهو اختيار الطبري كما في تفسيره (١٩/ ١٨٤).

(٢) انظر تفسير الثعلبي (٧/ ١٠٥).

(٣) تفسير مقاتل(٣/ ٢٠٠)، وذكره البغوي في تفسيره (٦/ ٤٨) عن الضحاك بنحوه، تفسير القرطبي(١٢/ ٢٦٣).

قال ابن العربي في أحكام القرآن (٣/ ٤٠٥) بعد أن ساق هذا القول " وهذا كله عدول عن الظاهر، وليس يمتنع في التمثيل أن يتوسع المرء فيه، ولكن على الطريقة التي شرعناها في قانون التأويل لا على الاسترسال المطلق الذي يخرج الأمر عن بابه، ويحمل على اللفظ ما لا يطيقه ".

(٤) في النسختين (من) ولعل الأليق بالسياق هو ما أثبته.

سمى النبي ﷺ سراجاً منيراً[١].

قوله ﷻ ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ راجع إلى المشكاة ويُقال: إلى المصباح ويُقال: إلى قوله يوقد[٢].

والبيوت هاهنا: هي المساجد[٣] أذن الله في رفع بنيانها[٤]، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾[٥] ويُستدل من هذه الآية، أنه لا يرفع شيء من الأبنية فوق الحاجة غير المساجد التي يصلي فيها المؤمنون ويستضئ بنور قناديلها العابدون.

وقال الحسن: معنى أن ترفع: تعظم وتصان عن الأنجاس واللغو من الأفعال، كأنه ذهب إلى أن هذا اللفظ أريد به الرفعة[٦]، وفي الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ أنه

---

(١) يريد قوله تعالى ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ الأحزاب: ٤٦

(٢) تفسير السمعاني(٣/ ٥٣٤).

(٣) وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن وأبو صالح وابن زيد وعكرمة والضحاك وغيرهم واختاره الطبري والقرطبي وعزاه ابن الجوزي والرازي لجمهور المفسرين.

انظر: تفسير الطبري(١٩/ ١٨٩)، تفسير ابن أبي حاتم(٨/ ٢٦٠٤)، زاد المسير(٣/ ٢٩٧)، تفسير الرازي(٢٤/ ٣٩٦)، تفسير القرطبي (١٢/ ٢٦٥-٢٦٦).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٠٥) كلاهما عن مجاهد بمثله.

وانظر: معاني القرآن للزجاج(٤/ ٤٥)، تفسير البغوي(٦/ ٥٠)، تفسير القرطبي(١٢/ ٢٦٦). وعلى هذا القول يكون الرفع حسي وهو الذي اختاره الطبري في تفسيره (١٩/ ١٩٠) قال " وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، القول الذي قاله مجاهد، وهو أن معناه: أذن الله أن ترفع بناء، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ وذلك أن ذلك هو الأغلب من معنى الرفع في البيوت والأبنية ".

(٥) جزء من آية (١٢٧) سورة البقرة.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٩٠) عن الحسن بمثله.

وانظر: معاني القرآن للزجاج(٤/ ٤٥)، تفسير البغوي (٦/ ٥٠) وعلى هذا القول يكون الرفع معنوي.

وقد ذكر الرازي في تفسيره (٢٤/ ٣٩٦) عند قوله تعالى ﴿أَنْ تُرْفَعَ﴾ قولاً ثالثاً جمع فيه بين القولين السابقين وهو قوله " تبنى وتعظم " ولعل هذا هو الأقرب.

قال: « جنبوا مساجدكم صبيانكم وبيعكم وشراءكم وسل سيوفكم وإقامة حدودكم وجمروها في الجمع واجعلوا على أبوابها المطاهر »[١].

وقوله ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا﴾ أي: يصلى له فيها[٢] ﴿بِٱلۡغُدُوِّ﴾ صلاة الغداة ﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾ يعنى العشيات والأصيل ما بين العصر إلى الليل وجمعه: أُصل ثم آصال ثم أصايل جمع الجمع[٣] وهو أصل الليل، ينشأ عنه وتسمى الصلاة تسبيحاً لاختصاصها بالتسبيح[٤] ويجوز أن يكون المراد بالتسبيح في هذه[٥] الآية حقيقة التسبيح[٦].

----

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (١/ ٢٤٧) (كتاب المساجد والجماعات / باب: ما يكره في المساجد / ح٧٥٠) قال حدثنا أحمد بن يوسف السلمي قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا الحارث بن نبهان قال: حدثنا عتبة بن يقظان، عن أبي سعيد، عن مكحول، عن واثلة بن الأسقع، أن النبي ﷺ قال: «جنبوا مساجدكم صبيانكم، ومجانينكم، وشراءكم، وبيعكم، وخصوماتكم، ورفع أصواتكم، وإقامة حدودكم، وسل سيوفكم، واتخذوا على أبوابها المطاهر، وجمروها في الجمع»، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٥٧) برقم (١٣٦) من طريق الحارث بن نبهان به بنحوه.

وفيه الحارث بن نبهان الجرمي، قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب (ص١٤٨) " متروك " وفيه عتبة بن يقظان الراسبي، قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب (ص٣٨١) " ضعيف "، وفيه أبو سعيد مجهول فهو إسناد ضعيف جداً.

"واتخذوا على أبوابها المطاهر" يعني: المراحيض التي يستعان بها على الوضوء وقضاء الحاجة. "وجمروها في الجمع" يعني: بخروها في أيام الجمع لكثرة اجتماع الناس يومئذ. " وسل سيوفكم " أي لا يشهر فيه بسلاح ولا ينبض فيه بقوس، ولا ينثر فيه نبل، لما يخشى من إصابة بعض الناس به، لكثرة المصلين فيه.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٦/ ٥٠) عن أهل التفسير، تفسير ابن كثير (٦/ ٦٧).

(٣) انظر: العين(٧/ ١٥٦)، تهذيب اللغة (١٢/ ١٦٩)، مجمل اللغة (ص٩٧) مادة " أصل "، وانظر تفسير ابن كثير(٦/ ٦٦-٦٧).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٦/ ٥٠)، تفسير القرطبي (١٢/ ٢٧٦).

(٥) سقطت (هذه) من نسخة (ب).

(٦) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ١٠٧) بنحوه ولم ينسبه، واستظهره الرازي في تفسيره (٢٤/ ٣٩٧). ولا مانع من حمله على الأمرين جميعاً وذلك لأن الصلاة مشتملة على التسبيح.

وقوله ﷻ ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ أي: يسبح فيها رجال، لا تشغلهم تجارة ولا بيع عن طاعة الله[1] وعن إقامة الصلاة في تلك البيوت[2] وعن أعطاء / الزكاة، [ل/٤٢٧ب] ويخافون يوماً، أي: يفعلون ذلك خوفاً من يوم، ترجف فيه القلوب وتدور الحدق والأبصار حالاً بعد حال من الفزع والخوف؛ رجاء أن يجزيهم الله بأحسن ماعملوا في دار الدينا ويزيدهم من فضله بغير استحقاق[3] ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ بغير حصر ولا نهاية ويُقرأ يسبَح بفتح الباء على ما لم يسم فاعله، فيكون رفع رجال تفسير ما لم يسم فاعله[4]، كأنه لما قيل: يسبح له فيها، قيل: من يسبح؟ فقيل: يسبح رجال[5].

وقوله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ معناه: والذين جحدوا توحيد الله والقرآن مثل أعمالهم التي تكون من المؤمنين عبادة أحبطوها بكفرهم، كسراب بأرض مستوية ملساء، يظنه العطشان ماءاً، يرجو به النجاة، حتى إذا جاء ذلك السراب؛ ليشرب، فيحيى ويبقى، لم يجده ماءاً. رأى أرضاً لا ماء فيها[6]، فيئس وتحير، كذلك الكافر في عمله ييئس في الآخرة من عمله الذي كان يعمله ويعتقده بِراً، ينقطع عنه طمعه عند شدة حاجته إليه، ثم يجد ضد ذلك من العقاب[7]، كما قال جل ذكره

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١٠٩) بمثله ولم ينسبه.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٠١).

(٣) انظر تفسير مقاتل(٣/ ٢٠١)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١١٠) بمثله ولم ينسبه.

(٤) قرأ ابن عامر وعاصم فى رواية أبى بكر ﴿يسبح﴾ بفتح الباء، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائى وحفص عن عاصم ﴿يسبح﴾ بكسر الباء. انظر: السبعة (ص٤٥٦)، معاني القراءات للأزهري(٢/ ٢٠٩)، حجة القراءات لابن زنجله (ص٥٠١)، التيسير (ص١٦٢).

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٥٣)، ومعاني القرآن للزجاج(٤/ ٤٥)، ومعاني القراءات (٢/ ٢٠٩)، حجة القراءات لا بن زنجله (ص٥٠١).

(٦) معاني القرآن للزجاج(٤/ ٤٧).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٩٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦١١) من طريق العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه، وذكره الثعلبي في تفسيره (٢٤/ ٣٩٩) بنحوه ولم ينسبه.

﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي: وجد وجود من يستعد لحسابه، فوفاه جزاء عمله عنده[(١)].

وهذا كما يُقال: رأيت الله يقول: كذا، أو كما رُوى في الحديث عن عمرو بن العاص حين تيمم للجنابة في السفر وقال كانت الغداة باردة، فخشيت أني لو اغتسلت لِمت ووجدت الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[(٢)] فتيممت وصليت بالناس[(٣)] وهذا هو معنى قوله ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي: علم واستيقن بوجود جزاء الله له، فوفاه الله عنده جزاء عمله[(٤)] والحساب أن يُؤخذ مالك ويُعطى ما عليك والسراب ما يتراءى للعين وقت الضحى في الفلوات من سراب يشبه الماء الجاري وليس بماء،

----

(١) تفسير مقاتل(٣/ ٢٠٢).

(٢) جزء من آية (١٩٥) سورة البقرة.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١/ ٩٢) (كتاب الطهارة / باب: إذا خاف الجنب البرد أيتيمم/ ح٣٣٤)، وأحمد في مسنده (٢٩/ ٣٤٦) برقم (١٧٨١٢)، والدارقطني في سننه (١/ ٣٢٧) (كتاب الطهارة / باب: التيمم / ح٦٨١) كلهم من طريق يزيد بن أبي حبيب، عن عمران بن أبي أنس، عن عبدالرحمن بن جبير المصري، عن عمرو بن العاص قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا ". بهذا اللفظ ولم أجده باللفظ الذي ذكره المصنف فكأن المصنف رحمة الله تعالى ذكره بالمعنى، وقد ذكره البخاري في صحيحه (١/ ٧٧) (كتاب التيمم / باب: إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت أو خاف العطش تيمم) معلقاً بصيغة التمريض قال: " ويذكر أن عمرو بن العاص: " أجنب في ليلة باردة، فتيمم وتلا: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف ".

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٤٥٤) " وإسناده قوي لكنه علقه بصيغة التمريض لكونه اختصره وقد أوهم ظاهر سياقه أن عمرو بن العاص تلا الآية لأصحابه وهو جنب وليس كذلك وإنما تلاها بعد أن رجع إلى النبي ﷺ وكان النبي ﷺ قد أمره على غزوة ذات السلاسل ". وقد صححه الألباني رحمة الله تعالى كما في صحيح أبي داود (٢/ ١٥٤).

(٤) تفسير مقاتل(٣/ ٢٠٢).

لكن الذي يراه من بعيد يظنه ماءاً جارياً، وسُمى بهذا الاسم؛ لأنه يتسرب، أي: يجري كالماء[١] والقيعة: جمع القاع، نحو جار وجيرة وجيران[٢].

وقوله ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ أي: إذا حاسب، فحسابه سريع، كلمح البصر أو أقل منه وذلك أنه تعالى لا يتكلم بآلة، حتى يشغله سمع عن سمع وسُئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كيف يحاسبهم في حالةٍ واحدة؟ فقال: كما يرزقهم في حالةٍ واحدة[٣].

وقوله ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾ تخير في المثل والمعنى: أن مثل أعمالهم في الدنيا ومثل قلوبهم في حيرتهم في الدنيا، كمثل ظلمات في بحر عميق[٤] كثير الماء، يعلوه موج، من فوق ذلك الموج موج، من فوق الموج الأعلى سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض، أراد به: ظلمة البحر في موضع الخطر وظلمة الموج الأدنى والأعلى وظلمة السحاب وظلمة الليل[٥]، إذا أخرج يده في هذه الظلمات، لم يرها ولم يقارب أن يراها[٦]، فكذلك الكافر لا يبصر الحق والهدى من شدة ظلمة قلبه، فقلبه ظلمة ومآله

---

(١) معاني القرآن للنحاس (٤/ ٥٤١)، تهذيب اللغة (١٢/ ٢٨٨) مادة " سرب "، مقاييس اللغة (٣/ ١٥٥)، مفردات القرآن للراغب (ص٤٠٥).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٥٤)، معاني القرآن للزجاج(٤/ ٤٧)، تفسير الطبري(١٩/ ١٩٥).

(٣) ذكره أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) في كتابه التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، _ تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ _ (ص٥٦٣) قال: " ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسئل عن محاسبة الخلق فقال: كما يرزقهم في غداة واحدة كذلك يحاسبهم في ساعة واحدة "، وذكره السفاريني في كتابه لوامع الأنوار البهية (٢/ ٧٠) بصيغة التمريض.

(٤) تفسير مقاتل(٣/ ٢٠٢).

(٥) انظر: تفسير السمرقندي(٢/ ٥١٦)، تفسير الماوردي(٤/ ١١١)، تفسير البغوي(٦/ ٥٢).

(٦) هذا القول قال به أكثر المفسرين ورجحه النحاس والزمخشري وغيرهما. انظر: معاني القرآن للنحاس(٤/ ٥٤٢)، الكشاف (٣/ ٢٤٤)، الدر المصون(٨/ ٤١٦)، البحر المحيط لأبي حيان(١/ ٤١٦).

في القيامة إلى ظلمة[١] كما قال تعالى: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾[٢] ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ في الدنيا والآخرة فما له من نور.

قوله ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من العقلاء وغيرهم وكنى عن الجميع بكلمة مَن تغليباً للعقلاء على غيرهم[٣]، ويُقال أراد بالآية العقلاء وهذا عموم أريد به الخصوص في أهل الأرض وهم المؤمنون.

وقوله ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ معناه: ويسبح له الطير باسطات أجنحتهن في الهواء[٤] والصف في اللغة: هو البسط ويسمى القديد[٥]: صفيفاً؛ لأنه يبسط[٦].

وقوله ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ معناه: كل من هؤلاء قد علم الله صلاته وتسبيحه[٧].

ويجوز أن يكون المعنى: كل من هؤلاء قد علم صلاة نفسه وتسبيح نفسه[٨]

----

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٩٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦١٤) كلاهما من طريق العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما بمعناه، وانظر تفسير السمرقندي(٢/ ٥١٦)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١١١) بنحوه ولم ينسبه.

قال الشوكاني في تفسيره (٤/ ٤٧) " وهذا من غرائب التفسير وهو عن لغة العرب بمكان بعيد ".

(٢) جزء من آية (١٣) سورة الحديد.

(٣) انظر تفسير الرازي(٢٤/ ٤٠١).

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١١١) بمثله ولم ينسبه.

(٥) والقديد: هو اللحم المملوح المجفف في الشمس. انظر: العين (٧/ ٨٨)، مقاييس اللغة (٣/ ٢٧٥) مادة " صف "، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير(٤/ ٢٢).

(٦) انظر: العين(٧/ ٨٨)، وتهذيب اللغة(١٢/ ٨٣)، تفسير السمرقندي(٢/ ٥١٧).

(٧) وهذا القول اختاره الطبري والزجاج. انظر: تفسير الطبري(١٩/ ٢٠٠)، معاني القرآن للزجاج(٤/ ٤٩)، تفسير البغوي(٦/ ٥٣)، تفسير القرطبي(١٢/ ٢٨٧).

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٩/ ٢٠٠)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٤٩)، تفسير البغوي (٦/ ٥٣)، تفسير القرطبي (١٢/ ٢٨٧). واستظهره أبو حيان في تفسيره (٨/ ٥٥)، وكذلك استظهره الشنقيطي في تفسيره ⇦=

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ من الطاعة وغيرها ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ الملك القدير الواسع لمن يملك السياسة والتدبير والملك التام، لا يصح إلا لله ﷻ[1] وقوله ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا﴾ أي: يُنشيء ويسوق سحاباً قطعاً قطعاً والسحاب جمع واحدة: سحابه[2].

وقوله ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ﴾ أي: يضم بعض جميعه إلى بعض[3] وقد يُقال: بينه؛ لكثرته، كما يُقال: كنت أدور بين البلد[4] وقوله ﴿ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ / رُكَامٗا﴾ أي: متراكماً بعضه فوق بعض[5] ﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ[6] يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي: من وسطه وأثنائه والخلال جمع: [ل٤٢٨/أ]

= (٥/ ٥٥١-٥٥٢) بقوله: فاعلم أن الأظهر على مقتضى ما ذكرنا عن الأصوليين، أن يكون ضمير الفاعل المحذوف في قوله: ﴿كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥ﴾ راجعا إلى قوله: ﴿كُلّٞ﴾ أي: كل من المصلين قد علم صلاة نفسه، وكل من المسبحين قد علم تسبيح نفسه، وعلى هذا القول فقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ تأسيس لا تأكيد، أما على القول بأن الضمير راجع إلى الله، أي: قد علم الله صلاته يكون قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ كالتكرار مع ذلك، فيكون من قبيل التوكيد اللفظي.

ومن المعلوم أن المقرر في الأصول أن الحمل على التأسيس أرجح من الحمل على التوكيد ؛ والظاهر أن الطير تسبح وتصلي صلاة وتسبيحا يعلمهما الله، ونحن لا نعلمهما ؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ آية (٤٤) سورة الإسراء.

(١) مفردات القرآن للراغب (ص٧٧٤-٧٧٥) مادة " ملك "، بصائر ذوي التمييز (٤/ ٥٢٠)، التوقيف على مهمات التعاريف (ص٣١٤). وتأويله الملك بالمقدور الواسع موافق لطريقة الأشاعرة وقد تقدم أن طريقة أهل السنة والجماعة في الصفات هي إثباتها من غير تحريف و لا تعطيل ومن غير تكييف و لا تمثيل.

(٢) معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٥٦)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٦٢)، تفسير السمرقندي(٢/ ٥١٧).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٢٧٢)، لسان العرب (٩/ ١٠-١١) مادة " ألف ".

(٤) معاني القرآن للزجاج(٤/ ٤٩).

(٥) انظر العين (٥/ ٣٦٩) مادة " ركم "، وذكره الأزهري في تهذيب اللغة (١٠/ ١٣٦) مادة " ركم " عن الليث بمثله.

(٦) في هامش نسخة الأصل كُتِبَ بخط الناسخ (الودَق: المطر، وقيل: البرق).

الخَلَل مثل: الجبال والجبل[١].

وقوله تعالى ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ كان عمر ﷺ يقول: جبال السماء أكثر من جبال الأرض[٢] ويُقال في معناه: من أمثال جبالٍ من برد[٣]، كقول العرب: عند فلان جبال مال يريدون به: كثرة المال[٤] وحرف ﴿مِنَ﴾ في قوله ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لإبتداء الغاية[٥] و﴿مِن﴾ الثانية للتبعيض[٦] و﴿مِن﴾ الثالثة للتجنيس[٧]، كما يقول: عندي خاتم من حديد، أي: حديد[٨].

وقوله ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يصيب بالبرد[٩] من يشاء ويصرف ضرره عمن يشاء. يكاد ضوء البرق ولمعانه يذهب بالأبصار[١٠]؛ لأن من نظر إلى البرق، خيف عليه ذهاب البصر وفي الآية دليل على فساد قول من يقول: إن البرد يجمد في الهواء، فيصيب به من يشاء.

---

(١) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٦٢)، تفسير الطبري(١٩/ ٢٠١)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٤٩)، معاني القرآن للنحاس(٤/ ٥٤٤).

(٢) ذكره السمرقندي في تفسيره (٢/ ٥١٧) بقوله " قال مقاتل: روي عن عمر ﷺ" وذكره بمثله.

(٣) معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٥٧).

(٤) معاني القرآن للزجاج(٤/ ٤٩).

(٥) معاني القرآن للنحاس(٤/ ٥٤٤)، الكشاف (٣/ ٢٤٦)، الدر المصون (٨/ ٤٢٠).

(٦) انظر المصادر السابقة.

(٧) انظر المصادر السابقة.

(٨) وهذا على قول من قال من المفسرين أن معنى قوله ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ أن في السماء جبال برد يُنزل الله منها البرد. انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٥٦-٢٥٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ٤٩)، ومعاني القرآن للنحاس(٤/ ٥٤٤)، تفسير السمعاني(٣/ ٥٣٨)، الدر المصون(٨/ ٤٢٠-٤٢١).

(٩) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٢٠٢)، وتفسير ابن كثير(٦/ ٧٣).

(١٠) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٠٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦١٩)، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ١١٣) كلهم عن ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة بمثله.

قوله ﷻ ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أي: يقلبهما في الذهاب والمجيء والزيادة والنقص ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما ذكر لعظة لذوي العقول من الناس[1]. يُقال: فلان صاحب بصر، أي: صاحب عقل وليس لفلان بصر بهذا الأمر، أي: لا علم له به.

وفي بعض التفاسير أن الله تعالى خلق السحاب على هيئة الغربال، ثم يصب الماء على السحاب صباً، فينزل من السحاب قطرة قطرة؛ ليكون أقرب إلى النفع وأنفى للضرر قوله ﷻ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖ﴾ أي: من النطفة[2] من ماء الذكر والأنثى والخلق من الماء أعجب؛ لأنه ليس شيء إلا وهو أشد طوعاً من الماء؛ لأن الماء لا يمكن إمساكه بيد ولا أن يُبنى عليه أو يتخذ منه شيء والدابة اسم لكل حيوان من مميز أو غيره ولذلك قال: فمنهم من يمشي على بطنه، تغليباً للعقلاء ولو كان الاسم لمن لا يميز، لقيل: فمنها ما يمشى على بطنه[3] والذي يمشي على بطنه الحية والسمك[4] والمشي حركة انتقال من مرور وسير ودبيب، حتى يُقال: مشى الأمر على كذا ومشت القضية بكذا والذي يمشي على رجلين الإنسان وشبهه والذي يمشي على أربع البهائم والسباع. يخلق الله ما يشاء، كما يشاء[5] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ من تخليق الخلائق وغير ذلك قادر على خلق الماء أولاً، ثم جعل بعضه طيناً، فخلق منه أدم - عليه السلام - وجعل بعضه ناراً، فخلق منه الجن وجعل بعضه نوراً، فخلق منه الملائكة وأصل الجميع راجع إلى الماء[6].

---

(١) انظر تفسير مقاتل(٣/ ٢٠٤)، وذكره الثعلبي (٧/ ١١٢) بنحوه ولم ينسبه.

(٢) تفسير البغوي(٦/ ٥٥)، زاد المسير(٣/ ٣٠١)، تفسير القرطبي(١٢/ ٢٩١).

(٣) معاني القرآن للزجاج(٤/ ٥٠)، وانظر تفسير الطبري(١٩/ ٢٠٤).

(٤) تفسير الطبري(١٩/ ٢٠٣)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١١٣) بنحوه ولم ينسبه، النكت والعيون للماوردي(٤/ ١١٤)، تفسير القرطبي(١٢/ ٢٩٢).

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١١٣) بنحوه ولم ينسبه.

(٦) النكت والعيون للماوردي(٤/ ١١٤)، الكشاف(٣/ ٢٤٧)، تفسير البغوي(٦/ ٥٥). ويرده ما جاء في ⇐=

وقوله ﷻ ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ﴾ أي: في أحكام الدين والدنيا والله يهدى، أي: يرشد لمعرفته من يشاء إلى طريق قائم، يرضاه الله وهو: الإسلام، يدل المكلفين على ذلك ويقال: يهدى إلى الجنة وإلى الثواب من يشاء ويُقال: يهدى إلى هداه من شاء الهدى وقوله ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ﴾ رُوى في سبب نزول هذه الآية: أن علياً باع من عثمان { أرضاً بالمدينة، كان لا ينالها الماء، فجاء قوم عثمان، فندّموه على ما صنع وقالوا له: لا تذهب في خصومتك مع علي إلى النبي ﷺ؛ فإنه يحكم له فلم يقبل عثمان قولهم وتخاصما إلى النبي ﷺ، فقضى لعلي عليه وأبى قوم عثمان الرضا بقضائه [(١)].

وفي قوله ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بيان: أن المنافق لا يكون مؤمناً[(٢)].

وقوله ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: إلى حكم الله وحكم رسوله، إذا طائفة منهم معرضون عن الكتاب والسنة وإن يكن لهم الحق، أي: القضاء على غيرهم يأتوا إلى النبي ﷺ مذعنين والإذعان: الإقرار بالحق مع الانقياد له[(٣)] وإنما جاء قوله

= صحيح مسلم (٤/ ٢٢٩٤) (كتاب الزهد والرقائق / باب: في أحاديث متفرقة / ح٢٩٩٦) عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»

(١) تفسير أبي القاسم الكعبي البلخي (المتوفى: ٣١٩ للهجرة) دراسة وتحقيق الدكتور / خضر محمد نبها، طبعة: دار الكتب العلمية ضمن موسوعة تفاسير المعتزلة (ص٢٦٩)، التبيان في تفسير القرآن للطوسي (٧/ ٤٥٠)، مجمع البيان للفضل بن الحسن الطبرسي (٧/ ٢٦٢)، ولعل الأقرب ما ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص٣٢٧) " أن هذه الآية والتي بعدها نزلتا في "بشر" المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض، فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهما، وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول: إن محمدا يحيف علينا ".

وقد ذكره البغوي في تفسيره (٢/ ٢٤٢) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضى الله عنهما بأقل منه. وانظر: تفسير القرطبي (٥/ ٢٦٣)، والبحر المحيط لأبي حيان(٣/ ٦٨٨).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١١٣) بنحوه ولم ينسبه.

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٥٧)، انظر مجاز القرآن(٢/ ٦٨)، الصحاح (٥/ ٢١١٩)، مقاييس اللغة(٢/ ٣٥٥)، مفردات القرآن للراغب (ص٣٢٨) مادة " ذعن ".

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ على لفظ الاستفهام؛ لأن ذلك يكون أشد من الذم والتوبخ، كما جاء في المبالغة في المدح[(١)]:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون[(٢)] راح[(٣)]

وفي قوله ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إلى أخر الآية مدحة عثمان ﷺ إذ قال لعلي: بل أنا أجي معك إلى رسول الله ﷺ فما قضى بيننا رضيت به.

والفوز أخذ الحظ الجزيل من الخير وتسمى: المهلكة مفازة على التفاؤل، كأنه قيل: منجاة، فلما نزلت هذه الآيات، أقبل عثمان ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله ﷺ، لئن / شئت لأخرجن من أرضي كلها ولأدفعنها إليه، فأنزل الله تعالى قوله [ل٤٢٨/ب] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾ أي: بالغوا في القسم بالله لئن أمرتهم ليخرجن من مالهم كله قل: لا تقسموا.

قوله ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ خبر لمبتدأ محذوف والمعنى: هذا القول منكم بغير القسم طاعة حسنة[(٤)] ومن ذهب إلى أن هذه الآيات كلها نزلت في المنافقين[(٥)] قال: إنهم كانوا يحلفون: لئن أمرهم النبي ﷺ بالخروج إلى الجهاد ليخرجن ولم يكن في فرضهم الخروج، فقيل لهم: لا تقسموا طاعة معروفة أمثل من قسمكم بما لا تصدقون[(٦)]

---

(١) ذكر هذا القول ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٣٠٢)، والقرطبي في تفسيره (١٢/ ٢٩٤)، وأبو حيان في تفسيره (٨/ ٦٢) من غير نسبه.

(٢) في هامش نسخة الأصل كُتِبَ بخط الناسخ (أي راحة الكف).

(٣) هذا البيت لجرير شاعر من بني كليب بن يربوع من قبيلة بني تميم وهي قبيله في نجد، وهو من قصيدة يمدح بها عبدالملك بن مروان.

وهو في ديوانه (ص٧٧)، ومجاز القرآن(١/ ٣٦)، ومغني اللبيب لابن هشام (ص٢٥).

(٤) تفسير مقاتل(٣/ ٢٠٦).

(٥) تقدم تخريجه عند ذكر المصنف لسبب نزول قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/ ٥١)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٥٤٩)، تفسير السمعاني (٣/ ٥٤٣)، تفسير البغوي(٦/ ٥٧).

ويجوز أن يكون معنى طاعة معروفة: هذه طاعة معروفة منكم بالقول دون الإعتقاد، فإنكم تكذبون[(١)] وأكد من أيد هذا القول بقوله في آخر هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٥٣﴾ فإن هذا في الظاهر يجري مجرى الوعيد وقوله ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ إلى آخر الآية ظاهر المراد ومعنى: فإن تولوا تتولوا حذف إحدى التائين[(٢)] وقوله ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ رُوى عن أبي العالية أنه قال: نزلت هذه الآية في أصحاب النبي ﷺ أقاموا بمكة مدة قبل الهجرة لم يمكنهم إظهار الإسلام ولا أمكنهم القتال ولا أُذن لهم فيه[(٣)]، وكذلك بعدما هاجروا إلى المدينة، كانوا لا يظهرون الإسلام مدة، حتى إن الرجل منهم كان لا يمشي إلا مع السلاح، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هكذا حالتنا أبداً، فأنزل الله تعالى هذه الآية[(٤)]

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٠٦)، وذكره البغوي في تفسيره (٦/ ٥٧)، والقرطبي في تفسيره (١٢/ ٢٩٦) كلهم عن مجاهد بمثله.

(٢) قال النحاس في إعراب القرآن (٣/ ١٠٠) " هي في موضع جزم بالشرط، والأصل تتولّوا فحذفت إحدى التاءين لدلالة الأخرى، وحذفت النون للجزم، والجواب في الفاء وما بعدها ". وانظر تفسير الطبري(١٩/ ٢٠٧).

(٣) في هامش نسخة الأصل كُتِبَ بخط الناسخ (يعني قبل هجرة النبي ﷺ).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٠٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٢٩) كلاهما من طريق الربيع عن أبي العالية مرسلاً.

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٤) برقم (٣٥١٢)، والضياء المقدسي في المختارة (٣/ ٣٥٣) برقم (١١٤٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٢٨) كلهم من طريق الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب رضي الله عنه موصولاً بلفظ " لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة كانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه، فقالوا: " ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله؟ فنزلت: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥] إلى ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ [النور: ٥٥] يعني بالنعمة ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨٢] "، قال الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٤) «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وحسن ⇐=

والمعنى: ليبوئنهم أرض المشركين من العرب والعجم كما استخلف بني إسرائيل بأرض مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة، بأن أورثهم أرضهم وديارهم وجعلهم سكاناً وملوكاً[(١)].

وقوله تعالى ﴿يَعۡبُدُونَنِي﴾ يجوز أن يكون خبراً مستأنفاً، بأنهم يعبدون الله ولا يشركون به[(٢)] ويجوز أن يكون في موضع نصب على الحال، أي: لأفعلن ذلك في حال عباداتهم[(٣)] وفي الآية دلالة صحة نبوة النبي ﷺ وإمامة الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم[(٤)]؛ لأن الله تعالى قد استخلفهم في الأرض ومكن لهم، كما جاء الوعد، ففعلوا كما أخبر الله ﷻ عنهم قالوا: وأما معاوية فلم يكن من جملة المؤمنين في ذلك الوقت[(٥)] وقوله ﴿وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ وعيد لمن جحد الإيمان بعد قيام الحجة عليه والفاسق هاهنا: هو الخارج إلى أقبح وجوه الكفر[(٦)] قوله ﷻ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ إلى أخر الآية

= إسناده الضياء المقدسي في المختارة (٣/ ٣٥٣).

(١) انظر: تفسير الطبري(١٩/ ٢٠٨)، وتفسير البغوي(٦/ ٥٨)، وتفسير القرطبي(١٢/ ٢٩٩).

(٢) معاني القرآن للزجاج(٤/ ٥١).

(٣) معاني القرآن للزجاج(٤/ ٥١).

(٤) ولعل الأقرب أن الآية عامة في المؤمنين ويدخل في ذلك أصحاب النبي ﷺ دخولاً أولياً؛ لأنه لم يتقدمهم أحد في الفضيلة إلى يومنا هذا.

قال ابن العربي في أحكام القرآن (٣/ ٤١٢) " هذا وعد عام في النبوة والخلافة، وإقامة الدعوة، وعموم الشريعة، بنفاذ الوعد في كل أحد بقدره وعلى حال، حتى في المفتين والقضاة والأئمة "

و قال القرطبي في تفسيره (١٢/ ٢٩٨) " هذه الحال لم تختص بالخلفاء الأربعة رضي الله عنهم حتى يخصوا بها من عموم الآية، بل شاركهم في ذلك جميع المهاجرين بل وغيرهم ". وانظر تفسير ابن كثير (٦/ ٧٧-٧٨).

(٥) أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١٩١).

(٦) ذكر ابن عطية في تفسيره (٤/ ١٩٣)، وأبو حيان في تفسيره (٨/ ٦٥) أن المراد به الكفر والفسق الناقل عن الملة، ويحتمل أن يُراد به كفر هذه النعم إذا وقعت ويكون الفسق على هذا غير مخرج عن الملة، وقد اختار هذا القول الطبري في تفسيره (١٩/ ٢١٠).

ظاهر المراد ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا تظننهم يا محمد فائتين[١] من عذاب الله والإعجاز: المنع من الفعل بالعجز[٢].

وهو ها هنا ما ذكرناه ومن قرأ ﴿لا سـ﴾ بالياء[٣]، فهو على حذف المفعول الأول على معنى: لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين[٤].

قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية رُوى في سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ بعث غلاماً من الأنصار يُقال له: مدلج[٥] إلى عمر بن الخطاب ﷺ في ظهيرة؛ ليدعوه إليه، فانطلق الغلام إليه، فوجده نائماً، قد أغلق عليه الباب، فسأل الغلام عنه، فأُخبر أنه في هذا البيت ودفع الغلام الباب، فاستيقظ عمر، فوقع بصر الغلام على ما لا ينبغي أن يراه، فخجل الغلام وخجل عمر ﷺ فقال عمر ﷺ: وددت أن الله تعالى ينهى عبيدنا وخدمنا أن يدخلوا علينا في هذه الأوقات، إلا بإذن، ثم ذهب مع الغلام إلى رسول الله ﷺ، فوجد النبي ﷺ يقرأ هذه الآية فجعل عمر ﷺ يتعجب ويحمد الله تعالى على ذلك فقال ﷺ: يا عمر وما ذاك، فقال: يا رسول الله ﷺ الغلام عندك، فسأله فسأله كيف أتاه؟ فعجب رسول الله ﷺ من فعل الغلام وقال له: ممن أنت يا غلام وما اسمك؟ فقال: اسمي: مدلج وأنا من الأنصار، فقال

---

(١) تفسير السمرقندي(٢/ ٥٢٢)، تفسير السمعاني(٣/ ٥٤٦).

(٢) مفردات القرآن للراغب (ص٥٤٧) مادة " عجز"، الصحاح(٣/ ٨٨٤)، التوقيف على مهمات التعاريف (ص٢٣٦)

(٣) قرأ ابن عامر وحمزة ﴿لَا سـ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ﴾ بالياء، وقرأ الباقون ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ﴾ بالتاء. وهي قراءة سبعية متواترة وقد أنكرها بعض العلماء منهم الفراء في معانيه (٢/ ٢٥٩)، ولا وجه للإنكار ما دامت القراءة متواترة. انظر: التيسير (ص١٦٣)، والنشر (٢/ ٢٧٧).

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج(٤/ ٥٢)، حجة القراءات لابن زنجله (ص٥٠٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٨/ ٤٣٦)

(٥) وقد اقتصرت كتب التراجم على تسمية بمدلج الأنصاري، وهو صحابي جليل. انظر: أسد الغابة(٤/ ٣٥٦).

رسول الله ﷺ: وأنت مدلج، تلج في طاعة الله وطاعة رسوله وأنت ممن يلج الجنة لئن كنت استحييت من عمر، فإنك لمن قوم شديد حياؤهم، رفقاء في أمرهم، يسبق صغيرهم كبيرهم، ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: « إن الله تعالى/ يحب الحليم الحيي المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف »[(١)]. [ل٤٢٩/أ]

ومعنى الآية: ليستأذنكم عبيدكم وإماؤكم[(٢)] والذين لم يبلغوا الحلم من صغار أولادكم من الأحرار[(٣)] في الدخول عليكم في ثلاثة أوقات[(٤)] من الليل والنهار يكون الغالب فيها كشف العورات، ثم بين الأوقات الثلاثة، فقال: من قبل صلاة الفجر، أي: من قبل صلاة الغداة وهو وقت القيام من المضاجع والتهيؤ للصلاة بالطهارة وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة وهو وقت القيلولة ومن بعد صلاة العشاء، أراد به بعد العشاء الآخرة وهذه الأوقات الثلاثة ثلاث عورات لكم؛ لأن الإنسان يضع ثيابه فيها في العادة[(٥)].

وقوله ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ أي: لا حرج عليكم ولا عليهم في

---

(١) رواه ابن منده في " معرفة الصحابة " كما في " الإصابة في تمييز الصحابة " لابن حجر (٦/ ٥٠) من طريق السديّ الصغير، عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضى الله عنهما. وفي إسناده محمد بن مروان السدي الصغير قال عن الحافظ في التقريب (ص٥٠٦) " متهم بالكذب "، وفي إسناده كذلك الكلبي وهو متهم بالكذب، فإسناده باطل. وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص٣٢٩)، والبغوي في تفسيره (٦/ ٦٠) كلاهما عن ابن عباس رضى الله عنهما بدون إسناد. وهذه إحدى موافقات عمر ﷺ.

(٢) وهذا اختيار الطبري كما في تفسيره (١٩/ ٢١١)، والسمعاني في تفسيره (٣/ ٥٤٦)، وذلك لعموم قوله تعالى ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ولم يخصص، وقيل: المراد الرجال دون النساء وهو قول ضعيف.

(٣) أحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٩٢)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١١٦) بمثله ولم ينسبه.

(٤) انظر تفسير الطبري(١٩/ ٢١٢)، تفسير السمرقندي(٢/ ٥٢٢)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١١٦) بمثله ولم ينسبه.

(٥) انظر: تنوير المقباس (ص٢٩٨)، تفسير مقاتل(٣/ ٢٠٧)، تفسير السمرقندي(٢/ ٥٢٢).

أن لا يستأذنوا[١] في غير هذه الأوقات الثلاثة ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم﴾ أي: يطوف بعضكم على بعض[٢] ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الدلالات والأحكام في أمر الاستئذان[٣] ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح العباد، حكيم فيما حكم من استئذان خدم البيت في هذه الأوقات الثلاثة دون سائر الأوقات وقوله ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ﴾ معناه: فإذا بلغ الأطفال من أحراركم[٤] وعبيدكم أوان الحلم، فليستأذنوا في عموم الأحوال، كما استأذن المذكورون من قبلهم وعلى ما بينه الله تعالى في كتابه[٥] ﴿حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[٦] فليس للعبد البالغ أن يدخل منزل مولاه ولا للولد البالغ أن يدخل على أمه[٧] وعلى ذات محرم منه في كل وقت، إلا بإذن[٨] ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ .

وقوله ﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي﴾ معناه: والعجائز من النساء اللاتي قعدن عن المحيض ولا يردن النكاح؛ لكبرهن[٩]، فليس عليهن حرج في أن يضعن ثيابهن من غير أن يظهرن ما عليهن من الزينة. أراد بالثياب المُلاَّءَة وأن يتعففن ولا يضعن المُلاَّءَة خير لهن من أن يضعن ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالة العباد ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمالهم يُقال: امرأة قاعد

---

(١) معاني القرآن للزجاج(٤/ ٥٢)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١١٧) بمثله ولم ينسبه.

(٢) معاني القرآن للزجاج(٤/ ٥٣).

(٣) تفسير الطبري(١٩/ ٢١٤)، إعراب القرآن للنحاس(٣/ ١٠٢)، تفسير القرطبي(١٢/ ٣٠٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٩/ ٢١٥)، وتفسير الثعلبي(٧/ ١١٧).

(٥) انظر أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١٩٥).

(٦) جزء من آية (٢٧) سورة النور.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢١٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٣٨) كلاهما عن سعيد بن المسيب بنحوه.

(٨) تفسير الطبري(١٩/ ٢١٢)، أحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٩١)، تفسير ابن عطية٠ ٤/ ١٩٤).

(٩) انظر: تفسير الطبري(١٩/ ٢١٦)، وتفسير الثعلبي(٧/ ١١٧).

إذا قعدت عن المحيض فإذا قيل: قاعدة بالهاء أريد به جالسة والجمع فيهما جميعاً قواعد[1]، فعلى الشابة من الستر أكثر مما على العجوز وإن كان لا يجوز للعجوز أن تبدي عورة لغير محرم من نحو شعر أو ساق أو ذراع[2] ويُروى: " أن امرأة مدت يدها إلى إبراهيم النخعي، فقال اكشفي عن وجهك، فكشفت عن وجهها، فإذا هي عجوز فصافحها "[3].

قوله ﷻ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ وذلك أنه لما نزل قوله تعالى ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[4] تحرج الناس عن مؤاكلة بعضهم بعضاً؛ مخافة الظلم وتحرجوا عن الأكل مع هؤلاء الضعفاء؛ مخافة أن يزيدوا عليهم في الأكل وكان الضعفاء يتحرجون عن الأكل مع غيرهم؛ مخافة أن يوجد منهمماينفر غيرهم عنهم[5] وكان الناس إذا خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى الغزو، خلّفوا في منازلهم أصحاب العذر؛ ليحفظوا أموالهم، فكان أصحاب العذر

---

(١) قال ابن قتيبة في غريب القرآن (ص٢٦٣) " إنما قيل لها قاعد: لقعودها عن المحيض والولد "، وعزاه الأزهري في تهذيب اللغة (١/ ١٣٦) لابن السكيت، وقال ابن فارس في مقاييس اللغة (٥/ ١٠٨) " وامرأة قاعدة إن أردت القعود، وقاعد عن الحيض والأزواج ". وهذا القول نسبه القرطبي في تفسيره (١٢/ ٣٠٩) إلى أكثر العلماء.

وانظر: معاني القرآن للزجاج (٤/ ٥٣)، تفسير السمرقندي(٢/ ٥٢٣).

(٢) أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١٩٦)، النكت والعيون للماوردي(٤/ ١٢٢)، تفسير القرطبي(١٢/ ٣٠٩).

(٣) ذكره أبو بكر بن علي الحدادي (المتوفى: ٨٠٠هـ) في كتابه الجوهرة النيرة على مختصر القدوري (٢/ ٢٨٤)، ولم أقف عليه في غيره من المصادر.

(٤) جزء من آية (٢٩) سورة النساء.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢١٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٤٨) كلاهما من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه. وهو منقطع لأن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس رضى الله عنهما كما قاله الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٧/ ٣٣٩).

يتحرجون أن يأكلوا مما يحفظونه، فأعلم الله تعالى أنه ليس عليهم جناح في ذلك[١].

وذهب الحسن في معنى أول هذه الآية إلى أن المراد به: ليس على هؤلاء حرج في ترك الخروج إلى الجهاد قال وقوله ﷻ ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: ولا حرج عليكم في أن تأكلوا من بيوتكم[٢] قيل: إنه أراد بهذا بيوت أبنائهم ونسائهم وإنما أضاف بيوت الأبناء إليهم؛ لأنهم من أنفسهم[٣] كما قال ﷺ: « أنت ومالك لأبيك»[٤] ولهذا قابلها

----

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤٤٦) قال: أرنا معمر في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟﴾، قال: قلت للزهري: ما بال الأعمى ذكر هاهنا والأعرج والمريض؟ قال: أرني عبيد الله بن عبدالله " أن المسلمين... فذكره بنحوه، وأخرجه أبو داود في المراسيل (ص٣٢٣) برقم (٤٥٩)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٢٢٠)، والجصاص في أحكام القرآن(٥/ ١٩٧)، والبيهقي في السنن الكبير (٧/ ٤٤٨) برقم (١٤٦٠٠)، وانظر لباب النقول (ص١٤٦). وهي رواية مرسلة، وقد اعتمد هذا القول الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٢٢) فقال: " وأشبه الأقوال التي ذكرنا في تأويل قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾... إلى قوله: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ القول الذي ذكرنا عن الزهري، عن عبيد الله بن عبدالله، وذلك لأنه أظهر معاني الآية، وقال النحاس في الناسخ والمنسوخ (ص٦٠٢) " وهذا القول من أجل ما روي في الآية لما فيه عن الصحابة والتابعين من التوقيف أن الآية نزلت في شيء بعينه ".

(٢) نسبه البغوي في تفسيره (٦/ ٦٤) إلى الحسن بمثله، وكذلك نسبه إليه السمعاني في تفسيره (٣/ ٥٥٠).

ورد هذا القول الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٢٢-٢٢٣) قال " لأن قوله: ﴿أَن تَأْكُلُوا۟﴾ خبر ليس، وأن في موضع نصب على أنها خبر لها، فهي متعلقة بليس، فمعلوم بذلك أن معنى الكلام: ليس على الأعمى حرج أن يأكل من بيته، لا أنه لا حرج عليه في التخلف عن الجهاد ".

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٦١)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٦٤)، أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١٩٨)، وقد استظهره السمعاني في تفسيره (٣/ ٥٥١)، ونسبه البغوي في تفسيره (٦/ ٦٤) لابن قتيبة بنحوه.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/ ٧٦٩) (كتاب التجارات / باب: ما للرجل من مال ولده / ح٢٢٩١) قال حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا عيسى بن يونس قال: حدثنا يوسف بن إسحاق، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله، أن رجلا قال: يا رسول الله، إن لي مالا وولدا، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي، فقال: «أنت ومالك لأبيك»

⇦=

ببيوت الآباء فقال عز من قائل: ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ ولم يقل: أو بيوت أبنائكم وقوله ﴿أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ﴾ خرج على وفق العادة؛ لأن الغالب من حالهم أنهم تطيب أنفسهم بذلك، فجاز الأكل من بيوت هؤلاء بغير الإذن؛ لدلالة الحال، فأما إذا عُلم أن صاحب البيت لا تطب نفسه بذلك، لم يتناول من ماله وإن أذن له في ذلك[(١)].

قوله تعالى ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ أريد به: الوكلاء والأمناء والعبيد من الذين يملكون أمر الخزائن والذين يلون المفاتيح بأيديهم[(٢)].

وقوله ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ / أريد به: صديق يسرّه أن يأكل من طعامه وإنما أطلقه على عادة الصحابة[(٣)]، كما رُوي في سبب نزول هذا: أن مالك بن زيد[(٤)] [ل٤٢٩/ب]

= قال الزيلعي في نصب الراية لأحاديث الهداية / المؤلف: أبو محمد عبدالله بن يوسف الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)-قدم للكتاب: محمد يوسف البَنُوري - المحقق: محمد عوامة، الناشر: مؤسسة الريان - (٣/ ٣٣٧) (كتاب الحدود / باب: الوطء الذي يوجب الحد) " قال ابن القطان: إسناده صحيح، وقال المنذري: رجاله ثقات، وقال في "التنقيح": ويوسف بن إسحاق من الثقات المخرج لهم في "الصحيحين".

(١) انظر أحكام القرآن للجصاص(٥/ ١٩٨).

(٢) انظر تفسير مقاتل(٣/ ٢٠٩)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٢١)، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ١٢٤)، والبغوي في تفسيره (٦/ ٦٤) كلهم عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله.

(٣) تفسير الحداد (٥/ ٩٢).

(٤) لم أقف على صحابي يسمى بمالك بن زيد، ولكن لعله الصحابي الجليل خالد بن زيد الأنصاري، غير أبي أيوب، قال الحافظ ابن حجر في ترجمته: " قلت: وذكر الثعالبي في تفسيره، عن ابن عباس، قال: خرج الحارث بن عمرو غازيا مع رسول الله ﷺ، وخلف على أهله خالد بن زيد، فتحرج أن يأكل من طعامه. وكان مجهودا، فنزلت: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ . . . .﴾ الآية. فلعله صاحب الترجمة ".

انظر الإصابة(٢/ ٢٠١)، وقد ذكر السيوطي في لباب النقول (ص١٤٦) أنه الصحابي الجليل خالد بن زيد رضي الله عنه.

والحارث بن عمرو[(١)] كانا صديقين، فخرج الحارث غازياً وخلف مالكا في أهله وماله، فلما رجع، رأى مالكاً مجهوداً، قال: ما أصابك، قال: لم يكن عندي شيء ولم يحل لي أن أكل من مالك، فنزل قوله تعالى ﴿أَوۡ صَدِيقِكُمۡ﴾[(٢)].

قوله ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتًا﴾ قد رُوي في سبب نزوله: أن بني كنانة[(٣)]- وهم حي من العرب -كان الواحد منهم يجوع أياماً لا يأكل، حتى يجد ضيفاً يأكل معه، فرفع الله الحرج عنهم في أن يأكلوا وحدهم ومع الضيف[(٤)].

---

(١) كثر في الصحابة من اسمه الحارث بن عمرو ولم أتمكن من تحديد أحدٍ بعينه.

(٢) تفسير مقاتل ٣/٠ ٢٠٩)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٤٨) عن مقاتل فذكره بنحوه.
وانظر: تفسير السمعاني(٣/ ٥٥٢)، وتفسير القرطبي (١٢/ ٣١٥)، ولباب النقول (ص١٤٦).

(٣) قبيلة عظيمة، من العدنانية، وهم: بنو كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان. كانت ديارهم بجهات مكة، وقدمت طائفة منهم الديار المصرية سنة ٥٤٥ م. وتنقسم: إلى عدة بطون، منها: قريش، عبد مناة بن كنانة، بنو مالك ابن كنانة، بنو الليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، بنو ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، بنو فراس بن غنم ابن ثعلبة بن مالك بن كنانة. انظر: جمهرة أنساب العرب / المؤلف: أبو محمد علي بن حزم (المتوفى: ٤٥٦هـ)-تحقيق: لجنة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية - (ص١٨٠)، معجم قبائل العرب لكحاله (٣/ ٩٩٦).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٢٤) عن قتادة وابن جريج بمثله، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٤٩) عن قتادة بمثله، وذكره البغوي في تفسيره (٦/ ٦٥) عن قتادة والضحاك وابن جريج بمثله، وذكره السمرقندي في تفسيره (٢/ ٥٢٥) عن قتادة بمثله، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص٣٣٠) عن قتادة والضحاك بنحوه.

قال الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٢٤) "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وضع الحرج عن المسلمين أن يأكلوا جميعا معا إذا شاءوا، أو أشتاتا متفرقين إذا أرادوا، وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوف من الأغنياء الأكل مع الفقير، وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يطعمون وحدانا، وبسبب غير ذلك، ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر، ولا دلالة في ظاهر التنزيل على حقيقة شيء منه، والصواب التسليم لما دل عليه ظاهر التنزيل، والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل".

ويُستدل من هذه الآية أن للجماعة في السفر أن يخلطوا طعامهم فيأكلوا جميعاً أو يأكل واحد منهم من زاده ولا حرج عليهم في ذلك والغرض من هذه الآيات نفي الحرمة في كل ما تطب به النفس وقد رُوي عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: « لا تقولوا هنيئاً فإن ذلك لأهل الجنة حين أمنوا الموت ورضوا بالثواب واستقرت بهم الدار ولعلهم أن يأكلوا حراماً ولكن قولوا: أطعمنا الله وإياكم طيباً »(١).

وقوله ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: يسلم بعضكم على بعض(٢) وإنما قال على أنفسكم؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة وهو نظير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٣) ومن السنة « إذا دخل الإنسان بيتاً ليس فيه أحد، أن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين »(٤) ومن السنة « إذا دخل الرجل بيت نفسه، أن يسلم على

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في كتابه الموضوعات (٣/ ٣٩) (كتاب الأطعمة) قال أنبأنا الجريري أنبأنا العشاري حدثنا الدارقطني حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا القاسم بن نصر حدثنا عمرو بن الحصين حدثنا محمد بن عبدالله بن علاثة عن كثير بن شنظير عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: " إذا دعي أحدكم إلى طعام فلم يرده فلا يقل هنيئا؛ فإن الهنى لأهل الجنة، ولكن ليقل أطعمنا الله وإياكم طيبا ". بهذا اللفظ ولم أقف عليه بلفظ المصنف ولعله ذكره بالمعنى.

قال ابن الجوزي في كتابه الموضوعات (٣/ ٣٩) " هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ. وفيه كثير بن شنظير. قال يحيى: ليس بشئ. وابن علاثة قال فيه ابن حبان: يروى الموضوعات عن الثقاة لا يحل ذكره إلا على جهة القدح. وقال الدارقطني: عمرو ابن الحصين متروك ". وقال الذهبي في تلخيص كتاب الموضوعات لابن الجوزي – تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – (ص٢٦٠) " " هذا باطل فإن الله يقول﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ ".

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤٥٠) عن الحسن والكلبي بمثله، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٢٦) عن الحسن بمثله، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٥١) عن الحسن بمثله، وانظر تفسير السمرقندي (٢/ ٥٢).

(٣) جزء من آية (١٠) سورة الحجرات.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٢٦)، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ١٢٦)، والسمرقندي في تفسيره (٢/ ٥٢٥) كلهم عن إبراهيم النخعي بمثله.

أهلـه يزيـد ذلـك في بركاتـه »[1] وأمـا إذا دخـل المسجد فقـال كـان النبـي ﷺ إذا دخـل المسجد قال: « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبـواب رحمتك وإذا خـرج مـن المسجد، قال: اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك »[2].

وقوله ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً﴾ معناه: افعلوا ذلك تحية أمركم الله بـه لكم فيه البركة والمغفرة والثواب[3]، هكذا يبين الله لكـم الـدلالات والأحكـام، لكـي

---

(١) كأن المصنف ~ تعالى ذكره بالمعنى، وقد أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٥٩) (أبواب الاستئذان والآداب / باب: ما جاء في التسليم إذا دخل بيته / ح٢٦٩٨) بلفظ حدثنا أبو حاتم البصري الأنصاري مسلم بن حاتم قال: حدثنا محمد بن عبدالله الأنصاري، عن أبيه، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن أنس بن مالك، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني إذا دخلت على أهلك، فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك»

وفي إسناده علي بن زيد بن جُدْعَان قال الحافظ في التقريب (ص٤٠١) " ضعيف " وعليه فإسناده ضعيف.

وانظر تفسير الثعالبي(٤/ ٢٠٠).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢/ ١٢٧) (أبواب الصلاة / باب: ما يقول عند دخوله المسجد / ح٣١٤)، وأخرجه ابن ماجه في سننه (١/ ٢٥٣) (كتاب المساجد والجماعات / باب: الدعاء عند دخول المسجد / ح٧٧١)، قال الترمذي في سننه بعد أن أخرج الحديث " " وقال علي بن حجر: قال إسماعيل بن إبراهيم: فلقيت عبدالله بن الحسن بمكة، فسألته عن هذا الحديث فحدثني به، قال: كان إذا دخل قال: «رب افتح لي باب رحمتك»، وإذا خرج قال: «رب افتح لي باب فضلك»،: وفي الباب عن أبي حميد، وأبي أسيد، وأبي هريرة،: وحديث فاطمة حديث حسن، وليس إسناده بمتصل، وفاطمة بنت الحسين لم تدرك فاطمة الكبرى إنما عاشت فاطمة بعد النبي ﷺ أشهرا "

وقد أخرج مسلم في صحيحه (١/ ٤٩٤) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها / باب: ما يقول إذا دخل المسجد / ح٧١٣) الحديث من طريق أبي حميد، وأبي أسيد، قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل اللهم إني أسألك من فضلك ". وقال الجصاص في أحكام القرآن (٥/ ٢٠٠) والآية تحمل على ذلك كله.

(٣) معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٦٢)، النكت والعيون للماوردي(٤/ ١٢٦).

تعقلـوا، فتعملـوا بهـا قولـه ﷻ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فيـه ثنـاء عـلى المؤمنين في حال اجتماعهم للتعاون على أمر ألا ينصرفوا عن رسول الله ﷺ إلا بعد أذنه لهـم في الانـصراف[1]، وقولـه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث استأذن النبي ﷺ في الرجوع من غزوة تبوك[2] إلى المدينة لعلة كانت به[3].

وقوله ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ قيل: أنه نُسخ[4] بقولـه ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾[5] وبقولـه ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ أي: اسـتغفر لهؤلاء المستأذنين إذا استأذنوك لعذر لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للتائبين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

وقوله ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ فيه قولان:

الأول: احذروا دعاءه عليكم إذا اسخطتموه؛ فإن دعـاءه موجـب ولـيس دعـاءٌ يُجاب كدعاءٍ لا يُجاب[6].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٥٣) عن مقاتل بن حيان بنحوه.

(٢) تبوكُ: بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة، وكاف: موضع بين وادي القرى والشام. انظر: معجم البلدان للحموي (٢/ ١٤).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٢١٠) وهذه الرواية لا تصح في سبب نزول هذه الآية.

(٤) ذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ (ص٥٠٥)، وفي معاني القرآن له (٤/ ٥٦٤)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٢٠٠)، وذكره الرازي في تفسيره (٢٤/ ٤٢٤)، وذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ٣٢١)، كلهم عن قتادة بمثله.

(٥) جزء من آية (٤٣) سورة التوبة.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٥٥)، كلاهما من طريق العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله، قال ابن عطية في تفسيره (٤/ ١٩٨) " ولفظ الآية يدفع هذا المعنى ". ولكن الطبري رجحه بقوله " وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي التأويل الذي قاله ابن عباس، وذلك أن الذي قبل قوله: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ نهي من الله للمؤمنين أن يأتوا من الانصراف عنه في الأمر الذي يجمع جميعهم ما يكرهه، والذي بعده وعيد للمنصرفين بغير ⇐=

والثاني: ادعوه بالخشوع والتعظيم، وقولوا: يارسول الله ويا نبي الله ولا تقولـوا: يامحمد ويا أبا القاسم، كما يدعو بعضكم بعضاً باسمه[١].

وقوله ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾أريد به: المنافقون كان النبي ﷺ إذا خطب الناس يوم الجمعة، عابهم في خطبته وسماهم رجساً، فإذا سمعوا ذلك، نظروا يميناً وشمالاً إن أبصرهم أحد وإلا قاموا، فخرجوا من المسجد ولبثوا حتي تصلي الجمعة. وإن لم يبصرهم أحد، تسللوا وخرجوا من المسجد قبل أن يصلوا الجمعة، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢]. ومعنى اللواذ: أن يستتر ببعض ثم يمضي[٣]، يقال: لاوذت بفلان ملاوذة ولواذاً وأما مصدر لذت بفلان بمعنى: الإلتجاء إليه،

= إذنه عنه، فالذي بينهما بأن يكون تحذيراً لهم سخطه أن يضطره إلى الدعاء عليهم أشبه من أن يكون أمراً لهم بما لم يجر له ذكر من تعظيمه وتوقيره بالقول والدعاء ". وقال النحاس في معانيه (٤/ ٥٦٥) وهذا قول حسن لكون الكلام متصل بالذي قبله والذي بعده.

(١) تفسير مقاتل(٣/ ٢١١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٥٤-٢٦٥٥) من رواية الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما، وسعيد بن جبير بمثله. وهذا القول رجحه ابن عطية في تفسيره (٤/ ١٩٨)، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٦/ ٨٩) " وهو الظاهر من السياق، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ﴾ [البقرة: ١٠٤]، وقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [الحجرات: ٢-٥] فهذا كله من باب الأدب في مخاطبة النبي ﷺ والكلام معه وعنده كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته ". ولعل هذا القول هو الأقرب.

(٢) رواه أبو دواد في المراسيل (ص١٠٥) عن مقاتل بن حيان بأطول منه، وذكر نحو هذه الرواية الفراء في معاني القرآن (٢/ ٢٦٢)، وانظر أحكام القرآن للجصاص(٥/ ٢٠٠)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٦/ ٨٩) عن مقاتل بن حيان بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٣١) عن الضحاك بنحوه، وانظر الصحاح (٢/ ٥٧٠) مادة " لوذ "، ولسان العرب(٣/ ٥٠٧-٥٠٨).

فلياذ تقول لذت به ألوذ لياذاً[1] ويُقال: معني اللواذ: الاعتصام بالشيء بالدور معه حيث دار[2].

وقوله ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ معناه: ليحذر الذين يعرضون عن أمر الله[3] ويخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة بلية في الدنيا[4] أو يصيبهم عذاب أليم في الآخرة وفي هذا دليل على أن ظاهر الأمر الوجوب[5].

قوله ﷻ ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: له كل ذلك ملكاً وقدرة وإحاطة[6] ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ ما يبديه كل متكلم وما يخفيه ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أريد به: الرجوع إلى موضع لا يكون الحكم فيه إلا لله تعالى، فينبئهم، أي: يخبرهم ويجزيهم بما عملوا في دار الدنيا ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من أعمال العباد ﴿عَلِيمٌۢ﴾

وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه / عن رسول الله ﷺ أنه قال: « من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات لعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي »[7]. [ل٤٣٠/أ]

-----

(١) معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٦٢)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٥٦).

(٢) مفردات القرآن للراغب (ص٧٥٠) مادة " لوذ "، بصائر ذوي التميي(٤/ ٤٦٩).

(٣) قال الرازي في تفسيره (٢٤/ ٤٢٥) " دخلت (عن) لتضمين المخالفة معنى الإعراض "، الدر المصون للسمين (٨/ ٤٤٩).

(٤) انظر: تفسير السمرقندي ٢(/ ٥٢٧)، والنكت والعيون للماوردي(٤/ ١٢٩)، وتفسير السمعاني(٣/ ٥٥٤).

(٥) أحكام القرآن للجصاص(٥/ ٢٠١).

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١٢١) بنحوه ولم ينسبه.

(٧) هذا قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم تخريجه والكلام عنه في أخر سورة طه.

سورة الفرقان

مكية[(١)] وهي سبع وسبعون آية بلا خلاف[(٢)].

بسم الله الرحمن الرحيم

{ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ رُوي عن ابن عباس في معنى تبارك: أنه تفاعل من البركة أي: عظمت وكبرت بركات الله تعالى[(٣)] والبركة في اللغة: الخير الكثير ويجوز أن يكون معناه: جل وعلا بما لم يزل ولا يزال.

يقول الرجل: تباركت، أي: تعاليت وأصل الصفة الثبوت من بروك الطين إلى الماء ومنه برك البعير يبرك بروكاً[(٤)]، ويُقال للواحد: بارك وللجماعة بَرَكَة وفلان ذو

----

(١) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن / المؤلف: أبو عبدالله محمد بن يسار الضريس (المتوفى: ٢٩٤هـ)- تحقيق: غزوة بدير، الناشر: دار الفكر- (ص٣٣)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (ص٦٠٣) كلاهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: " نزلت سورة الفرقان بمكة ". وهو قول جمهور المفسرين كما نقله عنهم ابن عطية في تفسيره (٤/ ١٩٩)، والقرطبي في تفسيره (١٣/ ١)، قال ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٣١١) " حكي عن ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة أنهما قالا: إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ".

(٢) نقل أبو عمرو الداني الإجماع على ذلك. انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص١٩٤)، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور - دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (٢/ ٣١٩)

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٣٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٥٩) كلاهما من طريق الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما، ونسبه إليه الزجاج في معاني القرآن (٤/ ٥٧) وقال: " وكذلك يقول أهل اللغة ".

قال الشنقيطي في تفسيره (٦/ ٤) " والأظهر في معنى تبارك بحسب اللغة التي نزل بها القرآن أنه تفاعل من البركة، كما جزم به ابن جرير الطبري، فعلى هذا تكون صفة لله ﷻ".

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس(٣/ ١٠٥)، الصحاح (٤/ ١٥٧٤) مادة " برك "، مفردات القرآن للراغب ⇐=

بركة، أي: ذو إبل كثيرة، فصار ذلك أصلاً في كل خير كثير(١).

وقوله: ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ أي: نزل جبريل بالفرقان على عبده محمد ﷺ(٢).

والتنزيل أبلغ في الإفادة من الإنزال(٣)، والفرقان: البيان الذي يفرق به بين الحق والباطل ويزجر عن القبائح ويدعو إلى المحاسن(٤) والنذير والمنذر واحد الإنذار: هو الإعلام بموضوع المخافة؛ ليُتقى(٥) وقوله: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: له خزائن السماوات والأرض والقدرة على أهلها ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كما قالت اليهود والنصارى، فيرثه ملكه(٦) ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ كما قاله المشركون، فيعاونه في ملكه ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ قال الحسن ﷺ: قدرّ طوله وعرضه ولونه ورزقه وأجله(٧).

ويُقال في معناه: أثبت الله كل شيء في اللوح المحفوظ لطفاً للملائكة وذلك

= (ص١١٩) مادة " برك ".

(١) انظر: جمهرة اللغة(١/ ٣٢٥)، الصحاح (٤/ ١٥٧٤) مادة " برك ".

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٦٠) عن ابن إسحاق بمثله.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٩٢) " نزل: فعل، من التكرر..... ؛ لأن الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة، والقرآن نزل منجما مفرقا مفصلا آيات بعد آيات، وأحكاما بعد أحكام، وسورا بعد سور، وهذا أشد وأبلغ، وأشد اعتناء بمن أنزل عليه كما قال في أثناء هذه السورة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾" [الفرقان: ٣٢، ٣٣].

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٢٣٣)، معاني القرآن للزجاج(٤/ ٥٧)، تفسير السمعاني (٤/ ٥).

(٥) تهذيب اللغة(١٤/ ٣٠٤)، الصحاح (٢/ ٨٢٥) مادة " نذر ".

(٦) انظر تفسير مقاتل (٣/ ٢٢٥)، وذكره القرطبي في تفسيره (١٣/ ٢) بنحوه ولم ينسبه.

(٧) ذكره الطبرسي في مجمع البيان (٧/ ٢٨٠) بمثله ونسبه إلى الحسن، وذكره السمعاني في تفسيره (٤/ ٥)، والبغوي في تفسيره (٦/ ٦٩) بنحوه ولم ينسباه لأحد.

أنهم إذا نظروا إليه ثم ظهر مخبر الله ﷻ على وفق خبره، ازداد بذلك يقيناً[١] ويُقال: كانوا ينظرون فيه، فيتصرفون فيما وكلوا به على حسب ما يجدونه فيه والتقدير: جعل الأشياء على ما تدعوا إليه الحكمة[٢].

والتقدير أيضاً: تبيين مقادير الأشياء للعباد[٣].

قوله ﷻ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾ معناه: اتخذ كفار مكة من دون الله آلهة يعبدونها وهي الأصنام[٤]، لا يقدرون أن يخلقون شيئاً وهم يخلقون. ما من شيء يكون منها من ذهب أوفضة أوصفر أوخشب، إلا و الله خالقها ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ﴾ أي: لا يقدرون على دفع ضر عن أنفسهم ولا على جر نفع إلى أنفسهم ولا إلى غيرهم ولا يملكون الإماتة ولا الإحياء والإعادة، فكيف ترك هؤلاء الكفار عبادة الله الذي يملك هذه الأشياء واشتغلوا بعبادة من لا يملك شيئاً منها[٥]؟ يُقال: أنشر الله الموتى، فنشروا، أي: أحياهم، فحيوا[٦].

---

(١) مجمع البيان للطبرسي(٧/ ٢٨٠).

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٤/ ٥٧).

(٣) والله هو الذي وصف نفسه بأنه على كل شيء قدير، لم يقيد قدرته بشيء معين، لا يعجزه شيء، ولا يجوز التقييد بأنه قدير على كذا.

قال شيخ الاسلام في مجموع الفتاوى (٨/ ٤٢٨) " وأهل السنة متفقون على إثبات القدر وأن الله على كل شيء قدير"

وانظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٩٣).

(٤) ذكره الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٣٧)، والثعلبي في تفسيره (٧/ ١٢٣) بنحوه ولم ينسباه لأحد.

(٥) تنوير المقباس (ص٣٠٠)، تفسير مقاتل (٣/ ٢٢٦) بنحوه.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٧٠)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٦٦)، معاني القرآن للنحاس (٥/ ٨).

وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾.

معناه: وقالوا ما هذا إلا كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه[1] ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ أي: على اختلاقه قوم آخرون من أهل الكتاب، أراد به جبراً[2] مولى لقريش ويساراً[3] أبا فكيهة مولى لبني الحضرمي وعداساً[4] مولى لحويطب بن عبدالعزى، كان هؤلاء يقرأون التوراة قبل أن يسلموا، فلما أسلموا، رأوا التوراة تشبه القرآن وكان النبي ﷺ يمرّ بهم ويتعاهدهم في ذلك[5] قال الكفار ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾ بظلم وزور فيما قالوا فلما سقطت الباء أفضى إليه الفعل فَنَصبه[6].

والزور: وضع الباطل في موضع الحق[7] ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: قال

---

(١) تفسير مقاتل(٣/ ٢٢٦)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١٢٣) بمثله ولم ينسبه، ونسبه الماوردي في تفسيره (٤/ ١٣٢)، والقرطبي في تفسيره (١٣/ ٣) إلى ابن عباس رضى الله عنهما بمثله.

(٢) هو الصحابي الجليل جبر مولى بني عبدالدار كان بمكة، وكان يهوديا، فسمع النبي ﷺ يقرأ سورة يوسف فأسلم وكتم إسلامه، ثم أطلع مواليه على ذلك، فعذبوه، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة شكا إليه ما لقي فأعطاه ثمنه فاشترى نفسه وعتق واستغنى. انظر: الإصابة (١/ ٥٦٢).

(٣) هو الصحابي الجليل يسار أبو فكيهة الجهمي: مولى صفوان بن أمية، ويقال أصله من الأزد. أسلم قديما فربط أمية بن خلف في رجله حبلا فجره حتى ألقاه في الرمضاء، وجعل يخنقه، فجاء أخوه أبي بن خلف، فقال: زده، فلم يزل على ذلك حتى ظن أنه مات، فمر أبو بكر الصديق فاشتراه وأعتقه. والمذكور في كتب التراجم والسير أنه مولى لصفوان بن أمية. انظر: أسد الغابة(٥/ ٤٨١)، والإصابة (٧/ ٢٦٨).

(٤) هو الصحابي الجليل عداس مولى شيبة بن ربيعة بن عبد شمس، من أهل نينوي الموصل، كان نصرانيا له ذكر في صفة النبي ﷺ. والمذكور في كتب التراجم والسير أنه مولى لشيبه بن ربيعة. انظر: أسد الغابة(٤/ ٤)، والإصابة (٤/ ٣٨٥).

(٥) تفسير مقاتل(٣/ ٢٢٦)، تفسير السمعاني (٤/ ٦)، ونسبه ابن عطية في تفسيره (٤/ ٢٠٠)، والقرطبي في تفسيره (١٣/ ٣) لابن عباس رضى الله عنهما.

(٦) معاني القرآن للزجاج(٤/ ٥٨).

(٧) انظر: مقاييس اللغة(٣/ ٣٦)، مفردات القرآن للراغب (ص٣٨٧) مادة " زور "، التوقيف على مهمات التعاريف (ص١٨٧).

النضر بن الحارث وأصحابه هذا القرآن أحاديث الأولين في دهرهم، كما كنت أُخبركم عن الأعاجم[(١)] ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ محمد ﷺ فهي تقرأ عليه غدوة وعشياً[(٢)].

وقوله: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: أنزله الله تعالى على ما يقتضيه العلم بباطن الأمور لا على ما تقتضيه أهواء النفوس[(٣)] والسر إخفاء المعنى في القلب[(٤)].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ أي: لمن تاب وآمن، وقوله: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ أي: قالوا على وجه الذم والتعيير للنبي ﷺ أي شيء لهذا الرسول يأكل الطعام، كما نأكل ويتردد في الطريق، كما نمشي[(٥)] والمراد: فالتمسوا أن يكون الرسول على غير بنية الآدميين[(٦)].

﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ﴾ أي: هلاَّ أُنزل عليه ملك[(٧)] ﴿فَيَكُونَ مَعَهُۥ/ نَذِيرًا﴾ [ل٤٣٠/ب] شريكاً في النبوة أو يُلقي إليه كنز، فينتفع به أو تكون له جنة يأكل من ثمارها؛

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٢٢٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٣٨-٢٣٩) عن ابن عباس رضى الله عنهما وابن جريج بمثله، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ١٣٢) بنحوه ونسبه لابن عباس رضى الله عنهما.

(٢) انظر: تنوير المقباس (ص٣٠٠)، مجاز القرآن لأبي عبيدة(٢/ ٧٠)، زاد المسير لابن الجوزي(٣/ ٣١٢)، تفسير الرازي(٢٤/ ٤٣٣).

(٣) إيجاز البيان عن معاني القرآن لمحمود بن أبى الحسن النيسابوري، نجم الدين (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ) - المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ - (٢/ ٦٠٨).

(٤) انظر: الصحاح (٢/ ٦٨١)، مفردات القرآن للراغب (ص٤٠٤) مادة " سرر "، التوقيف على مهمات التعاريف (ص١٩٣).

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١٢٣) بنحوه ولم ينسبه.

(٦) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٥٨).

(٧) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٦٢).

فإنه فقير محتاج[(١)].

ويُقرأ نأكل منها بالنون[(٢)]. قوله: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا﴾ أي: قال الكافرون لغيرهم: ما تتبعون إلا رجلاً قد سُحر وأزيل عنه عقله[(٣)].

يقول الله ﷻ: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ﴾ .

أي: كيف وصفوا لك الأشباه أنك ساحر وكاهن وكذَّاب وشاعر ومجنون[(٤)] ﴿فَضَلُّواْ﴾ أي: عن الصواب والهدى[(٥)] و أخطأوا في التشبيه، فلا يجدون طريقاً إلى إلزام الحجة ولا مخرجاً لأنفسهم بإثبات العذر في ترك الإيمان به وذلك أنهم جعلوا معذرتهم في ذلك أشياء ليست بعذر. أما أكل الطعام فإنه كان موجود في الرسل قبله، فلم يكن ذلك عذراً في ترك الإيمان بهم. ومعلوم بأن الحاجة إلى الطعام كالحاجة إلى غير ذلك ولو أنزل ملكاً، لكان يحتاج إلى أن [ينزل][(٦)] من السماء ويتردد في الأرض؛ لتبليغ الرسالة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلًا﴾[(٧)] ولو جعل الله الملك معاوناً للنبي ﷺ في الإنذار، لأدى ذلك إلى استصغار كل واحدٍ منهما في أن كل

----

(١) انظر معاني القرآن للزجاج(٤/ ٥٨-٥٩).

(٢) قرأ حمزة والكسائى وخلف ﴿نأكل منها﴾ بالنون، وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر ﴿يأكل﴾ بالياء. انظر: السبعة لابن مجاهد (ص٤٦٢)، التيسير (ص١٦٣)، النشر (٢/ ٣٣٣).

(٣) تنوير المقباس (ص٣٠١)، تفسير مقاتل (٣/ ٢٢٧).

(٤) انظر: تفسير مقاتل(٣/ ٢٢٨)، تفسير الطبري(١٩/ ٢٤١)، تفسير البغوي(٦/ ٧٣)، زاد المسير لابن الجوزي(٣/ ٣١٣).

(٥) انظر تفسير مقاتل(٣/ ٢٢٨).

(٦) في النسختين (ننزل) والأليق بالسياق ما أثبته.

(٧) جزء من آية (٩) سورة الأنعام.

واحدٍ منهما لا يكون قائماً بنفسه في أداء الرسالة[(١)]. وأما الكنز، فإنه قد وجد مع كثير من الفراعنة ولم يوجب ذلك إتباعهم وعُدم مع كثير من الأنبياء الذين أقر الخلق برسالتهم وكذلك الجنات[(٢)]، ولأن الأنبياء صلوات الله عليهم إنما يبعثون لتزهيد الناس في الكنوز والجنات وترغيبهم في الآخرة فلا يجوز أن يمنعوا الناس من ذلك ثم يشتغلوا به[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ﴾ قال ابن عباس { وذلك أن ملكاً نزل من السماء إلى النبي ﷺ فقال: إن الله يخيرك بين أن يعطيك خزائن كل شيء لم يعطها أحداً قبلك ولا يعطها أحد بعدك من غير أن ينقصك شيئاً مما ذُخر لك وبين أن يجمعها لك في الآخرة. فقال النبي ﷺ: « بل يجمعها لي[(٤)] يوم القيامة »[(٥)].

---

(١) مجمع البيان للطبرسي(٧/ ٢٨٢).

(٢) في نسخة (ب): (الجناب) وهو تصحيف.

(٣) لم أقف على من ذكره فيما بين يدي من المصادر.

(٤) في نسخة (ب): (وهو) وهو خطأ.

(٥) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص٣٣٢) قال أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المقرئ قال: أخبرنا أحمد بن أبي الفرات قال: أخبرنا عبدالله بن محمد بن يعقوب البخاري قال: أخبرنا محمد بن حميد بن فرقد قال: أخبرنا إسحاق بن بشر قال: أخبرنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما فذكره بأطول منه.

وفي إسناده إسحاق بن بشر الكاهلي قال عنه ابن حبان في المجروحين (١/ ١٣٥) " كان يضع الحديث على الثقات ويأتي بما لا أصل له عن الأثبات، وأهل خراسان لا يحل كتب حديثه إلا على جهة التعجب فقط"

وفي إسناده كذلك جويبر ويقال اسمه جابر وجويبر لقب ابن سعيد الأزدي قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب (ص١٤٣) " ضعيف جدا" فالحديث إسناده ضعيف جداً.

وأخرج الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٤٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٦٦) كلاهما من طريق حبيب ⇦=

وقال ﷺ: « خيرني ربي بين أن أكون نبياً وملِكاً وبين أن أكون نبياً وعبداً فقلت: اخترت أن أكون نبياً عبداً أشبع يوماً وأجوع يوماً، فأحمدك ربي إذا شبعت وأتضرع إليك إذا جعت »[1] فكان النبي ﷺ يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبيد[2] ويخصف بيده نعله ويرقع ثوبه ويركب الحمار العاري ويُردف خلفه ويكون الستر على بابه فيه التصاوير، فيقول لإحدى أزواجه « غيبيه عني؛ فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها »[3] فأعرض عنها بقلبه وأمات ذكرها في نفسه وكان يقول:

= بن أبي ثابت، عن خيثمة قال: قيل: للنبي ﷺ نعطيك خزائن الأرض ومفاتيحها لم نعطها أحدا قبلك لا ينقصك ذلك عند الله شيء قال: اجمعها لي في الآخرة فقال الله ﷻ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ ﴾ الآية.

وفي إسناده حبيب بن أبي ثابت ثقة فقيه جليل ولكنه كثير الإرسال والتدليس. ولم يصرح بالتحديث، إضافة إلى علة الإرسال من خيثمة بن عبدالرحمن. انظر تقريب التهذيب (ص١٥٠) و (ص١٩٧).

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٥٧٥) (أبواب الزهد / باب: ما جاء في الكفاف والصبر عليه / ح٢٣٤٧)، وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٢/ ٥٤) (باب: في التواضع وكراهية الكبر)، وأخرجه أحمد في المسند (٣٦/ ٥٢٨) برقم (٢٢١٩٠) كلهم من طريق عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم أبي عبدالرحمن، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ، بلفظ " عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا، قلت: لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما - أو قال ثلاثا أو نحو هذا - فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك" ولم أقف عليه بلفظ المصنف ولعله ذكره بالمعنى. قال الترمذي في سننه (٤/ ٥٧٥) بعد أن أخرج الحديث " " هذا حديث حسن "، " وعلي بن يزيد يضعف في الحديث ويكنى أبا عبدالملك ". وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص٢٦٤).

(٢) في نسخة (ب): (العبد).

(٣) كأن المصنف ~ تعالى يشير للحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٨٤) (كتاب الصلاة / باب: إذا صلى في ثوب له أعلام ونظر إلى علمها / ح٣٧٣)، ومسلم في صحيحه (١/ ٣٩١) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة / باب: كراهة الصلاة في ثوب له أعلام / ح٥٥٦) كلاهما عن عائشة رضى الله عنها، أن النبي ﷺ صلى في خميصة لها أعلام، فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما انصرف قال: «اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم وأتوني بأنبجانية أبي جهم، فإنها ألهتني آنفا عن صلاتي».

« يا عجب كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يعمل لدار الغرور »[(١)] وفي هذا نزلت هذه الآية والمعنى: تبارك تعالى إن شاء يجعل لك خيراً مما قالوه في دار الدنيا[(٢)]، من جنات وقصور وإن شاء يجعل لك قصوراً في الدنيا. هذا إذا قرأت يجعلْ بجزم اللام[(٣)] وإنما لم يجعل ذلك للحكمة التي أوجبت من ذلك ومن قرأ يجعلُ برفع اللام فهو على الاستئناف بمعنى: وسيجعل لك قصوراً في الآخرة[(٤)].

وقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ معناه: لا يستطيعون سبيلاً إلى إلزام الحجة وإثبات المعذرة ولكنهم كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بقيام الساعة ناراً مسعرة ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ النار ﴿مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ من مسيرة خمسمائة عام[(٥)] ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا﴾ للنار غليان ﴿تَغَيُّظًا﴾ كغيظ بني آدم[(٦)] ﴿وَزَفِيرًا﴾ وصوتاً كالزفير عند

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الزهد / المؤلف: ابن أبي الدنيا – الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ- (ص٢٨) قال حدثني حمدون بن سعد المؤدب، قال: حدثنا النضر بن إسماعيل، عن موسى الصغير، عن عمرو بن مرة، عن أبي جعفر، قال: قال رسول الله ﷺ.... فذكره بمثله، وأخرجه الشهاب أبو عبدالله محمد بن سلامة القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ) في مسنده المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ه – (١/ ٣٤٧).

قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (ص١١٠٢) " أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث أبي جعفر مرسلا "، وحكم عليه الألباني " بالوضع " في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٣/ ١٩٣).

(٢) انظر تفسير مقاتل(٣/ ٢٢٨)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٦٦) عن مجاهد بنحوه.

(٣) قرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائى وحفص عن عاصم والكسائى عن أبى بكر عن عاصم ﴿و يجعلْ﴾ بجزم اللام، وقرأ ابن كثير وعاصم فى رواية أبى بكر وابن عامر ﴿و يجعلُ لَّكَ قُصُورًا﴾ بالرفع. انظر: السبعة (ص٤٦٢)، والتيسير (ص١٦٣)، والنشر (٢/ ٣٣٣).

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/ ٥٩)، حجة القراءات لابن خالويه (ص٢٦٤)، معاني القراءات (٢/ ٢١٤).

(٥) ذكره السمرقندي في تفسيره (٢/ ٥٣١)، والبغوي في تفسيره (٦/ ٧٤) بمثله ولم ينسباه لأحد.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢(/ ٢٦٣)، معاني القرآن للنحاس ٥(/ ١١).

شدة اضطرابها والتهابها وإنما قال: رأتهم وهم يرونها على معنى: أنها كأنها تراهم[(١)] رؤية الغضبان الذي يزفر غيظاً.

وقوله: ﴿وَإِذَآ أُلۡقُوا۟ مِنۡهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ أي: إذا طرحوا في مكان ضيق من النار ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ أي: مغللين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال[(٢)]، كما قال في آية أخرى ﴿مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾[(٣)] ويجوز أن يكون معناه: مقرنيّن بأقرانهم من الجن والأنس[(٤)]، يقولون واثبوراه واهلاكاه[(٥)] وفي الخبر « أنهم إذا أُلقوا في باب من أبواب جهنم تضايق عليهم كتضايق الزُجُّ[(٦)] في الرمح و يزدحمون في تلك الأبواب الضيقة، يرفعهم / اللهب وتخفضهم مقامع ملائكة العذاب »[(٧)].

[ل٤٣١/أ]

----

(١) مجمع البيان للطبرسي (٧/ ٢٨٥)، قال القرطبي في تفسيره (١٣/ ٧): إن القول بأن النار تراهم هو الأصح ثم ساق الأحاديث في ذلك.

وقال الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان (٦/ ٢٥) "اعلم أن التحقيق أن النار تبصر الكفار يوم القيامة، كما صرح الله بذلك في قوله: ورؤيتها إياهم من مكان بعيد، تدل على حدة بصرها كما لا يخفى، كما أن النار تتكلم كما صرح الله به في قوله: ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة، كحديث محاجة النار مع الجنة، وكحديث اشتكائها إلى ربها، فأذن لها في نفسين، ونحو ذلك، ويكفي في ذلك أن الله جل وعلا صرح في هذه الآية، أنها تراهم وأن لها تغيظا على الكفار، وأنها تقول: هل من مزيد ".

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٩/ ٢٤٤)، النكت والعيون للماوردي ٤(/ ١٣٤)، تفسير السمعاني(٤/ ١٠).

(٣) جزء من آية (٤٩) سورة إبراهيم.

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٢٨)، تفسير السمرقندي(٢/ ٥٣١)، النكت والعيون(٤/ ١٣٤)، تفسير البغوي(٦/ ٧٥).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٦٩) عن الضحاك بمثله.
وقال به ابن قتيبة كما في غريب القرآن (ص٢٦٦)، والزجاج كما في معاني القرآن(٤/ ٥٩).

(٦) والزُجُّ: الحديدة التي تركب في أسفل الرمح. انظر: الصحاح(١/ ٣١٨)، لسان العرب (٢/ ٢٨٥) مادة " زجج ".

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٦٨) عن قتادة قال ذُكر لنا أن عبدالله بن عمرو فذكره بأقل منه، ونسبه البغوي في تفسيره (٦/ ٧٥)، وابن عطية في تفسيره (٤/ ٢٠٢) لابن عباس رضى الله عنهما، وعزاه ⇐

فعند ذلك يدعون بالويل والثبور يُقال لهم ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ فإن سبب الثبور دائم لا ينقطع[1]، والثبور: مصدر يوصف بالقلة والكثرة، كما يُقال: ضربته ضرباً كثيراً[2] ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ معناه: أذلك العذاب الذي سبق ذكره خير ﴿أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ هذا على طريق التعجب والتبعيد لا على[3] طريق الاستفهام[4].

وقوله ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا﴾ أي: كانت الجنة للمتقين جزاءاً ومرجعاً في الآخرة[5] وقوله ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ﴾ أبلغ صفة من صفات الجنة، والوعد المسئول[6] ما ذكره الله تعالى في قوله ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾[7] وقوله ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الملائكة والأصنام[8]، فيقول الله تعالى

= ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٣١٣) للمفسرين.

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٢٢٨).

(٢) معاني القرآن للفراء ٢(/ ٢٦٣)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٥٩).

(٣) سقطت من نسخة (ب): (لا على).

(٤) انظر: تفسير القرطبي(١٣/ ٩)، البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٨٨).

(٥) تفسير مقاتل(٣/ ٢٢٩)، وذكره السمرقندي في تفسيره (٢/ ٥٣١)، والبغوي في تفسيره (٦/ ٧٥) بمثله ولم ينسبه.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٤٦) عن ابن عباس رضى الله عنهما وابن زيد بنحوه، وعزاه القرطبي في تفسيره (١٣/ ٩) للكلبي وقال هو معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما.

(٧) جزء من آية (١٩٤) سورة آل عمران.

(٨) نسبه البغوي في تفسيره (٦/ ٧٦)، وابن عطية في تفسيره (٤/ ٢٠٤) إلى عكرمة بمثله.

وقال الشنقيطي في تفسيره (٦/ ٣٣-٣٤) والأظهر عندي شمول المعبودين المذكورين للأصنام، مع الملائكة وعيسى وعزير؛ لأن ذلك تدل عليه قرينتان قرآنيتان: الأولى: أنه عبر عن المعبودين المذكورين بـ: «ما» التي هي لغير العاقل والقرينة الثانية: أن المعبودين غافلون عن عبادة من عبدهم كقوله تعالى ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ وإنما كانوا غافلين عنها؛ لأنهم جماد لا يعقلون. انتهى كلامه بتصرف.

للكفار: لماذا عبدتم غيري؟ فيقولون: لأنهم يأمروننا بعبادتهم، فيقول الله تعالى للملائكة ولعيسى ولعزير عليهما السلام[١] على وجه التبكيت والتقريع للكفار: أأنتم ضللتم عبادي هؤلاء حتى عبدوكم[٢]؟ ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ بهوى أنفسهم ونظير هذا قوله تعالى ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[٣] مع عمله ﷻ بأنه ما قال لهم ذلك.

وقوله ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ أي قال: المعبودون تنزيهاً لك من أن يُعبد أحد دونك[٤] ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ فكيف جاز لنا أن نأمرهم أن يعبدوننا دونك[٥]؟ ولكن متعتهم وأباهم، أي: طولت أعمارهم وأمهلتهم في الكفر، حتى اغتروا بذلك[٦] وتركوا التوحيد والطاعة ويُقال: حتى نسوا ﴿الذِّكْرَ﴾ القرآن[٧] وكانوا قوماً بوراً، أي: هلكى[٨] فاسدة[٩] القلوب والبوار: هو الهلاك والبائر

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٤٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٧٢) عن مجاهد بمثله.

(٢) انظر: تفسير السمرقندي (٢/ ٥٣٢)، زاد المسير(٣/ ٣١٥).

(٣) جزء من آية (١١٦) سورة المائدة.

(٤) تنوير المقباس (ص٣٠١)، انظر تفسير مقاتل (٣/ ٢٢٩).

(٥) معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٦٤).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٧٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه، وانظر تفسير السمرقندي (٢/ ٥٣٢).

(٧) تفسير مقاتل(٣/ ٢٢٩)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٦٦)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٧٢) عن ابن زيد بمثله.

(٨) تفسير مقاتل(٣/ ٢٢٩)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٦٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٧٣) كلاهما من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله. واختاره الشنقيطي في تفسيره (٦/ ٣٤).

(٩) في هامش نسخة الأصل كُتِبَ بخط الناسخ (في عين المعاني فاسِدي القلوب).

الفاسد[١] والأرض البائرة: هي التي عُطلت عن الزراعة[٢].

وقوله ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ ﴾ فيه بيان من الله أن المعبودين قد كذبوهم[٣].

من قرأ[٤] ﴿تَقُولُونَ ﴾ بالتاء فالمعنى: يُقال لهم كذبوكم بقولكم وكذبكم، ومن قرأ بالياء فالمعنى: كذبوكم بقولهم فكيف يُظن بهم أنهم دعوكم إلى عبادتهم[٥] ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا ﴾ أي: ما يقدرون على صرف العذاب[٦] عن أنفسهم ولا على نصر أنفسهم[٧] ودفع العذاب والبلاء الذي هم فيه ولا أن ينتصروا من معبودهم.

وقوله ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ ﴾ قال الحسن: أراد بالظلم الشرك[٨] وأوعد عليه قوله ﷻ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ فيه بيان: أنه سبحانه لم يرسل رسولاً قبل محمد ﷺ إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، ثم لم يكن ذلك عذراً للخلائق في ترك الإيمان بهم.

وقوله ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ معنى الفتنة: التشديد في التعبد؛ ليظهر ما في العبد من خير أو شر، يُقال: فتنت الذهب بالنار إذا أخلصته من الغِش

---

(١) ذكره ابن قتيبة في غريب القرآن (ص٢٦٧) بنحوه، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٦١).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٦١)، الصحاح (٢/ ٥٩٧) مادة "بور"، مفردات القرآن للراغب (ص١٥٢).

(٣) انظر: تفسير السمرقندي(٢/ ٥٣٢)، وتفسير الماوردي(٤/ ١٣٧).

(٤) قرأ ابن كثير ﴿ ـا يقولـون﴾ بالياء، وقرأ الباقون ﴿بِمَا تَقُولُونَ ﴾ بالتاء. انظر: السبعة (ص٤٦٣)، النشر(٢/ ٣٣٤)، إتحاف فضلاء البشر (ص٤١٦).

(٥) انظر: معاني القراءات للأزهري(٢/ ٢١٥)، حجة القراءات لابن زنجلة (ص٥٠٩-٥١٠).

(٦) انظر: تفسير مقاتل(٣/ ٢٢٩)، معاني القرآن للزجاج(٤/ ٦١).

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج(٤/ ٦١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٧٤) عن مجاهد بمثله.

(٨) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤٥٢)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٢٥٢) عن الحسن بمثله.

بإحراقه[١] والفتنة هاهنا: هي العداوة التي كانت بينهم في الدين وما كان المؤمنون يلقون من أذى الكفار[٢] أتصبرون أيها المؤمنون على أذاهم، حتى تصلوا إلي ثواب الصابرين؛ فإن بعضكم لبعض فتنة؟ يقول الفقير لو شاء الله، لأغناني مثل فلان ويقول السقيم لو شاء الله، لأصحني مثل فلان ويقول الأعمى لو شاء الله، لجعل لي عيناً مثل فلان[٣] ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بالأغنياء والفقراء أغنى من أوجبت الحكمة إغنائه وأفقر من أوجبت الحكمة إفقاره.

وذهب بعض المفسرين[٤] إلى أن الكفار لما رأوا ظهور الإسلام وبدأ لهم حقائقه، هموا أن يدخلوا فيه، فأتاهم الشيطان وقال لهم: إن هؤلاء الضعفاء قد سبقوكم إليه، فإن دخلتم فيه، كانوا أوفر حظاً منكم، فحملتهم الأنفة على الامتناع، فقيل لهم: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ على فضيلة السابقين حتى تكونوا مع فقراء أصحاب محمد ﷺ شرعاً سواء[٥].

وقوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾

معناه: وقال الذين لا يخافون[٦] البعث بعد الموت، هلاَّ أُنزل علينا الملائكة رسلاً أو نرى ربنا، فيخبرنا أنك رسول[٧]، لقد استكبروا تعظموا في أنفسهم وجاوزوا الحد

---

(١) سبق تخريجه (ص٩١).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ١٣٨) عن ابن عيسى بمثله.

(٣) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٦٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٥٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٧٥) عن الحسن بمثله.

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٣٠)، وتفسير القرطبي(١٣/ ١٨).

(٥) ذكره السمرقندي في تفسيره (٢/ ٥٣٣) ولم ينسبه.

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٦٥)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة(٢/ ٧٣)، ومعاني القرآن للزجاج(٤/ ٦٣).

(٧) تنوير المقباس (ص٣٠٢)، تفسير مقاتل (٣/ ٢٣٠)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٥٤) عن ابن =

مجاوزة شديدة[١].

قوله ﷻ ﴿ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ إخبار من الله ﷻ تعالى أنه لا بشرى لهم يوم يرون / ملائكة العذاب بهم ويقول لهم الملائكة[٢]: حُرّم عليكم سماع البشرى حراماً محرماً[٣] [ل٤٣١/ب] وكانت العرب إذا أراد الرجل أن يحرم الرجل شيئاً، يسأله أو يطمع فيه، قال له حجراً محجوراً؛ ليعلم السائل بذلك أنه لا يريد أن يفعل[٤] والحَجْر في اللغة: هو المنع، ومنه حَجْر القاضي ومنه الحُجْرة التي يقصد بها منع الغير عن الدخول فيها.

ويجوز أن يكون حجر محجور من قول الكفار للملائكة[٥] على وجه التعرف وبعد ما بيننا وبينكم كان الرجل من العرب إذا سافر، فخاف على نفسه العدو وقال حجراً محجوراً، أي: حراماً محرماً[٦] عليك أن تتعرض لي بسوء[٧].

قوله ﷻ ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ ﴾ أي: وقصدنا[٨] وتقدمنا إلى أعمالهم التي

= جريج بمثله، تفسير السمرقندي (٢/ ٥٣٤)، تفسير السمعاني(٤/ ١٤).

(١) انظر: تفسير السمعاني (٤/ ١٤)، وتفسير البغوي(٦/ ٧٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٥٥)، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ١٤١)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٣١٧) كلهم عن الضحاك بمثله.

(٣) تفسير مقاتل(٣/ ٢٣١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٥٦) عن الضحاك ومجاهد بمثله، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٧٧) عن أبي سعيد الخدري ﷺ من طريق عطية العوفي بمثله. وهو اختيار الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٥٦).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٥٥-٢٥٦) عن قتادة وابن جريج بمثله.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٦٧٧) عن عطية العوفي بنحوه.

(٦) سقطت (محرماً) من نسخة (ب).

(٧) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤٥٢)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٢٥٥) كلاهما عن الحسن وقتادة بنحوه.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٥٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٧٨)، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ١٤١) جميعهم عن مجاهد بنحوه.

كانوا يعتقدونها طاعة ﴿فَجَعَلْنَٰهُ﴾ في الآخرة بمنزلة الهباء المنثور والهباء: ما يقع في الكوة من شعاع الشمس، فَيَقْبِضُ القابض عليه، فلا يحصل على شيء[١] ويُقال: هو التراب الذي يسطع من حوافر الدواب يرى ولكن لا يُقدر عليه[٢].

وقوله ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ أي: أنهم يومئذ خير منزلاً وأحسن موضعاً عند القيلولة من منازل الكفار ومقيلهم[٣].

قوله ﷻ ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ معناه: يوم تتصدع السماء لنزول الملائكة في الغمام بأمر الله تعالى، كما تقدم ذكره في قوله تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾[٤] وقوله ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ أي: نزل أهل كل سماء على حده منها إلى الأرض؛ لإكرام المؤمنين وإهانة الكافرين وأهوال ذلك اليوم.

ويُقال: الغمام: سحاب أبيض، فوق السماوات السبع[٥]، كما رُوي في الخبر « أن دعوة المظلوم تُرفع فوق الغمام »[٦] فعلى هذا يكون المعنى يوم تشقق السماوات ويظهر الغمام.

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤٥٢)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٢٥٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٧٩) جميعهم من طريق معمر عن الحسن بمثله.

(٢) تفسير مقاتل(٣/ ٢٣١).

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١٢٩) بنحوه ولم ينسبه.

(٤) جزء من آية (٢١٠) سورة البقرة.

(٥) تفسير مقاتل(٣/ ٢٣١).

(٦) أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٥٧٨)، أبواب الدعوات برقم (٣٥٩٨)، وأخرجه ابن ماجه في سننه (١/ ٥٥٧) (كتاب الصيام/ باب: في الصائم لا تُرد دعوته/ ح١٧٥٢)، وأخرجه أحمد في مسنده (١٣/ ٤١٠) برقم (٨٠٤٣)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٩٦) برقم (٧٣٨٧) كلهم من طريق أبي مدلة، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: " ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين ". قال الترمذي في سننه (٥/ ٥٧٨) " هذا حديث حسن ".

وقوله ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ معناه: الملك الذي هو الملك حقاً ملك الرحمن يوم القيامة[1] وكان ذلك اليوم يوماً شديداً على الكافرين عسيراً و الملُك ثلاثة أوجه: ملك عظمة وهو لله وحده، وملك ديانة بتمليك الله إياه، وملك جبرية بالغلبة[2].

وقوله ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ نزل في عقبة بن أبي معيط[3]، كان يريد أن يؤمن، فقال له أُبي بن خلف[4] وكان صديقاً له: لئن آمنت لا أكلمك أبداً، فامتنع من الإيمان حتى قتل يوم بدر كافراً وقتل رسول الله ﷺ أُبي بن خلف بيده يوم أحد[5].

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٦٥)، ووصف الملك بأنه حق لأنه لا يزول ولا يتغير. انظر: تفسير الرازي(٢٤/ ٤٥٣).

(٢) مجمع البيان للطبرسي(٧/ ٢٩٢).

(٣) هو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس: من مقدّمي قريش في الجاهلية. كنيته أبو الوليد، وكنية أبيه أبو معيط. كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة، فأسروه يوم بدر وقتلوه ثم صلبوه، وهو أول مصلوب في الاسلام قال عقبة حين أمر رسول الله ﷺ بقتله: فمن للصبية يا محمد؟ قال: النار. فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري، أخو بني عمرو بن عوف. انظر: السيرة النبوية لابن هشام(١/ ٦٤٤)، والأعلام للزركلي (٤/ ٢٤٠).

(٤) هو أبي بن خلف بن وهب، أخو أمية، كان أشد الناس على النبي ﷺ، دنى من رسول الله ﷺ يوم أحد فقال: واللات والعزى لأقتلنك يا محمد، فقال رسول الله ﷺ: بل أقتلك إن شاء الله، فأخذ رسول الله ﷺ حربته من يده ويقال حربة بعض الأنصار فقتله بها، فجعل يخور خوار. انظر: جمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٥٩)، سير أعلام النبلاء(١/ ٤٠٣).

(٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٤٥٣)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٢٦٢) كلاهما عن مقسم مولى ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه، وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة – تحقيق: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبدالبر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ- (ص٤٧٠) برقم (٤٠١) من طريق محمد بن مروان، السدي الصغير، عن محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه. وهو إسناد ضعيف جداً، بل موضوع، وهي السلسلة المسماة بسلسلة الكذب، وهي من أضعف الأسانيد. قال ابن عطية في تفسيره (٤/ ٢٠٨) " ومن أدخل في هذه الآية أمية بن خلف ⇦=

ومعني الآية: واذكروا يوم يَعض الظالم عقبة على يديه وقال الحسن ﷺ والله ليعض على يديه حتى يأكلهما يقول على وجه التحسر[(١)] ﴿يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ﴾ مع الرسول ﷺ سبيلاً اتبعت الرسول وسلكت طريقه ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا﴾ أبياً[(٢)] ﴿خَلِيلٗا﴾ مصافياً، لقد أضلني، أي: صرفني عن الذكر القرآن بعد إذ جاءني بعد أن دعاني محمد ﷺ إليه وكان الشيطان للإنسان خذولاً كثير الخذلان وهذا إخبار من الله ﷻ للتحذير من إتباع الشيطان[(٣)]، والخذول: فعول من الخذلان.

قوله ﷻ ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي﴾ يعني: قريش اتخذوا هذا القرآن مهجوراً هجروا تلاوته والعمل به[(٤)].

ويُقال: نسبوه إلى الهُجر: وهو الهذيان، فقالوا إن محمد ﷺ يهذي به وهو من أساطير الأولين[(٥)].

وقوله ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا﴾ معناه: أن عداوتهم إياك ليست ببَدِيءٍ[(٦)]؛

= فقد وهم إلا على قول من يرى الظالم اسم جنس ".

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٨٤) عن سفيان بنحوه، ونسبه البغوي في تفسيره (٦/ ٨١) لعطاء بنحوه.

وذهب الزمخشري في تفسيره (٣/ ٢٧٦) إلى أن هذا كناية عن الغيظ والحسرة. والظاهر أن العض هنا حقيقة، ولا مانع من ذلك ولا موجب لتأويله. انظر تفسير الشوكاني (٤/ ٨٤).

(٢) تنوير المقباس (ص٣٠٢)، تفسير البغوي(٦/ ٨١).

(٣) وذكر الزمخشري في تفسيره (٣/ ٢٧٧) " أنه يحتمل أن يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم "، والذي استظهره الشنقيطي في تفسيره (٦/ ٤٦) أنه من كلام الله، وليس من كلام الكافر النادم يوم القيامة.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٦٤)، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ١٤٣)، وابن عطية في تفسيره (٤/ ٢٠٩) كلهم عن ابن زيد بنحوه. وهو اختيار الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٦٤).

(٥) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٦٧)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٦٨)، معاني القرآن للزجاج(٤/ ٦٦)، ونسبه الماوردي في تفسيره (٤/ ١٤٣) لابن قتيبة بمثله.

(٦) في هامش نسخة الأصل كتِبَ بخط الناسخ (البَدِئ على فعيل الأول وهو الأمر العجيب أيضاً وهو =

فإنا جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين الكافرين وجَعْله إياهم عدواً للأنبياء صلوات الله عليهم أنه تعالى أمر الأنبياء صلوات الله عليهم أن يدعوهم إلى طاعته ويتركوا ما هم عليه من دينهم ودين أبائهم وكانت هذه أسباباً داعية إلى العداوة، إذ أمرهم الله تعالى بإتباع الأنبياء صلوات الله عليهم، فلم يتبعوهم(١).

وقوله ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ معناه: واكتف بربك هادياً للخلق إلى الحق وناصراً لهم في الدنيا والآخرة(٢).

= مهموز).

(١) انظر تفسير مقاتل(٣/ ٢٣٣)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٦٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما بنحوه.

(٢) انظر تفسير السمرقندي (٢/ ٥٣٧).

الخاتمـــة

كشاف الأعلام

م	اسم العلـــــــم	الصفحة
٢١	جرير بن عطية بن الخطفي	٢٢٢
٢٢	حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري	٣٦٢
٢٣	حفص بن سليمان بن المغيرة الكوفي	٢٠٥
٢٤	حمزة بن حبيب بن عمارة	٢٠٢
٢٥	حمنة بنت جحش الأسديه	٣٦٢
٢٦	زُفر بن الهذيل بن قيس العنبري	٣٥٦
٢٧	سالم بن أبو الجعد	١٨٧
٢٨	سعيد بن المسيب بن حزن القرشي	٥٨
٢٩	سعيد بن جبير بن هشام الوالبي	٦٢
٣٠	سهل بن سعد الساعدي	٣٥٥
٣١	شريح بن الحارث الكندي	٣٥٠
٣٢	شريك بن عبدة بن مغيث البلوي	٣٥٢
٣٣	شيبة بن ربيعة بن عبد شمس	٦٠
٣٤	صفوان بن المعطل السلمي	٣٦١
٣٥	عاصم بن بهدلة أبو النجود	٢٠٥
٣٦	عاصم بن عدي الأنصاري	٣٥٣
٣٧	عامر بن شراحيل الشعبي	٦٢
٣٨	عبدالحق بن غالب الغرناطي (ابن عطيّة الأندلسي) ٩	٩
٣٩	عبدالله بن أُبي بن مالك الخزرجي	٣٦٢
٤٠	عبدالله بن أحمد بن محمود النّسفي	٨٣
٤١	عبدالله بن مسلم الدينوري القتبي	٧٧
٤٢	عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج	١٩٩
٤٣	عبيدة بن الحارث بن المطلب المطلبي القرشي	٥٩

م	اسم العلـــــم	الصفحة
٤٤	عتبة بن ربيعة بن عبد شمس	٦٠
٤٥	عداس مولى شيبة بن ربيعة بن عبد شمس	٤٢٤
٤٦	عطاء بن أبو رباح القرشي	٦٢
٤٧	عطية بن سعد العوفي الجدلي	١٤٥
٤٨	عقبة بن أبان بن ذكوان (أبو معيط)	٤٣٧
٤٩	عقبة بن أبو معيط	٢٧٢
٥٠	عكرمة أبو عبدالله القرشي	١٢٠
٥١	علقمة بن عبدة بن ناشرة	١٤٠
٥٢	عمرو بن شعيب بن محمد بن العاص	٣٤٣
٥٣	عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)	٣٣٦
٥٤	عنترة بن شداد بن معاوية العبسي	١١٩
٥٥	عيسى بن عمر الثقفي النحوي	٣٣٥
٥٦	قتادة بن دعامة السدوسي	٥٨
٥٧	ماعز بن مالك الأسلمي	٣٣٨
٥٨	مجاهد بن جبر المكي	٥٨
٥٩	محمد بن الحكيم التّرمذيّ	٨٢
٦٠	محمد بن السّائب الكلبيّ	٢٩
٦١	محمد بن جرير الطبريّ	٨٢
٦٢	محمد بن سيرين الأنصاري	٣٧٨
٦٣	محمد بن طيفور السّجاونديّ الغزنويّ	٨٣
٦٤	محمد بن مسلم بن كلاب الزهري	٣٤٧
٦٥	مدلج الأنصاري	٤٠٩
٦٦	مسطح بن أثاثه بن عباد بن المطلب القرشي	٣٦٢

م	اسم العلـــــم	الصفحة
٦٧	مسيكة جارية عبدالله بن أبي بن سلول	٣٨٧
٦٨	معاذة بنت عبدالله بن جبير بن الضرير	٣٨٧
٦٩	مقاتل بن سليمان البلخيّ	٨١
٧٠	ميمون بن قيس بن جندل الوائلي (الأعشى)	١٠٤
٧١	نصر بن محمد بن إبراهيم السّمرقنديّ	٢٨
٧٢	يسار أبو فكيهة الجهمي	٤٢٤



كشاف الموضوعات

